المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

الجغرافيا السياسية فى مائة عام

(التطور الجيوبوليتيكى العالمى)

الجزء الأول

تحرير

كلاوس دودز

ديفيد أتكنسون



ترجمة

عاطف معتمد

عزت زيان

1592

الجغرافيا السياسية فى مائة عام
(التطور الچيوبوليتكى العالمى)
(الجزء الأول)

المركز القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : 1592
- الجغرافيا السياسية فى مائة عام : التطور الجيوبوليتكى العالمى (ج ١)
- كلاوس دودز، وديفيد أتكنسون
- عاطف معتمد، وعزت زيان
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة كتاب :

Geopolitical Traditions: Critical Histories of a Century of Geopolitical Thought

Edited by David Atkinson and Klaus Dodds

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

E.mail:egyptcouncil@yahoo.com **Tel.:** 27354524 - 27354526 **Fax:** 27354554

الجغرافيا السياسية فى مائة عام

(التطور الچيوبوليتكى العالمى)

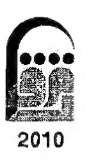
(الجزء الأول)

تحرير

كلاوس دودز ديفيد أتكنسون

ترجمة

عاطف معتمد عزت زيان



2010

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الجغرافيا السياسية فى مائة عام (التطور الجيوبوليتكى العالمى) جـ ١ / تحرير كلاوش دودز، ديفيد أتكنسون، ترجمة : عاطف معتمد، عزت زيان،

ط ١- القاهرة: المركز القومى للترجمة ٢٠١٠

٣٠٤ص ؛ ٢٤ سم .

١ - الجغرافيا السياسية.

(أ) دودز، كلاوس (محرر).

(ب) أتكنسون، ديفيد (محرر مشارك).

(جـ) معتمد، عاطف (مترجم).

(د) زيان، عزت (مترجم مشارك).

(هـ) العنوان ٩١٠,١٣٢

رقم الإيداع ٧٢٥٤ / ٢٠١٠
الترقيم الدولى I.S.BN. 978 - 977 - 704 - 008 - 2
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولاتعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويات

قائمة الأشكال

التراث الجيوبوليتيكى

بعد أن أدان الجغرافى الأمريكى الراحل ريتشارد هرتشهورن الجيوبوليتيكا، معتبرا إياها نوعا من التسميم الفكرى،أربكت الجيوبوليتيكا نقادها. ولكنها أصبحت اليوم ميدانا فكريا مشهورا ومهما، بالرغم من الادعاءات المستمرة بأن الجيوبوليتيكا ساعدت على إضفاء الشرعية على سياسات هتلر التوسعية والسيطرة على الأماكن. ومن خلال استخدام رؤى من الجيوبوليتيكا النقدية والتاريخ الثقافى، يركز المساهمون على كيف ظهرت الجيوبوليتيكا، وكيف تمت مناقشتها والاختلاف حولها فى مجموعة متباينة من السياقات الفكرية والشعبية.

ويذهب الكتاب الذى بين أيدينا إلى أن الجيوبوليتيكا يجب أن تتحمل المسئولية عن الماضى ,مع إعادة صياغة مفاهيم الجيوبوليتيكا بأسلوب يفسر التغيرات الجوهرية التى حدثت فى أواخر القرن العشرين، فى نفس الوقت. وينقسم هذا الكتاب إلى ثلاثة أجزاء: أولا، يركز جزء "إعادة التفكير فى التواريخ الجغرافية" على ما أثمرته الحوارات الجيوبوليتيكية بين الدارسين الأوروبيين والعالم الأوسع. ثانيا، يتناول جزء "الجيوبوليتيكا، الأمة والروحانية" كيف تأثرت الكتابات الجيوبوليتيكية كثيرا بالتوجهات والرموز الدينية ,مع تقديم أمثلة مستمدة من الكاثوليكية واليهودية والهندوسية، وثالثا، يتأمل الجزء الأخير "إصلاح وتركيز الجيوبوليتيكا" فى كيفية إعادة صياغة الجيوبوليتيكا فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ,مع أمثلة من فرنسا والولايات المتحدة.

و يجمع كتاب "الجيوبوليتيك والجغرافيا السياسية فى مائة عام" دارسين يعملون فى مجموعة من العلوم والمواقع المختلفة من أجل استكشاف قرن من الفكر الجيوبوليتيكى.

- كلاوس دودز: محاضر فى الجغرافيا البشرية فى رويال هولواى بجامعة لندن، المملكة المتحدة.

- ديفيد اتكنسون: محاضر فى الجغرافيا البشرية بجامعة هل، المملكة المتحدة.

تصدير

كلاوس دودز وديفيد أتكنسون

أثارت الجيوبوليتيكا عواطف شخصية وثورات فكرية منذ ظهور المصطلح فى تسعينات القرن التاسع عشر. ومنذ التعبيرات الأولى للجيوبوليتيكا من بداية هذا القرن، كان الأفراد الذين يستخدمونه مثل رودولف كيلين ,وهالفورد ماكيندر ,وكارل هوسهوفر، وأساياه بومان يحاولون باستمرار التأثير على السياسات القومية والدولية بنظرياتهم المتعلقة بالعالم المعاصر. وفى منتصف القرن العشرين، عندما قال الجغرافى الأمريكى الراحل، ريتشارد هرتشورن فى ١٩٥٤ إن الجيوبوليتيكا كانت "سما فكريا"، تأكد الرأى القائل بأن التفسير الجيوبوليتيكى كان مرادفا للتوسع المكانى النازى، وأن النظريات والاتجاهات المجموعة تحت عنوان "الجيوبوليتيكا" كانت مجرد "علم زائف" كاذب، جلب بفساده السياسى عارا على الجغرافيا الاكاديمية (Hartshorne 1954). بل إن هذه الآراء أثبتت مرونتها بصورة ملحوظة. فبعد مرور أربعين سنة ,كان الاجتماع التحضيرى الذى نظمته "لجنة الاتحاد الجغرافى الدولى للخريطة السياسية للعالم" معرضا للخطر عندما احتج الوفد الروسى ضد اقتراح بإدخال "الجيوبوليتيكا" فى عنوان المنظمة الجديدة (Vitkovskiy 1981). ومرة أخرى أدينت الجيوبوليتيكا لارتباطها بالشمولية والتطرف السياسى. وهكذا بات من الواضح أن الجيوبوليتيكا لم تكن مقبولة لدى بعض دوائر الجغرافيا الأكاديمية.

و مع ذلك، فإنه بالرغم من الإدانة المتكررة للمصطلح ,لم يتخل الجغرافيون فى أوروبا وأمريكا الشمالية تماما عن المجال الفكرى الذى يحدده هذا المصطلح. وكما

يقول ليسلى هيبل فى دراسته للجيوبوليتيكا الأنجلوأمريكية منذ ، ١٩٤٥ فإن بعض الجغرافيين قد استمروا فى إجراء استكشافات جيوبوليتيكية تحت غطاء دراسات مختلفة، بينما أظهر آخرون شجاعة فكرية كبيرة برفض استبعاد الجيوبوليتيكا من مفرداتهم (Hepple 1986). وعلى العكس ,فإنه خلال السبعينات، وبعيدا عن الحساسيات الأكاديمية، قام المفكرون الأمنيون ومستشارو السياسة الخارجية بالولايات المتحدة بإعادة استخدام المصطلح. ومن المثير للدهشة أن فهمهم للأفكار الجيوبوليتيكية كان ناتجا عن طول استخدامهم لمفاهيم جيوبوليتيكية مثل "قلب الأرض" و"الهامش" لمواصلة وتبرير استراتيجيات الحرب الباردة الأمريكية، والتدخل فى مختلف أنحاء العالم طوال العقدين الماضيين. ولم يبدأ الجغرافيون فى إعادة الاهتمام بالجيوبوليتيكا بصورة أكثر دقة سوى فى السنوات الأخيرة فقط ,وعلى سبيل المثال أدت المراجعة النقدية للأطروحات الجيوبوليتيكية للعالم أثناء الحرب الباردة إلى ظهور ما أصبح يعرف باسم "الجيوبوليتيكا النقدية" (Tuathail and Dalby 1998 ó Tuathail 199;ó).

ويقدم الكتاب الذى بين أيدينا أدلة إضافية على الانتعاش الشديد للجيوبوليتيكا فى المجالات الأكاديمية الرئيسة فى العالم الأورأمريكى وما وراءه. حيث يعرض الكتاب تقاريرا عن الفكر الجيوبوليتيكى من مختلف السياقات طوال القرن ,ويدرس مجددا تواريخ واهتمامات هذا المجال المثير للنقاش والجدل. كما يسعى الكتاب إلى فحص التواريخ التقدمية الدقيقة للجيوبوليتيكا الأكاديمية المتضمنة فى قصص الظهور والاضمحلال والانتعاش. وتمثل السردية العامة عن انزواء الجيوبوليتيك صورة مبسطة، ذلك لأن تطور الحوارات الجيوبوليتيكية فى أوروبا (فضلا عن العالم الأوسع) لا يؤيد الادعاء القائل بتراجع هذا العلم. فعلى سبيل المثال، تقدم التجارب الجيوبوليتيكية فى اسبانيا والبرتغال وفرنسا أدلة مضادة قوية فى مقابل أنماط النمو والتدهور فى العالم الأنجلوأمريكى.

ففى الواقع، كانت الجيوبوليتيكا تشمل مجموعة قوية من النظريات المتحركة التى نوقشت فى مختلف السياقات الفكرية والجغرافية التى تتراوح من الجيزويت المناهضين

للشيوعية وخيال المغامرات البريطانية، إلى الدوائر اليسارية الفرنسية والمدرسة البيئية المعاصرة. وفى أماكن أخرى، أثارت إعادة صياغة الجيوبوليتيكا فى الأرجنتين والهند وإسرائيل واليابان تفصيلات جديدة لهذه الأفكار ,والمزيد من المبادلات التى تتحدى فهمنا الأورأمريكى المستقر لتاريخ الجيوبوليتيكا . وتوضح الفصول التالية أن هذه التواريخ المثيرة للجدل تستحق المزيد من الاهتمام والبحث وليس الإدانة المطلقة أو رد الاعتبار غير النقدى.

و من خلال الأجزاء الثلاثة الرئيسة التى يتألف منها كتابنا هذا والتى تعيد التفكير فى تواريخ الجيوبوليتيكا ,وتتناول قضايا الأمة والأبعاد الروحية، وتعالج التفصيلات المعاصرة لهذه الأفكار، فإن المجموعة التى بين أيدينا تحاول عمدا الكشف عن التنوع والثراء الهائل للجيوبوليتيكا ومدى تنوع المواقع التى ترعرعت فيها . لكن فى المقابل ثمة "تراث" غير واضح المعالم، وإن كان قابل للتحديد، خاصة تلك الأفكار التى تقف وراء التعبيرات الجيوبوليتيكية المتناثرة.

وبالرغم من أن هذا التراث الجيوبوليتيكى غالبا ما كان غير متبلور ويظهر على فترات متقطعة، فإنه محمل بالمعلومات، وأثار خلال معظم فترات القرن الماضى حوارات حيوية حول الجيوبوليتيكا، وذلك لأن "الجيوبوليتيكيين" أثاروا وأعادوا صياغة هذه الأفكار فى ضوء الفكر الجيوبوليتيكى الموروث. وارتبطت هذه التيارات الفكرية بتبادل الأفكار الأكاديمية الرسمية بين الدارسين الألمان واليابانيين فى ثلاثينات القرن العشرين، وكانت مرتبطة أيضا بمجموعة من الأفكار والمفاهيم والممارسات السياسة ومعالم البيئة الطبيعية. وبينما نعترف بالسياقات الخاصة للجيوبوليتيكا، فإننا نريد أيضا أن نتتبع هذا التراث المستمر طوال القرن. ففى أواخر تسعينيات القرن العشرين، واصلت قضايا الجيوبوليتيكا جذب اهتمامنا ,بينما يحشد القادة السياسيون القوات المسلحة دفاعا عن نفس المنطقة الأوروبية التى فتنت الجيوبوليتيكيين الأوائل مثل هالفورد ماكيندر منذ مائة سنة مضت. وبينما استمرت القضايا الجيوبوليتيكية فى احتلال الأجندة السياسية ,احتلت المعارف الجيوبوليتيكية اهتمام الدارسين النقديين.

و يرجع أصل مجموعة الدراسات التى يضمها هذا الكتاب إلى جلسة مؤتمر بعنوان "إعادة التفكير فى الجيوبوليتيكا" عقده معهد الجغرافيين البريطانيين بجامعة ستراتكلايد فى يناير ١٩٩٦ . ونحن نقدم شكرنا إلى جيمس سيداواى ومجموعة بحث الجغرافيا السياسية بمعهد الجغرافيين البريطانيين لرعايتهم هذا العمل ,وللمناقشين والمشاركين. ونحن مدينون بالشكر لتعليقات ونصائح وخبرات الترجمة التى قدمها كل من دينيس كوسجروف، ديفيد ديميزيت وإيديتا دودز (ألمانيا) وفيليكس درايفر ,مايك هيفرنان ,اندى جوناس، سيلفى جراى (فرنسا)، وديفيد سيمون. ونحن نقدر مساندة زملائنا بأقسام الجغرافيا بجامعة هول، جامعة ويلز، لامبيتر ورويال هولواى، جامعة لندن. ونحن مدينون بالشكر أيضا للمحررين فى روتليدج: سارة لويد، كيسى ماين، سارة كارتى وذلك لصبرهم وتعاونهم البنّاء. وأخيرا، نتقدم بموفور الشكر للمؤلفين المشاركين فى هذا العمل تقديرا لجهودهم وحماستهم وإسهامهم فى هذا المشروع.

الفصل الأول: تمهيد

التراث الجيوبوليتيكى: قرن من الفكر الجغرافى

ديفيد أتكنسون و كلاوس دودز



مقدمة

ثمة عدد قليل من المصطلحات المثيرة للجدل والعاطفة فى التاريخ الحديث للجغرافيا، فى مقدمتها "الجيوبوليتيكا". ابتكر هذا المصطلح فى الأصل عالم السياسة السويدى رودولف كيلين Rudolf Kjellén فى عام ١٩٩٢ (Holder 1992). ومنذ ظهور الجيوبوليتيك كمصطلح مبهم قبيل نهاية القرن التاسع عشر وحتى انتشار استخداماته (غير الدقيقة أحيانا) فى الوقت الحاضر، كان هذا المصطلح محور جدل شديد وحاد فى كثير من الأحوال. واكتسبت "الجيوبوليتيكا" فى بعض الأوقات سمعة سيئة، لدرجة أن الجغرافيا السياسية، بل والجغرافيا الأكاديمية بصفة عامة، تأثرت سلبا بالوصف الذى أطلقه الجغرافى كارل ساور Carl Sauer على الجيوبوليتيك فى ١٩٢٧ حين أسماها "الابن العاق فى الأسرة الجغرافية""Wayward child of geographic familN" (Sauer 1927).

ومنذ كارل ساور ظلت الجيوبوليتيكا بالنسبة لكثير من الجغرافيين موضوعًا محيراً وخلافياً وجدليًا، بل ومخجلاً أحيانًا. ولكن بالرغم من كل الإساءات العارضة، والبحث عن الحقيقة من آن لآخر، بل والإنكار وسوء السمعة فى أوقات أخرى، ظلت الجيوبوليتيكا كامنة بقوة داخل التخصص الجغرافى. بل إن الجغرافيين وغيرهم من الدارسين عادوا مراراً وتكراراً إلى هذا المجال الفكرى. وبالنسبة للعديد من الكتاب - وليس فقط أولئك الذين نعتبرهم محافظين ورجعيين سياسيًا- يبدو أن الجيوبوليتيكا قدمت وعوداً مغرية بتقديم منظور متميز للأحداث الجارية ورؤية فريدة إلى العالم السياسى.

ولذلك يقوم هذا الكتاب بجمع التأملات المتعلقة بالإشكالية المزمنة لما هو "جيوبوليتيكى" طوال القرن العشرين. وهو يحقق ذلك فى ضوء المقاربات التى وفرتها

التواريخ النقدية للجغرافيا والجيوبوليتيكا النقدية. ويتناول بعض التعبيرات الموضوعية للجيوبوليتيك، كما يتناول بعض التجارب غير الأنجلوفونية الأقل شهرة. ويحدد هذا الفصل أدوار الجيوبوليتيك عند المستويات النخبوية والشعبية والرسمية والعملية، بينما يؤكد الفصل على أن الجيوبوليتيك ترتبط ارتباطا وثيقا بالظروف المحيطة بمثل ما ترتبط بالسياق السائد.

ولا يعد الكتاب الذى بين أيدينا محاولة لتعريف أو تحديد موضوع الجيوبوليتيك، ولكن التحليل يدور حول الحركات والأفراد الذين استخدموا أو مارسوا هذا المصطلح بقدر من الوعى. وهكذا يمثل الكتاب محاولة أولية لفهم بعض خصائص "الجيوبوليتيك" عبر التاريخ، والاستخدام المستمر للأفكار الجيوبولوتيكية، بغض النظر عن كون هذا التراث الفكرى متفرقًا وغير متماسك. ومع ذلك، فإنه حتى وقت قريب لم يكن تناول هذا الموضوع فى كتاب أمرا مقبولا لدى بعض الجغرافيين. فخلال معظم فترة الحرب الباردة فى العالم الأنجلوأمريكى، كان الكثيرون داخل الجغرافيا الأكاديمية يتجنبون الجيوبوليتيكا. وتمثلت إحدى نتائج ذلك فى أن تواريخ الجيوبوليتيكا فى العالم الناطق بالانجليزية صارت جزئية وحافلة بالمشاكل. ولذلك، تناقش الصفحات الأولى تلك التواريخ الجزئية ومراجعاتها اللاحقة.

التواريخ الجزئية

ظهر الفكر الجيوبولوتيكى مع نهاية القرن التاسع عشر عندما حاول الجغرافيون وغيرهم من المفكرين تحليل وتفسير وفهم التحولات والفضاءات المحددة للعالم عند نهاية قرن Fin de Siecle (انظر Smith 1999, Kern1983, Kearns1983,1993؛Heffernan1998) ارتبطت الجيوبوليتيكا بهذا الشكل بعناصر الجغرافيا الأخرى التى شكلت أساس الإمبريالية الغربية فى تلك الفترة. وبالرغم من أن الطبيعة الواضحة لعلاقات الجغرافيا بالامبريالية جذبت مؤخرا اهتمامًا أكاديميًا متواصلا، فإن الفكر الجيوبولوتيكى طاردته

فى المقابل سمعة سيئة، وذلك خلال معظم فترة ما بعد الحرب. ففى الجغرافيا الأنجلوأمريكية على سبيل المثال، أفرزت تواريخ هذا المجال حتى وقت قريب ازدواجية مصطنعة، حيث ظل التراث الإمبريالى للجغرافيا غير معلن إلى حد بعيد، ولكن الجيوبوليتيكا كانت تتعرض للإهمال المنتظم باعتبارها شكل الجغرافيا القبيح الذى جُند لخدمة السياسة.

وغالبًا ما يرجع سوء السمعة هذا إلى ردود الأفعال الهستيرية ردا على كتابات كارل هوسهوفر Karl Haushofer عن الجيوبوليتيكا الألمانية والتى تم الإشارة إليها فى الصحافة الأمريكية فى أوائل أربعينات القرن العشرين .حيث كتب فردريك سوندرن Frederick(1941a, 1941b,1941a) Sondern عن "الألف عالم الواقفين وراء هتلر" مخاطبا الجمهور العريق من قراء دورية "ملخصات مختارة (ريدرز دايجست Reader's Digest) و دورية التاريخ المعاصر Current History فى ١٩٤١ . فقد سرد سوندرون قصة ذات مغزى عن:

"الدور الذى قام به اللواء والبروفيسور كارل هوسهوفر ومعهده الجيوبوليتيكى فى ميونخ، الذى ضم ١٠٠٠ عالم وفنى وجاسوس. وهؤلاء الرجال غير معروفين للجمهور غالبًا، حتى داخل الرايخ الألمانى. غير أن أفكارهم ورسوماتهم وخرائطهم وإحصاءاتهم ومعلوماتهم وخططهم هى التى حددت تحركات هتلر منذ البداية. (Sondern1941 b: 45).

وكانت هذه التقارير المتلاحقة، التى انتشرت فى صحف ومجلات أمريكا فى أوائل أربعينيات القرن العشرين، هى التى أثارت المزيد من الاهتمام بمعهد الجيوبوليتيكا Institute für Geopolitik ذى الطبيعة السرية وسيطرته المتصورة على السياسة الخارجية لهتلر والنازية. وألقت الجيوبوليتيكا الألمانية ظلالاً كثيفة على الخيال الشعبى الأمريكى، بل إن هذه الأفكار، وجدت طريقها إلى الكتب والسينما الشعبية (ótuathail 1996, Meilinger 1995,de Seversky 1942).

وعلى المستوى الرسمى، كانت إدارة روزفلت منزعجة لدرجة أنها أمرت بإعداد دراسات أكاديمية عن الجيوبوليتيك الألمانى(Whittlesey, Hartshorne and Colby 1942)

. وبالرغم من أن عناصر هذا التحليل تؤيد بُعد نظر سوندرن Sondern، فإن "خبراء" مستقلين مثل الأكاديمي الجزويني إدموند والش Edmund Walsh (راجع الفصل الثامن) كان لا يزال يقول إن:

"الحقيقة الأساسية التى لا خلاف عليها هى أن هوسهوفر - بصورة مباشرة فى بعض الأمثلة، وبصورة غير مباشرة فى الأخرى - قد نسق ودمج ونظم كل مجال الجغرافيا المقارنة لاستخدامات الزعيم (الفوهرر Führer) هتلر.... وأصبحت [الجيوبوليتيكا] الذراع الديناميكية المحركة لآليات قوة الدول. حيث حشد هوسهوفر عدداً ضخماً من الأفراد لمسح الأرض بحثًا عن الحقائق والمعلومات الجغرافية ذات المغزى (Walsh 1944:22).

وفى الواقع حظيت هذه الأفكار باهتمام كبير فى الولايات المتحدة، لدرجة أنه بعد انهيار الرايخ الثالث، بدأت إجراءات مقاضاة هوسهوفر فى محاكمات نورمبرج الحربية. وعلى الأقل كان واحد من فريق المحاكمة يعتقد أنه رغم أنهم لم يتمكنوا من محاكمة هتلر لانتحاره إلا أنهم بوسعهم أم يجدوا البديل فى العقل المدبر الحقيقى وراء النزعة التوسعية الألمانية (Jacobsen1969).

وهناك اعتقاد بأن هوسهوفر لم يكن ليحاكم فى نورمبرج، بالرغم من أن انتحاره فى ١٩٤٦ أجهض أية محاكمة (Jacobsen1969). ومع ذلك، فإن ارتباطاته المزعومة بالنازية ضمنت أنه بعد الحرب ستكون الجيوبوليتيكا منبوذة من الجغرافيين بصفة عامة، ومن الجغرافيين السياسيين بصفة خاصة. ففى كتاب دراسى نشر فى ١٩٤٨ ، وتحت العنوان الفرعى "الانحراف "، كشف إيتزل بيرس وريتشارد فيفيلد وآخرون عن محاولات مستميتة لتمييز الجغرافيا السياسية التى تعتبر "علماً سليماً حذراً وأميناً " عن الجيوبولوتيك التى وقع الباحثون فيها ضحايا الشعار المهووس المنادى بالحصول على "كل شىء أو لا شىء" فضلا عن تمييز الجغرافيين السياسيين عن أولئك الذين كانوا راغبين فى تحريف الجغرافيا السياسية إلى "فوضى جغرافية عارمة" من أجل

تحقيق أغراضهم. لقد مكنت الجيوبوليتيك الجغرافيين الألمان من التهرب من الرقابة الأخلاقية لعلمهم وتخطى ضميرهم العلمى (Etzel Pearcy, Fifield and Associates, 1948:23).

فى المقابل اختارت بعض تواريخ الجغرافيا الأخرى تجاهل الجيوبوليتيكا كلية. فلم يشر كرون Crone فى كتابه عن "أسس الجغرافيا السياسية" إلى الجيوبوليتيكا الألمانية سوى فى فقرة واحدة من بين ٢٣٩ صفحة، وذلك لمجرد أنه شعر أنه "يجب " عليه فعل ذلك (Crone 1967:106).

كما أن كتاب "الجغرافيا والجغرافيون" الذى نشره جونستون فى ١٩٨٧، لم يستحق هوسهوفر والجيوبوليتيك سوى سطرين فقط (Johnston 1987). وهكذا رفض كثير من الكتاب التورط فى هذا الماضى الشائك فى محاولات عزل الموضوع واستبعاده من تواريخ الجغرافيا. وفى نفس الوقت، نجد أن الأكاديميين الذين حاولوا إعادة تقييم "الجيوبوليتيكا" فى فترة ما بعد الحرب كانوا يخاطرون بالتعرض للنقد العنيف. فعندما حاول لاديس كريستوف Ladis Kristof (1960) إعادة تأهيل هذا المصطلح فى أوج الحرب الباردة، عانى من استهجان شديد(Alexander 1961).

ولا شك فى أن هناك استثناءات لهذه القاعدة. فكما يشير هبل Hepple (1986) فإن القول بأن الجيوبوليتيك قد تعرض للحظر فيما بعد الحرب فى العالم الأنجلوفونى ليس صحيحا بالمرة. إذ كان هناك كتاب كثيرون (غير جغرافيين أساساً) لا يزالون يستخدمون المصطلح (Chubb 1954; Roucek 1955, 1956, 1962)، واستمر آخرون فى استكشاف الأفكار الجيوبولوتيكية (Cohen 1964)، بينما حاول البعض تطويع الجغرافيا السلمية لأغراض السلام (Taylor 1957).

وكذلك فإن التجارب المكتوبة بالانجليزية لا تمثل الصورة كاملة : حيث انتعشت الجيوبوليتيكا فى بعض مناطق العالم. ففى أمريكا اللاتينية أصبحت الجيوبوليتيكا وثيقة الصلة بالأنشطة العسكرية التوسعية العنيفة لدول مثل البرازيل والأرجنتين وشيلى (انظر دراسة دودز Dodds فى الفصل السابع من هذا الكتاب، وراجع أيضا دراسة Hepple 1992).

وحينما يقوم ديكتاتور مثل أوجستو بينوشيه بتدريس الجيوبوليتيكا فى الأكاديمية العسكرية، تجد هذه الأفكار تطبيقاتها فى المبادرات السياسية الداخلية والخارجية. وفى ظل حكم الجنرالات تبدو الجيوبوليتيكا جزئية فى أحسن الأحوال، طالما أن أجهزة الأمن القومى تقتصر على تحديد "التهديدات" التى تواجه الدولة، ولكنها يمكن أن تصبح دموية بغيضة فى أسوأ الأحوال (Child 1985; Hepple 1992). ومن المؤكد أن الخبرة السابقة لم تسهم كثيراً فى تحسين السمعة الثقافية للجيوبوليتيكا.

وبغض النظر عن هذا، كانت الجيوبوليتيكا تبدو فى الجغرافيا الأنجلوفونية خلال معظم فترة ما بعد الحرب كما لو كانت محرومة ومنفية وباطلة، لأنها ضلال وانحراف خبيث. وبحلول ١٩٦٩، عندما انتقد بريان بيرى Brian Berry الجغرافيا السياسية على أنها "بركة آسنة" أصبحت الجيوبوليتيكا الجزء الأكثر ركوداً من هذا العلم الفرعى الخامد (Berry1969).

منظورات جديدة

لقد تحسن فهم تواريخ وتطور الجيوبوليتيكا كثيراً فى السنوات الخمس عشرة الماضية. وعلى سبيل المثال، فقد سمحت دراسات الجيوبوليتيكا الألمانية بتحقيق فهم أكثر عمقاً لنشأة وتطور وسياقات وأهمية الجيوبوليتيك فى ألمانيا خلال عهد فايمر وخلال الفترة النازية (Fahlbusch, Rössler and Siegrist 1989; Heske 1986; Heske and Wesche 1988; Jan van pelt and Dwork 1996; Korinman 1990; Kost 1989; Murphy 1994; Sander 1988; Sander and Rössler1994)، كما ساعدت فى التعرف على الطرق التى أضفت بها النازية الشرعية السياسية على الجيوبوليتيك، فضلا عن إدراك التهميش النهائى للحركة بسبب شكوك المنظرين العنصريين المتشددين للرايخ الثالث (Bassin1987b ; Heske1987).

وهناك أيضاً مفاهيم مختلفة لتوزيع الأفكار الجيوبوليتيكية فى عالم ما بين الحربين، ولإعادة مناقشتها فى عدد من الدول. فمثلاً حققت الجيوبوليتيكا درجات

متفاوتة من النجاح فى فنلندا (Passi 1990) والسويد (Holder1992) واليابان (Fukushi-ma1997;Takeuchi1980,1994) وهناك دراسات عن النقد الفرنسى للجيوبوليتيك الألمانى، وجهود صياغة الجيوبوليتيكا الفرنسية Desfarges 1996; Géopolitique Hef-fernan 1998; Parkler 1985, 1987). وتوضح دراسات حديثة كيف أن كلاً من الجيوبوليتيكيات الألمانية والفرنسية كانتا تقرءان فى إيطاليا الفاشية، حيث طور الجغرافيون "جيوبوليتيكا إيطالية" فى ضوء هذه الجيوبوليتكيات البعيدة، ولكنها مميزة عنها (Antonsich1996, Atkinson1995,1996;Raffestin,Lopreno and Pasteur1995) وكذلك تجددت الجيوبوليتيكا فى أسبانيا فى عهد فرانكو (Bosque-Maurel etal 1992 Sidaway,فى الكتاب الحالى)، وتوضح فصول فى الكتاب الذى بين أيدينا ظهور جيوبوليتيك فى خضم الأحداث التى مرت بالهند والأرجنتين والبرتغال خلال القرن العشرين (أعدها Sidaway, Dodds, Chaturved). وأجريت دراسات على الاستجابة للجيوبوليتيكا فى كل من الولايات المتحدة (Smith1984,1999;ótuathail 1996) والاتحاد السوفيتى (Hauner1992)، وهناك أيضًا دراسات عن المفكرين الجيوبوليتيكيين الأوائل أمثال راتزل Ratzel (Bassin1987a) وكيلين Kjellén (Holdar1992) وماكيندر (ó tua-thail1992,1996) وهناك تغطية للفروض والنظريات والممارسات الجيوبوليتيكية "للمفكرين الأمنيين" الأمريكيين بعد عام ١٩٤٥ (Dalby 1988, 1990a, 1990b; 1991, ó tuathail and Angew1992). وكذلك دراسات عن العناصر الشعبية فى الثقافات الجيوبوليتيكية الأمريكية أثناء الحرب الباردة (Sharp1993;1999). وأخيرًا، هناك أيضًا دراسات عن "مناهضة الجيوبوليتيكا anti-geopolitics" التى قاومت الربط بين التعبيرات الجيوبوليتيكية وقوة الدولة (Wittfogel 1985;ótuathail, Dalby and Rout-ledge1998).

وفى ضوء هذا الكم من الأعمال، يعتبر تاريخ الجيوبوليتيكا أقل تجزئة مما أشارت إليه المقدمة سابقًا. فمن المؤكد أن الجيوبوليتيكا الألمانية لعبت دورًا هامًا فى تطور وانتشار الجيوبوليتيكا عبر العالم الحديث. ومع ذلك، لا تروى التجربة الألمانية

القصة كاملة. فمن الواضح الآن أن التراث الجيوبوليتيكي يتطلب مجموعة متنوعة ومعقدة من التجارب، وسلسلة من "الجيوبوليتيكات" المختلفة لمناقشتها وتنقيحها فى سياقات مختلفة عديدة.

مسئوليات متجددة

فى ضوء هذا الفهم الأكثر تقدما للتواريخ الجيوبوليتيكية، بوسعنا الزعم أن الجغرافيين يتحملون مسئولية كبيرة عن التفكير فى نتائج المعارف الجيوبوليتيكية فى الماضى والحاضر. حيث تركز الدراسات الحديثة للعلاقات بين الجغرافيا والدولة والجيش على هذه النقطة فقط، إذ قدمت هذه العلاقات حافزًا قويًا لتأسيس الجغرافيا الأكاديمية فى أواخر القرن التاسع عشر. وكانت رعاية الدولة تحظى بترحيب الجغرافيين الذين كانوا بدورهم يبحثون عن زيادة قوة علمهم الحديث بإظهار استفادة "الأمة" من "علمهم".

وكان لتجميع وتنظيم وتداول المعرفة الجغرافية، فى ضوء خرائط ورسوم ومسوح وتقارير، أهمية عملية كبيرة فى تحقيق قوة الدولة (Bell, Butlin and Heffernan 1995; Godlewska and Smith 1994; Harley 1988,1989; Livingstone 1992; Jacob 1999). وهكذا قدم الجغرافيون أيضًا مساعدات عملية للنخب السياسية، بالإضافة إلى التسليح الفكرى الذى قدمته الجغرافيا للامبريالية. وفى إطار هذا السياق نجد أن الصياغة الأصلية التى قدمها رودلف كيلين لمصطلح الجيوبوليتيكا قد حددت الأساس الإقليمى للدولة الحديثة والعناصر الجغرافية للحكم.

وعلى هذا النحو تضرب جذور الفكر الجيوبوليتيكى عميقا فى هذا السياق. وقد تكون مجرد أعمال ضبابية تدخل فى الجوانب العملية للحكم، ولكن أية محاولة فكرية جادة للدخول فى تاريخ الجيوبوليتيكا لابد أن تعترف بأن هذا التخصص يمثل ببساطة إحدى النتائج المزعجة لربط التاريخ الجغرافى بقوة الدولة.

وهكذا ينادى الكتاب الذى بين أيدينا بتحمل المسئولية الفكرية التى تعترف بماضى الجيوبوليتيكا المضطرب والمتأثر بالملابسات والظروف المحيطة، ويكسف الكتاب فى نفس الوقت عن كيفية ظهور المعارف الجيوبوليتيكية فى أوروبا وأمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية وآسيا والشرق الأوسط.

ويتبنى الكتاب الذى بين أيدينا منظوراً نقديًا يضع هذه المعارف فى إطارها وسياقها. ويقدم ايضًا درجة أكبر من التعددية والتنوع فى الرؤى والمراجعة النقدية المتشككة فى الحوارات المتعلقة بالجيوبوليتيكا. وبينما نعترف بأنه يجب على الدارسين الغربيين أن يقدروا الأدبيات الجيوبوليتيكية الثرية الموجودة فى الصين واليابان وشرق أوروبا وأجزاء من أفريقيا، يذهب هذا الكتاب إلى أن أنه يمكن إعادة تفسير تواريخ الجيوبوليتيكا فى أوروبا وأمريكا الشمالية - وهى الأكثر شهرة - وذلك بقدر كبير من الفائدة الفكرية. ولتحقيق هذا الغرض يعتمد الكتاب الذى بين أيدينا على التطورات الحديثة فى الجغرافيا البشرية، والتى تساعد على تطوير فهم أكثر دقة للفكر الجيوبوليتيكى والتعرف عليه بشكل واضح وبطريقة نقدية. ويشمل ذلك التطورات التى مرت بكتابة التواريخ الناقدة للجغرافيا، وأفكار الجيوبوليتيكا النقدية. وسنوضح هذين الاتجاهين فى الصفحات التالية. وسننقح من فكرة "التراث الجيوبوليتيكى Geopolitical Tradition " فى ضوء كل ما سبق. وأخيراً، سنناقش منهج الأبحاث التى يضمها الكتاب الحالى.

التراث الجيوبوليتيكى والتواريخ النقدية للجغرافيا

التراث الجيوبوليتيكى عنوان اخترناه لمحاكاة النص بالغ الأهمية الذى قدمه ديفيد ليفنجستون (1992) David Livingstone بعنوان "التراث الجغرافى". ويتمثل القول الفصل فى ظهور "التواريخ النقدية للجغرافية" فى أن السرد الانسيابى الذى قدمه ليفنجستون كان أول تاريخ للجغرافيا يتمتع بالأهمية لتجنبه عمداً التاريخ المضطرب،

وتحاشيه للاستثنائية العلمية من أجل "وضع" إنتاج المعارف الجغرافية فى السياقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية التى جاءت منها (Haraway 1991;Livingstone1992;Smith and Godlewska1994) . فعلى عكس التواريخ السابقة التى غالبًا ما صورت الجغرافيا على أنها "علم" محايد متحرر، نجد أن ليفنجستون يعتبر المعرفة الجغرافية "بمثابة بناء اجتماعى وثقافى ومورد سياسى" (1992:3).

لقد أوضح الجدل الذى أثاره كتاب ليفنجستون بعض الجوانب "المختلفة" للجغرافيا، والتى كانت غامضة فى تراث ليفنجستون؛(Driver1994; Driver et al.1995; Withers et al.1996) وقد تفهم بعض النقاد استبعاد الجغرافيات غير الغربية (Sida-way, 1996) وممارسات الجغرافيا المتضمنة (Matless, 1995) أو قضايا النوع (Rose,. 1995) ولاحظ آخرون أن السياقات السياسية والاقتصادية (Withers et al.1996) أو الجغرافيات التقنية والطبيعية (Werrity and Reid1995) يمكن أن تكون قد حظيت باهتمام أكبر. ولكن فى ضوء هذه الحوارات، وفى ظل تأكيد ليفنجستون (١٩٩٢:٣٥٨) بأن الجغرافيا تضمنت أشياء مختلفة لأناس مختلفين فى أوقات مختلفة وفى أماكن مختلفة، أصبح الأمر بالتدريج أكثر وضوحًا وبات منتظرا أن نفكر فى تراث جغرافى متعدد، بدلاً من تراث جغرافى وحيد متميز (Livingstone1995a) وبالمثل فإنه بدلاً من البحث عن محور أساس بارز للجغرافيا، سنجد أنه من المفيد أن نتعرف على المعارف الجغرافية المختلفة التى أنتجت فى كل سياق بعينه.

ويتطلب إدراك أهمية السياقات ألا نعتبرها مجرد ستار لتكوين المعارف الجيوبوليتيكية. وعلى سبيل المثال، فإن الحوارات داخل ألمانيا النازية حول "المجال الحيوى Lebensraum" والاتجاه التوسعى نحو أوروبا الشرقية؛(Clarke and Doel1998; Jan van Pelt and Dwork1996) لابد أنها أفادت دورية الجيوبوليتيكا Zeitshrift für Geopolitik فى عرضها للمنطقة على أنها " المجال الحى Living-space" المتصور لألمانيا. وفى نفس الوقت، فرضت دورية "الجيوبوليتيكا" هذه الثقافات الأوسع بطرح نفس الأفكار.

ولم يكن الحال مختلفا فى أمريكا اللاتينية، حيث إن تفصيل الخطاب الجيوبوليتيكى فى ستينيات وسبعينيات القرن العشرين قد تشكل بدرجة كبيرة من خلال السياسات المتصارعة للحرب الباردة وهوس مناهضة الشيوعية، مما أدى إلى ظهور الأنظمة العسكرية الحاكمة فى الأرجنتين والبرازيل وشيلى وبيرو. حيث ساهمت هذه السياقات بفاعلية فى تكوين التصورات والمعارف الجغرافية المتعلقة بالأماكن والمجتمعات: ولذلك نجد أنه من الضرورى مراعاة هذه السياقات بصورة ملائمة.

وفى نفس الوقت الذى ظهرت فيه هذه الفظائع الحديثة فى أمريكا اللاتينية، حذر كوينتن سكنر Quentin Skinner من أن التركيز على سياق المعرفة يجب أن يوازنه الاهتمام بالنصوص المحددة التى تشكل هذه المعرفة أيضًا (Skinner 1969) وبعبارة أخرى كان النص والسياق مرتبطين بصورة تكاملية، واعتمد تأسيس كل منها على الآخر. وطوال عشرين سنة بعد ذلك، قام جغرافيون مثل فيلكس درايفر(١٩٩٤، ١٩٩٢) Felix Driver وديفيد ليفنجستون(١٩٩٢) بتذكير القراء بأن التواريخ السياقية للعلم ليست مرادفة بالضرورة للتقييم النقدى. فالتقييم النقدى يتطلب فهم كيفية هجرة الأفكار عبر الزمان والمكان وليس مجرد التمسك الشكلى بالسياق. ومن ثم فيجب دراسة كل من النصوص والسياقات والثقافات الفكرية معا، كى تتمكن من استكشاف الطريقة التى تم بها مناقشة وترسيخ هذه الأفكار، والنتائج المترتبة عليها. وأخيراً، فإن إعادة الدراسة النقدية للتقاليد الجغرافية قد أثارت الاهتمام بالنصوص والممارسات المختلفة التى شكلت الجغرافيا. ولم يعد الدارسون يقتصرون على المقالات العلمية الرسمية التقليدية، ولكنهم أصبحوا يستكشفون بشغف الخرائط (Harley 1988, 1989) والمصادر "الشعبية" كالأفلام والمعارض والتصوير والفن، حيث ساعدت كلها على تكوين الخيالات والمعارف الجغرافية (Cosgrove 1999; Matless 1998; Ryan 1994, 1996; Schwartz 1996) وهذا النوع من البحث يواصل ويوسع العمل النقدى على تكوين المعارف الجغرافية فى الإمبراطوريات الأوروبية ونظام الدولة الحديثة. وعلى سبيل المثال، فإن تحليل أوتواتيل لأعمال هالفورد ماكيندر يعترف صراحة بأن السياقات

المتعددة – التى تتراوح من الخلفية الشخصية وتجارب ما وراء البحار إلى مكائد السياسات الاستعمارية البائدة – يمكن أن تشكل الكتابات الجيوبولوتيكية الفردية ومدى تقبلها لاحقًا(ó Tuathail 1992, 1996; GoGwilt 1998) . وأخيراً، نجد فى نهاية الكتاب الذى بين أيدينا أن نيجل ترفت Nigel Thriftينادى بتوسيع مثل هذا العمل ليشمل الممارسات والهياكل الفعلية التى ساعدت على تحقيق الجيوبولوتيكا فى العالم "الحقيقى".

وتراجع مجموعة الأبحاث التى يضمها هذا الكتاب تلك التواريخ النقدية من أجل رسم تواريخ دقيقة للجيوبولوتيك. ويسهم الاعتراف بأن المعارف الجيوبولوتيكية تتأثر بالسياق الذى نشأت فيه فى تقديم إدراك متكامل لتعدد التراث الجغرافى، وعدم وجود محور ثابت أساسى للفكر الجيوبوليتيكى (ó Tuathail 1997) ويدعو هذا إلى التخلى عن الرغبة القديمة لدى العديد من الكتاب الجيوبوليتيكيين فى الكشف عن طبيعة ما هو "جيوبوليتيكى"، أو تعيين حدود التراث الجيوبوليتيكى.

وكان هذا بمثابة تجربة غير مجدية فى بعض الجوانب : فهناك شخصيات مثل ماكيندر تجنبت استخدام المصطلح (Mackinder 1942; Gilbert 1972)، فى حين أن مبتكره (كارل هوسهوفر) لم يستقر على أى تعريف لما هو جيوبوليتيكى. وهكذا يتضح أن معنى الجيوبوليتيكا كان غامضًا ومتغيراً دائمًا من الناحية التاريخية. وهكذا ظهر تحذير أوتواتيل البسيط كما يلى : " كل المفاهيم لها تاريخ ولها جغرافيا، ولا يمثل مصطلح "الجيوبوليتيكا" استثناء من ذلك. وقد كان لكلمة "الجيوبوليتكا" تاريخ طويل ومتنوع فى القرن العشرين، وذلك بما يتخطى معانيها الأصلية ... وهكذا يعتبر الوصول إلى تعريف محدد للجيوبوليتيكا أمراً شديد الصعوبة، وذلك لأن معنى مثل هذه المفاهيم يميل إلى التغير مع تغير الفترات التاريخية وهياكل النظام العالمى. ولا يمكن فهم الجيوبوليتيكا إلا فى سياق استخدامها التاريخى والمتغير" (ó Tuathail 1998a:1).

وقد اعترف بعض المعلقين الأوائل بهذه الحقيقة التى لا مفر منها، حيث يقول هانز فيجرت Hans Weigert فى ١٩٤٢: "ليس هناك شىء - يمكن جمع ملامحه كعلم

عام للجيوبوليتيكا - تستطيع كل منظمات الدولة الالتزام به. ولكن هناك العديد من أشكال الجيوبوليتيكا، كما أن هناك العديد من النظم المتصارعة بالدولة، وذلك فى ظل ظروف جغرافية معينة ... فهناك جيوبوليتيكا ألمانية، وجيوبوليتيكا فرنسية، وهناك عدة أشكال من الجيوبوليتيكا للولايات المتحدة وانجلترا. فكل أمة لديها الجيوبوليتيكا الخاصة بها" (Weigert 1942:22-3).

وبينما حظيت هذه الأفكار بتعبيرات متميزة ومتفاوتة فى مختلف الدول، إلا أنها لم تكن خطابات سحرية. وعلى سبيل المثال، كان تاريخ الجيوبوليتيكا فيما بين الحربين فى أوروبا يتصف بسلسلة من المبادلات والحوارات الفكرية بين "الجيوبوليتيكيين" فى ألمانيا وفرنسا وايطاليا واسبانيا والدول الاسكندنافية. حيث ترجمت كتابات كيلين عن الدولة إلى الألمانية فى ١٩٢٤, وجذبت اهتمام الدارسين فى فرنسا وألمانيا، ومنهم كارل هوسهوفر (Heffernan, 1998). وفى ثلاثينات القرن العشرين وصلت أفكار هوسهوفر إلى فرنسا وايطاليا واسبانيا واليابان والولايات المتحدة، حيث دار الحوار حولها بين المزيد من الجغرافيين.

ونتيجة لذلك يستحيل الحديث عن تراث جيوبوليتيكى جامع مانع. وفى الحقيقة، يوضح العديد من المساهمين فى هذه المجموعة (ومنهم أتكنسون، وكلافال، وهيبل، وسيداواى، وتاكوشى) كيف كانت الأفكار والممارسات الجيوبوليتيكية تنتقل عبر الحدود الإقليمية للدول. وبالتالى أصبح تداول وتبادل هذه الأفكار وجغرافياتها التاريخية (Liv-ingstone 1994: 1995b). بمثابة أحد أبعاد الجيوبوليتيكا التى تتناولها الأبحاث التى يضمها الكتاب الذى بين أيدينا، والذى يتناول أيضا أهمية السياقات الاجتماعية والسياسية، والمعارف والممارسات الشعبية، التى شكلت جميعها جيوبوليتيكات مختلفة فى أزمنة مختلفة.

الأرضية المشتركة : الجيوبوليتيكا النقدية وتواريخ الجيوبولتيكا

يتفق الاهتمام الحديث بالتواريخ النقدية للجغرافيا مع الاهتمام المتجدد بالأفكار الجيوبوليتيكية. حيث حاول ظهرت كتابات حملت عنوان "الجيوبوليتيكا النقدية" محاولة

الجمع بين تفسير التغير السياسى المعاصر والتقييمات النقدية للبيانات والتفسيرات الجيوبوليتيكية. ويعود هذا الاهتمام إلى دراسات نقدية متفرقة لجيوبوليتيكا الحرب الباردة (O Sullivan 1982,1986; óTuathail 1986) وتقارير الاضطرابات الاقتصادية الجغرافية (Agnew and Corbridge 1989). ومع ذلك، تضاعفت هذه الدراسات خلال تسعينيات القرن العشرين، ودفعت الجيوبوليتيكا إلى قلب حوارات الجغرافيا البشرية المعاصرة. وبالتالى يعتمد عدد من فصول هذا الكتاب على رؤى واتجاهات الجيوبوليتيكا النقدية أثناء إعدادها لتواريخ الفكر الجيوبوليتيكى.

وقد اعتمد ظهور الجيوبوليتيكا النقدية على الاعتراف بأن جغرافيات السياسة العالمية لم تكن حتمية ولا ثابتة، ولكنها كانت تتحدد ثقافياً وتستمر سياسياً من خلال الخطابات والممارسات الاستعراضية لفنون الحكم (Dalby 1990a, 1990b; ó Tuathail and Agnew 1992). ولتحقيق هذا الهدف، أعاد أوتواتيل وأجنيو ó Tuathail and Agnew (1992) صياغة مفهوم الجيوبوليتيكا على أنها خطاب يشمل مكونين متداخلين. فأولاً، هناك "الجيوبوليتيكا العملية" لفن الحكم اليومى، حيث ينقسم العالم إلى مناطق ذات صفات وخصائص متخيلة - مما يؤدى إلى وجود تشكيلة من أماكن "الخطر" أو "التهديد" أو "الأمان" التى تشكل السياسة الخارجية. وثانياً، هناك "الجيوبوليتيكا الرسمية" التى يضعها "المفكرون الأمنيون" الذين يقدمون النظريات والاستراتيجيات التى توجه وتبرر فن حكم الجيوبوليتيكا العملية. وقد أثبتت المؤسسة العسكرية والسياسية للولايات المتحدة فى الحرب الباردة أنها مجال خصب جداً للدراسة. حيث انتقد دالبى Dalby (1988, 1990a, 1990b) وأوتواتيل وأجنيو Gearóid óTuathail and John Agnew (1992). الخطاب الجيوبوليتيكى الأمريكى الذى صور الاتحاد السوفيتى على أنه خطير ومهدد وتوسعى. وقد أدى هذا إلى إضفاء المشروعية على ميزانيات الدفاع الأمريكية، وعلى سياسات "الاحتواء" والتدخل فى مناطق أخرى من العالم. ومن المثير للسخرية أن هذه العروض البسيطة كانت جغرافية وأحادية البعد، بينما كان يفترض أن تقوم على معارف "خبيرة" (ó Tuathail 193; ó Tuathail and Agnew 1992).

ولم يكونوا فى حاجة إلى التقدم المرعب لكى يحققوا الفعالية السياسية، لأنه فى حالة غياب الانتقادات الهامة، يظل الخطاب الجيوبوليتيكى بلا تحدٍ حقيقى.

وقد طرح أوتواتيل ودالبى óTuathail and Dalby (1998b) أربع نقاط إضافية تميز الجيوبوليتيكا النقدية، وذلك فى مقدمة كتاب "إعادة التفكير فى الجيوبوليتيكا" Rethinking Geopolitics، وهو كتاب حديث يستكشف مجال الجيوبوليتيكا النقدية بصورة أوسع. فبعد إعادة التأكيد على أهمية تقسيم العالم حسب فن الحكم، تمثلت النقطة الثانية فى توضيح كيف أثرت هذه الممارسات الاستعراضية على سياسات الهوية. حيث يدعيان أن التقسيمات المفروضة بين "الذات" المحلية و"الآخر" تظل قائمة بسبب التخيلات الجيوبوليتيكية والحدود المادية والمعنوية التى تقسم العالم إلى مجالـ"نا" ومجالاتـ"هم" (Shapiro 1998) .

ثم خلص أوتواتيل ودالبى ثالثا إلى أن المعارف الجغرافية ليست حقًا مطلقًا قاصرًا على النخبة السياسية ومستشاريها ووثائقها السياسية، بل إن "الثقافات الجغرافية" تجد التعبير عنها أيضًا فى المجالات اليومية فى التليفزيون والسينما والقصص والصحف ونظام التعليم الرسمى والسياسة المعتادة للقومية العادية (Billig 1995; Sharp 1999). وكما أن التواريخ النقدية تتناول الآن الثقافات الشعبية، فإن المعارف الجيوبوليتيكية "الشعبية" أيضًا تعد على أهمية كبيرة، وذلك لأنها تساهم فى إنتاج وتداول التفسير الجغرافى "السائد" الذى يؤثر على الرأى العام.

ففى الأرجنتين مثلاً، لعب نظام التعليم الرسمى والكتب الدراسية الجغرافية أدوارًا مهمة فى تكوين التخيلات الجغرافية للمواطنين والمعتقدات السائدة المؤكدة على ضرورة استرداد أقاليم مثل جزر ملفين، وذلك حتى تحقق الأرجنتين التنمية والتقدم والعدالة السياسية (Dodds 1998).

ووصل أوتواتيل ودالبى إلى النقطة الرابعة، فذهبا إلى القول بان الممارسات الفكرية والفروض المعرفية الكامنة فى الفكر والممارسات الجغرافية تحتاج إلى البحث

العميق بدلاً من تقبلها بلا نقد. ويتمثل أحد عناصر هذا النقد فى دراسة سياسة التصور أو الرؤية. حيث تنادى نصوص جيوبوليتيكية كثيرة بضرورة بوجود تصور ورؤية شاملة، ولكنها نادراً ما تدرس مدى حقها فى إعلان أماكن معينة على أنها "قلب الأرض" أو "مناطق هامشية" أو "نطاقات تصادم القوى shatterbelts".

ويظهر اتجاه أكثر تكاملاً فى الجيوبوليتيكا يشير إلى أن هذه النظرات، التى يفترض أنها متميزة، فشلت فى التعرف على فروض وخيالات الجيوبوليتيك. وعلى سبيل المثال، يوضح بحث حديث عن حالة النوع والجيوبوليتيك كيف أن النظرات النوعية والعرقية للمراقبين الجيوبوليتيكيين فى أوروبا وأمريكا الشمالية أكدت أن معرفة العالم السياسى لم تكن محايدة (كما يدعى البعض) ولا خالية من تحيزات معينة (Dalby 1994) وهكذا فإن الجيوبوليتيكا النقدية يجب أن تدرس كيفية تصور "الخبراء" الجيوبوليتيكيين للعالم، مما يضمن أن تعرض الادعاءات الجيوبوليتيكية بامتلاك الحقيقة والرؤية المتميزة على أنها جزئية وشخصية.

وأخيراً، يناقش أوتواتيل ودالبى "التفسير الموضعى" للجيوبوليتيكا فى إطار المعايير الاجتماعية والمكانية والسياسية والتقنية لنظام الدولة الحديثة. ونظراً لأن الفكر الجيوبوليتيكى كثيراً ما يواجه المسائل الملحة المتعلقة بالحكم والتى تواجه الدول فى إدارتها وتنظيمها لأقاليمها، فإن التعرف على هذه السياقات ونقدها يصبح مهمة أساسية.

ولذلك فإن الاعتقاد بأن التمثيل الجيوبوليتيكى للسياسة العالمية يستحق الاهتمام الشديد له فى حقيقة الأمر جزء أصيل من صميم الجيوبوليتيكا النقدية، لأن هذا "التصوير" للعالم هو الذى يساعد على تشريع وتقنين السياسات الخارجية. ففى الوقت الذى بدأت فيه هذه الدراسات فى عرض الفروض والتمثيل المكانى لفن إدارة الدولة (Dodds And Sidaway 1994)، أصبحت الجيوبوليتيكا النقدية أكثر تقدما من حيث أطرها التحليلية ومحتواها، حتى أن بعض النقاد يشكون اليوم من أن التركيز على

مفاهيم مثل تحليل الخطاب، والتمثيل، والمعنى، والهوية، قد تم الإفراط فيه على حساب قضايا الاقتصاد السياسى . بينما ينزعج آخرون من أن مصطلح الجيوبوليتيك ذاته لم يدرس بصورة كافية، أو من أن تحليل الخطاب الجيوبوليتيكى كان محدداً بصورة ضيقة. ويرى البعض الآخر أن تركيز إنلو Enloe (1989) على أدوار النساء التى تؤثر فى الجيوبوليتيكا العملية لازال فى حاجة إلى دراسة دقيقة. ولابد أن نتذكر أيضًا أن إيف لاكوست Yves Lacosie تنبا بالعديد من إشارات الجيوبوليتيكا النقدية فى المجلة الفرنسية هيرودوت فى سبعينيات القرن العشرين (انظر Claval and Hepple، فى هذا الكتاب، óTuathail 1996, Lacoste 1976).

ومع ذلك، ثمة قدر من الشك فى أن رؤى الجيوبوليتيكا النقدية ساعدت على إعادة تنشيط الاهتمام بالأفكار الجيوبوليتيكية. فمثلاً، يتناول عدد من فصول هذا الكتاب ـ ومنها فصول أتكنسون وسيداواى ودودز ـ تحديد مواقع أقاليم العالم. وكذلك فإن إقامة الحدود بين "الذات" و"الآخر" تشكل إسهامات كيربى وأوتواتيل وشاكورفيدى وشارب وغيرهم.

وبالمثل يتناول عدد من الفصول التالية الوعى المتزايد بالأبعاد الشعبية للجيوبوليتيكا، وبالسياقات المكانية التى أنتجت المعرفة الجيوبوليتيكية. وبالرغم من أنه ليس كل المؤلفين المشاركين فى هذا الكتاب يربطون أنفسهم بتعبير الجيوبوليتيكا النقدية، فلا شك أن هذه الأدبيات قد ساعدت على تغيير الأجندات الفكرية والسياسية المحيطة بدراسة الفكر الجيوبوليتيكى. ولذلك فإن الجمع بين هذه الرؤى واهتمامات التواريخ النقدية يوفر إمكانات المشاركة المثمرة (Dodds and Sidaway 1994). وهذا يوفر أيضاً فرص تطوير المزيد من فهم التقاليد الجيوبوليتيكية خلال القرن العشرين.

التراث الجيوبوليتيكى

بالرغم من تعدد المعارف الجيوبوليتيكية والطبيعة السياقية الظرفية لإنتاجها، تشير الدراسات التى يتناولها الكتاب الذى بين أيدينا إلى أن هناك عنصراً هاماً آخر فى الظواهر الجيوبوليتيكية يتمثل فى استمرارية ومرونة وتواصل الفكر الجيوبوليتيكى

عبر السنين، وذلك بالرغم من الجدل الذى يحيط به. وفى ظل كل هذا، يشير العمل الحالى إلى أن "التراث الجيوبوليتيكى" المتناثر قد ربط الأفكار الجيوبوليتيكية عبر المائة سنة الماضية. وذلك لأنه بينما تتبع مؤلفون آخرون تطور الجيوبوليتيكا طوال القرن Raf-festin, Lopreno and Pasteur 1995, ó Tuathail, Dalby and Routledge 1998; ó Tua-thail 1996, Desfarges 1996، وأثار العديد منهم تعبير "التراث الجيوبوليتيكى" Muir 1997; ó Tuathail and Agnew 1992; ó Tuathail 1996, Parker 1985, 1998). شكك القليلون فى المفهوم معتبرين أن هناك تراث آخر متنوع للفكر الجيوبوليتيكى(ó Tuathail 1996).

لقد فرض مفهوم "التراث الجغرافى" الذى قدمه ليفنجستون، والجدل الذى دار حوله، عدداً من التساؤلات حول التقاليد الفكرية، حيث أشار نقاد عديدون إلى أن بعض صيغ التراث الجغرافى كانت جزئية غالباً (Stodd art1986). إذ وضحوا بالتحديد كيف كانت المرأة وأشكال المعرفة البديلة تستبعد كثيراً من هذه الصيغ الخاصة بـ"التراث" (Domosh 1991a,1991b; McEwan 1998; Matless 1995; Rose 1995). وتقول جيليان روز Gillian Rose (1995) إن بناء أى تراث لابد أن يمثل تجربة فى الاحتواء والاستبعاد، ولذلك فإن أية مجالات "تحليلية" تقسمها هذه التقاليد لابد أن ينتج عنها هذه الحالات من الاستبعاد. وتقترح أن أحد حلول هذه المشكلة قد يتمثل فى الاعتراف بالمجالات المتعددة للتقاليد(Rose 1995).

وقد حاولنا فى مجموعة الأبحاث التى بين أيدينا تقديم مجالات تحليلية يمكن داخلها دراسة التعبيرات المختلفة للجيوبوليتيكا. وليس هناك محاولة لتحديد ما هو "جيوبوليتيكى"، أو تعيين حدوده، باستثناء الاعتراف بآثار تقليد "الاختيار الذاتى"، حيث قام الأفراد والجماعات "بصورة واعية" بتبنى واستخدام والتزام مصطلح "جيوبوليتيكا" عبر الزمن. ولكن لم يتضمن ذلك درجة محددة من اليقين والتقدم المتواصل فى "التراث"(Parker 1998)، إلا أنه يشير إلى أن هناك "بعض" العلاقات بين

التعبيرات الجيوبوليتيكية التى حددت موقعها طواعية – وإن كان بصورة غامضة – بالنسبة للأفكار أو النصوص أو الحركات الأخرى التاريخية أو المعاصرة، والتى سمت نفسها أيضًا "جيوبوليتيكية". وبالرغم من عدم بلورة العلاقات البينية وتواتر أفكار الجيوبوليتيكا، إلا أنه من المفيد أن نفكر فى التراث الجيوبوليتيكى بهذا المعنى الواسع.

ويتحدث الفيلسوف أليسدير ماك انتير Alisdair MacIntyre (1985, 1990) عن "تقاليد البحث" الممتدة تاريخيًا ويجد تعبيرات متكررة عنها فى مواقع محددة. ويتبن ليفينجستون Livingstone (1992, 1995a, 1995b) هذه الفكرة، ويؤكد على أن الحوار والجدال والتعددية تمثل دليلاً على وجود تراث صحى ومستمر. وهكذا فإن نقاد الأفكار الجيوبوليتيكية، بما فى ذلك منهج الإثارة الشعبية الذى اتبعته الصحافة الأمريكية فى أربعينيات القرن العشرين، وانتقادات ويتفوجل أو لاكوست، والاحتجاجات "المناهضة للجيوبوليتيكا"، وتطورات الجيوبوليتيكا النقدية، تمثل كلها جزء من هذا التراث الجيوبوليتيكى الواسع (ó Tuathail 1996; Wittfogel 1985).

وكذلك فإن أولئك الذين تبنوا التبرير الجيوبوليتيكى - من ألمانيا النازية أو إيطاليا الفاشية إلى الأرجنتين أو الهند – قد شاركوا فى هذا التراث بنفس القدر. ولذلك تهدف هذه المجموعة إلى توضيح إحساسنا بهذه التعبيرات الجيوبوليتيكية الضخمة وتداخلاتها ومساراتها عبر سلسلة من السياقات المختلفة. ولكنها تشير أيضًا إلى أن الأفكار الجيوبوليتيكية يعاد بحثها ومناقشتها فى بعض المناسبات فى إطار "تراث" واسع وتعددى، بالرغم من أن ذلك قد يكون ضعيف التركيز وضعيف التشكيل. وهكذا فإن إسهامات زملائنا هى التى مكنتنا من دراسة هذه الأفكار. وفى الصفحات التالية من هذا التمهيد نقدم نظرة موجزة لإسهاماتهم.

مناقشة الفصول

ينقسم الكتاب إلى أربعة أجزاء، والفصول مرتبة بترتيب زمنى واسع عبر هذه الأجزاء. حيث يركز الجزء الأول على ظهور وتطور الأفكار الجيوبوليتيكية فى مختلف دول العالم. ويتناول الجزء الثانى العلاقة بين الأفكار الروحية (الدينية) والهويات القومية والفكر الجيوبوليتيكى. ويستعرض الجزء الثالث المحاولات المختلفة لإعادة صياغة وتشكيل الأفكار الجيوبوليتيكية فى الماضى القريب. ويضم الجزء الأخير تعليقين مختصرين مفيدين يتأملان فى المستقبل المحتمل للفكر الجيوبوليتيكى، حيث يبدأ المصطلح قرنه الثانى مع العقد الاول من القرن الحادى والعشرين. ولا تهدف هذه الأجزاء إلى إبراز تقسيمات هامة بين المقالات، بل هناك سلسلة من الأفكار المتكررة الممتزجة فى كل هذه الإسهامات.

الجزء الأول: إعادة التفكير فى التواريخ الجيوبوليتيكية

يؤكد الفصل الافتتاحى الذى كتبه ميشيل هيفرنان اتجاه الجيوبوليتيكا للظهور فى فترات الاضطراب بصورة خاصة. حيث يعود هيفرنان إلى أصول الجيوبوليتيكا الأوروبية، ويضع هذه الأفكار فى المناخ الأكاديمى والسياسى المضطرب لأواخر القرن التاسع عشر. ويقول إن إعادة صياغة الجيوبوليتيكا المبكرة يجب أن تركز على الاهتمامات الرئيسية بالمجال الفكرى والجغرافى "لأوروبا؟"، والتى ميزت الدراسات البريطانية والفرنسية والألمانية فى تلك الحقبة. وعلى سبيل المثال، فإنه عندما يركز الكتاب على مفهوم "قلب الأرض" عند ماكيندر، نجد أن معظمهم يتجاهل إسهامه الأكبر فى الحوارات الدائرة حول الجغرافيا الثقافية والسياسية لأوروبا. وتعكس مناقشة

هيفرنان لهذه الحوارات مدى عدم التأكد الذى كان سائداً فى نهاية القرن التاسع عشر، ويشير أيضًا إلى مدى إمكانية إعادة قراءة المصادر الجيوبوليتيكية المبكرة، وذلك بهدف النظر من زوايا مختلفة إلى "التراث الجيوبوليتيكي".

وفى نفس الفترة كان القلق القومى من "العالم المغلق" حديثًا يؤثر على النصوص الأقل رسمية التى درسها أندرو كيربى. حيث ركز اهتمامه على الجوانب الجيوبوليتيكية التى ملأت الروايات الإنجليزية الشعبية فى العقود الأولى من القرن العشرين. ونتيجة للثقافات الجيوبوليتيكية الأوسع حاليًا، فإن أدبيات مثل "غربال الرمال Riddle of the Sands" الذى كتبه إرسكن شلدرز Erskine Childers، و"الخطوات التسع والثلاثون The Thirty Nine Steps" الذى كتبه جون بوشان، ومغامرات بيجلز "Biggles" التى كتبها القائد جونز، يمكن تفسيرها بمصطلحات جيوبوليتيكية متميزة. إذ إنها مليئة بمخاوف " قلب الأرض" الثقافى الانجليزى من تعرضه لتطويق وحصار الغواصات الألمانية، والأخطار التى تفرضها المراكز الأوربية على بريطانيا، وبطولة القائد الشجاع جيمس بيجلز وورث، الذى حافظ على الإمبراطورية من حصار حلقة دولية من الخصوم. ونتيجة للقراءة المتعمقة لهذه النصوص، يوضح كيربى أن الجوانب الشعبية للتبرير الجيوبوليتيكى يجب ألا تختلف عن الصياغات الرسمية لفن الحكم، لأنه بالإضافة إلى الجيوبوليتيكيين المعاصرين، كان هناك الكثير من المؤلفين الشعبيين الذين توقعوا ظهور مجالات جغرافية جديدة فى سياسة العالم، أو قدموا اهتمامات مشتركة مدروسة حول المجال الدولى.

وتمثل تفاعلات الأفكار والأفراد والمؤسسات فى الخطاب الجيوبوليتيكى اليابانى الفكرة الأساسية فى مقال كاييشى تاكيوش Keiichi Takeuchi فخلال عشرينات وثلاثينات القرن العشرين ترجمت كتابات كيلين وهوسهوفر إلى اليابانية، وأثارت أفكارهما مساهمة نقدية من جغرافيين مثل سيكاو فوجيساوا و تارو تسوجيمورا. ويرتبط بهذا التبادل فى تطور أفكار الدولة والبيئة حوارات يابانية حول القومية

والتوسع الاستعمارى. وبينما كان تاكيوشى يحث الجغرافيين اليابانيين على تحمل المسئولية عن الارتباطات التاريخية لعلمهم بالامبريالية، فقد كشف أيضًا عن كيفية إظهار بعض الجغرافيين لقدر كبير من الشجاعة الفكرية لمقاومة تيارات فكرية معينة.

ومن الناحية المنهجية، يوضح هذا الفصل قيمة الدراسة العميقة لمفاهيم مثل الحتمية البيئية والسياسة الإقليمية، ومناقشتها فى الجامعات اليابانية والمؤسسات البحثية والجهات الحكومية. ويكشف أيضًا عن أهمية الحركات الجيوبوليتيكية الأساسية مثل "الجيوبوليتيكا الألمانية"، وبعض الشخصيات الهامة مثل كيلين وهوسهوفر فى التداول العالمى للأفكار الجيوبوليتيكية.

ويتضح الإحساس بهجرة الأفكار الجيوبوليتيكية أيضًا فى تقرير ديفيد أتكنسون عن المجالات الجيوبوليتيكية فى إيطاليا الحديثة. ويناقش ظهور الصيغة الإيطالية للجيوبوليتيكا، والتى تتمتع بالوعى الذاتى، وسط اضطرابات عالم ثلاثينيات القرن العشرين. إذ إن رغبة النظام الفاشى فى توسيع الخيال الجغرافى للشعب الإيطالى ضمنت دعم الدولة لإنتاج جيوبوليتيكا إيطالية من ١٩٣٩ إلى ١٩٤٢، ويناقش أتكنسون رؤى تلك المجالات إلى العالم من خلال القوى المفترضة الشاملة الحديثة للمسرح. وبالرغم من أن الجيوبوليتيكا فى إيطاليا عانت من الارتباط بالجيوبوليتيكا الألمانية فيما بعد الحرب، إلا أن سقوط الجمهورية الايطالية الأولى فى (١٩٩٢-١٩٩٤) توافق مع ظهور مجلة جيوبوليتيكية إيطاليا جديدة بعنوان لايمس .Limes ويرى أتكنسون أن فترات عدم الاستقرار والأزمات هى التى تشجع على تطور طرح نظرات جيوبوليتيكية تحليلية شاملة.

ويقدم جيمس سيداواى واحداً من التقارير القليلة باللغة الانجليزية عن الجيوبوليتيكا الاسبانية والبرتغالية. فهنا أيضًا ظهرت الخطابات الجيوبوليتيكية فى أيبيريا بفضل التواصل الفكرى مع الجغرافيا الألمانية والبريطانية والأمريكية والفرنسية فى ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين. ومع ذلك، نجد أن ظهور الحكومات العسكرية

فى أيبيريا شجع التبادل الفكرى بين كل من الدارسين الأكاديميين مثل جيم فيسنس فيفر Jaime Vicens Vives والأكاديميين العسكريين، وذلك فى تشابه بالغ مع تجربة أمريكا الجنوبية. فكما كان الحال مع حركات جيوبوليتيكية أخرى، قدمت الجيوبوليتيكا الأيبيرية صوراً مرئية واضحة لتفصيل الرؤية المفترضة. وبالمثل كان خطابها الجيوبوليتيكى يهدف إلى إثراء وتوسيع الخيالات الجغرافية القومية التى بدت غير مستعدة للتعامل مع اضطرابات التحرر من الاستعمار وفترة الحرب الباردة. وقد اختتم سيداواى مسحه بالكشف عن الآثار التى خلفها دخول اسبانيا والبرتغال فى الاتحاد الأوروبى على حوارات وجدالات جيوبوليتيكية جديدة حول الهوية القومية.

وأخيراً، يضع كلاوس دودز فى هذا الجزء الكتابات الجيوبوليتيكية الأرجنتينية فى إطار ظهور دولة ما بعد الاستعمار فى أوائل القرن التاسع عشر. ومع ذلك، كان عدم اليقين الجغرافى والثقافى فى مشروع بناء الدولة هو الذى أثار أشكال التعليم الوطنية، بما فى ذلك الاهتمام المستمر بالجغرافيا والتاريخ. وهكذا تسللت الخطابات الجيوبوليتيكية إلى الحياة السياسية الأرجنتينية فى القرن العشرين، وذلك بالمساعدة النشطة من الجيش. ونتيجة للتأثر بالكتابات الجيوبوليتيكية الألمانية والأمريكية، أنتج المؤلفون الجغرافيون والعسكريون الأرجنتينيون مجلدات ضخمة تتعلق بالجغرافيا القومية وبرامج التنمية. والأهم من هذا أن النظم العسكرية فى ستينيات وسبعينيات القرن العشرين أثارت الاهتمام بمناهج الأمن القومى والأمن الجيوبوليتيكى. إذ يقول دودز باقتناع إن الجيوبوليتيكا مكنت السياق العسكرى والذى أضفى الشرعية على السياسات الخارجية التوسعية والسياسات المحلية القمعية. وأخيراً، يقدم دودز مناقشة وإعادة تقييم ومراجعة للحوارات الجيوبوليتيكية التى ظهرت بعد سقوط الحكومات العسكرية فى ثمانينيات القرن العشرين.

الجيوبوليتيكا والأمة والأبعاد الروحية

بينما تشغل مسائل الهوية القومية الكثير من مناقشات الجيوبوليتيكا، نجد أن الأعمال التى تتناول الهويات الروحية أو الدينية قليلة. ولذلك يحاول الجزء الثانى من

هذا الكتاب إصلاح هذا الوضع بفصلين يناقشان "الأبعاد الروحية" فى إطار مسائل القومية والجيوبوليتيكا والعلاقات الدولية. ففى هذا المجال تتلمس المقالات التوترات القائمة بين المثالية والواقعية التى تتصف بها الحوارات الجيوبوليتيكية العملية والرسمية. فقد أنتج العديد من الجيوبوليتيكيين الازدواجية البسيطة التى تعتبر هاتين الفئتين مستقلتين عن بعضهما. ويوضح هذان الفصلان كيف يمكن دمج هذين المنظورين لتفسير الفكر الجيوبوليتيكى.

لقد ساعدت العلاقات بين الدين والجيوبوليتيكا جيرويد أوتواتيل فى دراسة حالة الأب إدموند والش. حيث شملت الحياة العملية الاستثنائية لوالش - الذى تدرب كراهب جزويتى وعالم سياسى - شغل مناصب مثل المدير العام لبعثة الإغاثة البابوية فى موسكو فى عشرينات القرن العشرين، والمحقق الخاص بكارل هوسهوفر قبل محاكمات نورمبرج. وعندما أصبح عضواً بارزاً فى جامعة جورجتاون فى واشنطون لاحقاً، أثر على جيل من السياسيين الأمريكيين ومنهم السيناتور جوزيف ماكآرثى. حيث تضافرت غيرته الدينية المنيعة مع خبرته الواسعة بروسيا لإنتاج عدة أعمال قوية تظهر كراهية شديدة للاتحاد السوفيتى والشيوعية. ويظهر أوتواتيل كيف أن المسارات الفكرية والسياسية للأفراد يمكن أن تساعدنا على الكشف عن تواريخ الجيوبوليتيكا. وبالإضافة إلى ذلك، فإنه يركز على مكان الدين فى التقاليد التى كثيراً ما تعتبر ذاتية التشكل وحديثة ودنيوية ومادية.

وفى تجربة أخرى، دخلت الانتماءات الدينية فى تكوين الخيالات الجيوبوليتيكية العامة والخاصة فى الهند فيما بعد الاستعمار. حيث يقول سانجاى شاتورفيدى Sanjay Chaturvedi إنه بعد ١٩٤٧ قامت النخبة الحاكمة بالهند ببناء مجتمع قومى سياسى يعتمد على مفاهيم المواطنة بشكل مطلق. ويرجع هذا إلى أن القوميين الهندوس أعادوا صياغة جغرافية وتاريخ الهند بطرق لم تعترف بالتنوع العرقى والدينى. وبالتالى استخدم الساسة الهنود ممارسات وخطابات ترتبط بالأمن القومى

والحدود الإقليمية لتبرير الإنفاق العسكرى والمواقف العدوانية فى الأقاليم المتنازع عليها فى كشمير والبنجاب. وبينما لعبت دول مجاورة مثل باكستان دورها فى استمرار العنف الطائفى، ظل التفكير الجيوبوليتيكى الهندى متأثرًا بالمخاوف المتعلقة بحتمية حماية حدود الدولة ضد كل "التهديدات" المحتملة، بغض النظر عن أية تكاليف إنسانية. وتوضح التوترات الأخيرة حول الاختبارات النووية فى مايو ١٩٩٨ استمرار وجود هذه التخيلات الجيوبوليتيكية فى شبه القارة الهندية، وتشير إلى تحديات تكوين مجتمعات سياسية أكثر شمولاً.

إعادة إصلاح واستعادة الجيوبوليتيكا

تتناول المجموعة قبل الأخيرة من المقالات إعادة صياغة الأفكار الجيوبوليتيكية فى السياقات المتغيرة لأواخر القرن العشرين. وتوضح أيضًا استمرار اللجوء إلى الجيوبوليتيكا فى محاولات تفسير التحولات العالمية. وقد يتمثل أكثر مصادر التحليل الجيوبوليتيكى اتساقًا فى فترة ما بعد الحرب - فضلا عن أن ذلك عد واحدا من أهم محاولات إعادة صياغة ما هو "جيوبوليتيكى" - وبصفة خاصة فى المجلة الفرنسية اليمينية "هيرودوت". وبالتالى يقدم مقالان فى هذا الكتاب تقارير متكاملة عن هذه المجلة وأثرها.

فى المقالة الأولى يقدم بول كلافال صورة شخصية مدهشة للجغرافيا الفرنسية فى فترة ما بعد الحرب. ونظرًا لكونه أستاذًا للجغرافيا بجامعة السوربون، فقد كان معلقًا بارزًا على الجغرافيا الفرنسية وعلاقتها بالمجال الأكاديمى الأنجلوأمريكى. حيث يوضح كلافال كيف أن مجلة "هيرودوت" التى أصدرها ييفز لاكوست قد انخرطت خلال سبعينيات القرن العشرين فى الجيوبوليتيك، وذلك من خلال الاعتراف بداية بسياسة المعرفة الجغرافية. وبعد ذلك، اعتبرت الجيوبوليتيكا المعدلة لليسار أن مجلة "هيرودوت" توسع حدود ما هو جيوبوليتيكى. ويعرض كلافال بعض النتائج فى ورقته. ويختتمها

بتقييم أمين لأبحاث "هيرودوت" ويحدد بعض الثغرات فى هذا الكم الضخم من إنتاجها الفكرى الفكر.

ويكمل تفسير ليسلى هيبل للجيوبوليتيكا الفرنسية بعد الحرب تحليل كلافال بنظرة انجليزية على هيرودوت. وعلى عكس الحوارات والمناقشات الجيوبوليتيكية السابقة، يقول هيبل إنه كان هناك "نقص" فى تبادل الأفكار بين الجغرافيات السياسية الفرنسية والأنجلوفونية فى العقود الحديثة. فمن الناحية التاريخية، تمتعت الجغرافيا السياسية الفرنسية بروابط مهمة مع الجغرافيين الايطاليين والإسبان. ومع ذلك، كان الجغرافيون الانجلوفونيون غائبين إلى حد بعيد عن هذه الحوارات بسبب ضعف المهارات اللغوية والتزامهم بالجهات الأنجلوأمريكية. ولكن هيبل يذهب إلى القول بأن العلاقات المحتملة بين هيرودوت والجيوبوليتيكا النقدية ـ بما فى ذلك اهتمامها المشترك بسياسة المعارف الجغرافية وأهمية الجيوبوليتيكا الشعبية ـ قد تأثرت بهذا النقص فى التواصل. وهكذا يقدم هيلب حجة معاصرة لإعادة بناء شبكات التفكير النقدى فى الجيوبوليتيكا.

ويركز الفصل الذى أعده نيومان على التصورات الجيوبوليتيكية المختلفة لإسرائيل ويهود الشتات. ففى أعقاب اتفاقيات سلام أوسلو فى ١٩٩٣، بدأ عدد من المعلقين اليهود والعرب البحث عن حلول سياسية وثقافية يمكن أن تحقق التعايش السلمى بين المجتمعين الإسرائيلى والعربى فى فلسطين. ويقول نيومان إن تحقيق تقدم فى هذا الاتجاه يتطلب من إسرائيل دراسة الهويات الجغرافية والثقافية للشعب اليهودى. ولتحقيق هذا الغرض، طرح نيومان بعض المفاهيم المتنافسة للدولة الإسرائيلية. حيث يعرف البعض إسرائيل بأنها الدولة "اليهودية". ولكن هناك تصورات جيوبوليتيكية بديلة تركز على علاقة إسرائيل الخاصة بالولايات المتحدة، أو تعتبر إسرائيل "أوروبية"، ولكن هذه الاتجاهات تهمش مجموعات أخرى ـ خاصة العرب ـ من الحياة السياسية والاجتماعية الإسرائيلية العامة، وهناك مجموعات يهودية أخرى تطرح رؤية أكثر دينية، وتتحدث عن إسرائيل والقدس كمركز للعوالم الإسلامية والمسيحية واليهودية. ومهما

كان التفسير المفضل، فإن نيومان يقرر أن هذه التصورات الجيوبوليتيكية تتكامل مع الحياة اليومية فى إسرائيل. وبالمثل فإنها تمثل دليلاً إضافيًا على أنه يجب ألا نفقد رؤية انتشار الثقافات الجيوبوليتيكية عبر المجتمعات.

وتلقى جوانى شارب الضوء على دورية "ملخصات مختارة" (ريدرز دايجست Reader's Digest) فى فترة ما بعد الحرب الباردة، كمدخل لاستكشاف الأهمية الكبرى لوسائل الإعلام الشعبية فى ترجمة وإعادة نقل الأفكار الجيوبوليتيكية. حيث قرأت شارب هذه المجلة كمصدر نقدى واستكشفت كيف شكل هذا المصدر الغنى بالأفكار الجيوبوليتيكية الحوار الثقافى المعاصر فى أمريكا. حيث تلقى المجلة الضوء على محاولات أمريكا تحديد "الآخر" الجديد، ليحل محل التهديد الشيوعى المنهار. ويشمل هذا التحليل تجارة المخدرات، والإرهاب، والأصولية الإسلامية، ولكنه يتناول أيضًا مجموعة جديدة من المخاوف المحلية منها السلطة الاتحادية المفرطة والقلق من التفكك الاجتماعى داخل أمريكا.

ومع ارتباط مخاطر جديدة بالعالم، فإن هذه الحوارات الجيوبوليتيكية الشعبية توضح أن الحدود الإقليمية والأخلاقية للولايات المتحدة يمكن أن تكون مختلفة عما كانت عليه الأمور فى الحرب الباردة. وأخيراً، تعكس دراسه تيموتى لوك للخطاب البيئى الأمريكى فى الثمانينات والتسعينات الاهتمام الحديث بالرفاهية العالمية. وتوضح أيضًا ظهور القضايا البيئية فى الجيوبوليتيكا óTuathail, Dalby and Routledge 1998; Dalby 1996 واحتمالات إعادة قراءة التراث الجيوبوليتيكى الأنجلوأمريكى. وبالعودة إلى تعليق هالفورد ماكيندر على النظام المغلق وضغط الزمان والمكان فى "نهاية القرن"، يتتبع لوك الأصداء الايكولوجية فى جوانب الفكر الجيوبوليتيكى، وذلك من بداية القرن حتى نهايته. ولتوضيح هذه الاستمرارية، فإنه يوضح الأهداف والفلسفات العملية والتوجهات السياسية لمنظمة اللوبى البيئى الأمريكى والتى يمثلها معهد الرصد البيئى العالمى. حيث أخضعت هذه الأفكار للتحليل الدقيق الذى يدرس دعاوى هذه المؤسسة

بإمكانية السيطرة على العالم الطبيعى فى إطار شبكة اجتماعية من النظم الرأسمالية والإدارية. وفى النهاية يختتم لوك ورقته قائلا إن الحوارات الخضراء المعاصرة فى الولايات المتحدة تحيى العديد من الفروض الجيوبوليتيكية والإيكولوجية لماكيندر وغيره عند نهاية القرن التاسع عشر، وهذا يقدم منظوراً آخر لإعادة تشكيل الأفكار الجيوبوليتيكية.

رؤي مستقبلية

مع العقد الأول من القرن الحادى والعشرين اتضح أن الفكر الجيوپوليتيكى مهما كانت صورته لا يمكن اختفاؤه. فخلال فترة الحرب الباردة عندما زعم كثير من الجغرافيين إمكانية اختفاء هذا الفكر، سمح موقفهم هذا إلى خضوع الخطاب الجيوپوليتيكى إلى "جيوبوليتيكيين" آخرين أقل دقة. ويمكن أن تثبت هذه الأفكار والتقاليد أنها مثيرة للمشاكل فى القرن الحادى والعشرين مثلما كانت فى القرن الماضى. ومع ذلك، ستظل جزءًا جوهريًا من تقاليدنا الجغرافية الأوسع، وعلى ذلك يتحمل الجغرافيون مسئولية متواصلة عن معالجة هذه الأفكار بدقة وبصورة نقدية.

ومع ذلك، نجد فى جوانب معينة أن الجيوبوليتيكا "لن" تعمل فى نفس سياقات السياسة والاقتصاد والثقافة كما كانت خلال القرن الفائت. إذ يقول جون أجنيو John Agnew (1998) إن "التصور الجيوبوليتيكى الحديث" يقوم على أساس أن الدولة القومية هى وحدة التحليل الأساسية، وسوف تعكس التقاليد الجيوبوليتيكية الواردة فى هذه الصفحات ذلك. ومع هذا، فإن سرعة تآكل الحدود السياسية التقليدية - بسبب عمليات مثل العولمة والمعلومات والتدفقات المالية - تقوض هذا الإطار التقليدى. ويؤكد أوتواتيل ó Tuathail(1998b) على أن هذا لا يمثل مجرد انتقال من الحديث إلى ما بعد الحديث، ولكنه يقول إن الجيوبوليتيكا المعاصرة تتطور فى وسط أكثر تعقيداً وتغيراً نتيجة لهذه التحولات. فلا خلاف على وجود تحول جوهرى. وحتى نختتم المجموعة مع ترك المجال

الواسع للجيوبوليتيكا مفتوحاً، يحتوى الجزء الأخير من الكتاب على تعليقين مختصرين على آفاق واحتمالات الجيوبوليتيكا مستقبلاً.

وتقدم آراء بيتر تيلور عن وضع الجيوبوليتيكا داخل العلوم الاجتماعية خاتمة واقعية متوازنة. إذ كانت الجيوبوليتيكا دائمًا على هامش العلوم الجامعية، باعتبارها حركة فكرية أو مجموعة من الأفكار الصغيرة. بل إن إسهام الجيوبوليتيكا فى استكشاف الأفكار والموضوعات السائدة فى القرن العشرين، مثل التهديد النووى للإنسانية، كان ضعيفًا. ومع ذلك، هناك أسس للتفاؤل، حيث يوضح تيلور إسهام الجيوبوليتيكا فى إعادة صياغة البحث فى التغير الاجتماعى والسياسى. ويرى أن الجيوبوليتيكا يجب أن تتفاعل مع التغيرات المذهلة للعالم المعاصر، من إعادة بناء الدول والعلاقات بين الدول إلى ظهور الأصولية الدينية. ومن المثير للدهشة أن التقاليد الانتقائية للجيوبوليتيكا قد تثبت أنها مصدر قوة فى هذه الأزمنة المتغيرة.

وأخيراً يتحدى نيجل تريفت Nigel Thrift التركيز المفرط على العرض والخطاب ضيق التعريف فى الجيوبوليتيكا النقدية. فبدلاً من ذلك، نجد أنه يعتمد على كتاب "القومية العادية Banal Nationlism الذى كتبة بيليج Billig (1995) ليشير إلى أن "الأشياء الصغيرة" العملية الدنيوية اليومية هى التى تؤدى إلى ظهور الإحساس العام بالخطاب الجيوبوليتيكى. وهذه تتراوح من مفردات اللغة اليومية مثل "نحن" ولـ"نا" التى تشير إلى صياغاتـ"نا" (القومية دائمًا) للفضاء السياسى، إلى الممارسات الجيوبوليتيكية العملية للموظفين (النساء عادة) والملفات والمحفوظات التى تسمح بالحكم العملى لهذا الفضاء السياسى. ومع نهاية الكتاب، يتعرض تريفت للمستقبل من خلال تقديم صياغات مفاهيم أوسع للخطاب الجيوبوليتيكى، بحيث تشمل الطرق التى "تعمل" بها الجيوبوليتيكا فعلاً. وهكذا تترك مجموعة الأبحاث التى يضمها الكتاب الباب مفتوحا لاستمرار هذه الحوارات.



قائمة المراجع

Agnew, J. (1998) *Geopolitics*, London: Routledge.

Agnew, J. and Corbridge, S. (1989) 'The new geopolitics: the dynamics of geopolitical disorder', 226–88 in R. J. Johnston and P. J. Taylor (eds) *A World in Crisis? Geographical Perspectives*, 2nd edition, Oxford: Blackwell.

Alexander, L. (1961) 'The new geopolitics: a critique', *Journal of Conflict Resolution* 5: 407–10.

Antonsich, M. (1997) 'La geopolitica Italiana nelle Rivista 'Geopolitica', 'Hérodote/Italia' ('Erodoto'), 'Limes', *Bollettino della Società Geografica Italiana* series XII, 2: 411–18.

Atkinson, D. (1995) 'Geopolitics, cartography and geographical knowledge: envisioning Africa from Fascist Italy', 265–97 in M. Bell, R. A. Butlin and M. Heffernan (eds) *Geography and Imperialism, 1820–1940*, Manchester: Manchester University Press.

—— (1996) *Geopolitics and the Geographical Imagination in Fascist Italy*, unpublished Ph.D. Thesis, University of Loughborough, Loughborough.

Barnett, C. (1995) 'Awakening the dead: who needs the history of geography?', *Transactions of the Institute of British Geographers* 20: 417–19.

Bassin, M. (1987a) 'Imperialism and the nation state in Friedrich Ratzel's political geography', *Progress in Human Geography* 11: 473–95.

—— (1987b) 'Race contra space: the conflict between German *Geopolitik* and National Socialism', *Political Geography Quarterly* 6: 115–34.

Bell, M., Butlin, R. A. and Heffernan, M. (eds) (1995) *Geography and Imperialism, 1820–1940*, Manchester: Manchester University Press.

Berry, B. (1969) Book review, *Geographical Review* 59: 450–1.

Billig, M. (1995) *Banal Nationalism*, London: Sage.

Bosque-Maurel, J., Bosque-Sendra, J. and Garcia-Ballesteros, A. (1992) 'Academic geography in Spain and Franco's regime, 1936–55', *Political Geography* 11: 550–62.

Child, J. (1985) *Geopolitics and Conflict in South America*, New York: Praeger.

Chubb, B. (1954) 'Geopolitics', *Irish Geography* 3: 15–25.

Clarke, D. B. and Doel, M. A. (1998) 'Figuring the Holocaust: singularity and the purification of space', 39–61 in G. Ó Tuathail and S. Dalby (eds) *Rethinking Geopolitics*, London: Routledge.

Cohen, S. B. (1964) *Geography and Politics in a World Divided*, Oxford: Oxford University Press.

Crone, G. R. (1967) *Background to Political Geography*, London: Museum Press.

Cosgrove, D. (ed.) (1999) *Mappings*, London: Reaktion.

Dalby, S. (1988) 'Geopolitical discourse: the Soviet Union as Other', *Alternatives* 13: 415–22.

—— (1990a) *Creating the Second Cold war*, London: Pinter.

—— (1990b) 'American security discourse: the persistence of geopolitics', *Political Geography Quarterly* 9: 171–88.

—— (1991) 'Critical geopolitics: discourse, difference and dissent', *Environment and Planning D: Society and Space* 9: 261–83.

—— (1994) 'Gender and critical geopolitics: reading security discourse in the new world disorder', *Environment and Planning D: Society and Space* 12: 595–612.
—— (1996) 'The environment and geopolitical threat: reading Robert Kaplan's "Coming Anarchy"', *Ecumene* 3: 472–96.
Desfarges, M. (1996) *Introduzione alla geopolitica*, Bologna: Il Mulino.
de Seversky, A. P. (1942) *Victory through Airpower*, New York.
Dodds, K. (1998) 'Towards rapprochement: Anglo-Argentine relations and the Falklands/Malvinas in the late 1990s', *International Affairs* 74: 617–30.
Dodds, K. and Sidaway, J. (1994) 'Locating critical geopolitics', *Environment and Planning D: Society and Space* 12: 515–24.
Domosh, M. (1991a) 'Towards a feminist historiography of geography', *Transactions of the Institute of British Geographers* 16: 95–104.
—— (1991b) 'Beyond the frontiers of geographical knowledge', *Transactions of the Institute of British Geographers* 16: 488–90.
Driver, F. (1992) 'Geography's empire: histories of geographical knowledge', *Environment and Planning D: Society and Space* 10: 23–40.
—— (1994) 'New perspectives on the history and philosophy of geography', *Progress in Human Geography* 18: 92–100.
Driver, F., Matless, D., Rose, G., Barnett, C. and Livingstone, D. N. (1995) 'Geographical traditions: rethinking the history of geography', *Transactions of the Institute of British Geographers* 16: 403–22.
Enloe, C. (1989) *Bananas, Beaches and Bases: Making Feminist Sense of International Relations*, Berkeley: University of California Press.
Etzel Pearcy, G. E. , Fifield, R. H. and Associates (1948) *World Political Geography*, New York: Crowell.
Fahlbusch, M., Rössler, M. and Siegrist, D. (1989) 'Conservatism, ideology and geography in Germany, 1920–50', *Political Geography Quarterly* 8: 353-67.
Fushukima, Y. (1997), 'Japanese geopolitics and its background: what is the real legacy of the past?', *Political Geography* 16: 407–21.
Gilbert, E. W. (1972) 'Mackinder and Haushofer', in *British Pioneers in Geography*, Newton Abbot: David and Charles.
Godlewska, A. and Smith, N. (eds) (1994) *Geography and Empire*, Oxford: Blackwell.
GoGwilt, C. (1998) 'The geopolitical image: imperialism, anarchism, and the hypothesis of culture in the formation of geopolitics', MODERNISM/*modernity* 5: 49–70.
Harley, J. B. (1988) 'Maps, knowledge and power', 277–312 in D. Cosgrove and S. Daniels (eds) *The Iconography of Landscape: Essays on the Symbolic Representation, Design and Use of Past Environments*, Cambridge: Cambridge University Press.
—— (1989) 'Deconstructing the map', *Cartographica* 26: 1–20.

Haraway, D. (1991) *Simians, cyborgs and women: the reinvention of nature*, London: Fre Association Books.

Hauner, M. (1992) *What is Asia to us? Russia's Asian heartland Yesterday and Today*, Londor Routledge.

Heffernan, M. J. (1998) *The Meaning of Europe. Geography and Geopolitics*, London: Arnold

Hepple, L. W. (1986) 'The revival of geopolitics', *Political Geography Quarterly* vol. 5 supple ment: 21–36.

—— (1992) 'Metaphor, geopolitical discourse and the military in South America' 136–54 in T. Barnes and J. Duncan (eds) *Writing Worlds. Discourse, text and metaphor in tl representation of landscape*, London: Routledge.

Heske, H. (1986) 'German geographic research in the Nazi period: a content analysis c the major geography journals', *Political Geography Quarterly* 5: 267–81.

—— (1987) 'Karl Haushofer: his role in German geopolitics and Nazi politics', *Politica Geography Quarterly* 6: 135–44.

Heske, H. and Wesche, R. (1988) 'Karl Haushofer, 1869-1946', *Geographers Biobibliographica Studies* 12: 95–108.

Holdar, S. (1992) 'The ideal state and the power of geography: the life and work of Rudol Kjellén', *Political Geography* 11: 307–23.

Jacob, C. (1999) 'Mapping in the mind: the earth from ancient Alexandria', 24–49 in D Cosgrove (ed.) *Mappings*, London: Reaktion.

Jacobsen, K-A. (1979) *Karl Haushofer: Leben und werk* vol. I and II, Boppard am Rhein: Boldt

Jan van Pelt, R. and Dwork, D. (1996) *Auschwitz: 1270 to the present*, London: Yal University Press.

Johnston, R. J. (1987) *Geography and Geographers*, 3rd edition, London: Arnold.

Kearns, G. (1983) 'Closed space and political practice: Frederick Jackson Turner an Halford Mackinder', *Environment and Planning D: Society and Space* 2: 23–34.

—— (1993) '*Fin-de-siècle* geopolitics: Mackinder, Hobson and theories of global closure', 9–3(in P. J. Taylor (ed.) *Political Geography of the Twentieth Century*, London: Belhaven.

Kern, S. (1983) *The Culture of Time and Space, 1880–1918*, Cambridge: Harvard University Press

Korinman, M. (1990) *Quand l'Allemagne pensait le monde: grandeur et décadence d'une géopolitique* Paris: Masparo.

Kost, K. (1989) 'The conception of politics in political geography and geopolitics i Germany until 1945', *Political Geography Quarterly* 8: 369–85.

Kristof, L. (1960) 'The origins and evolution of geopolitics', *Journal of Conflict Resolutio* 4: 15-51.

Lacoste, Y. (1976) *La Géographie, ça sert, d'abord, à faire la guerre*, Paris: Maspero.

Livingstone, D. N. (1992) *The Geographical Tradition*, Oxford: Blackwell.

—— (1994) 'Science and religion: foreword to the historical geography of an encounter' *Journal of Historical Geography* 20: 367–83

—— (1995a) 'Geographical traditions', *Transactions of the Institute of British Geographers* 20: 420–2.

—— (1995b) 'The spaces of knowledge: contributions towards a historical geography of science', *Environment and Planning D: Society and Space* 13: 5–34.

McEwan, C. (1998) 'Cutting power lines within the palace? Countering paternity and eurocentrism in the "geographical tradition"', *Transactions of the Institute of British Geographers* 23: 371–84.

MacIntyre, A. (1985) *After Virtue: A Study in Moral Theory*, London: Duckworth.

—— (1990) *Three Rival Versions of Moral Inquiry: Encyclopaedia, Genealogy and Tradition*, London: Duckworth.

Mackinder, H. J. (1942) 'The round world and the winning of the peace', *Foreign Affairs* 21: 595–605.

Matless, D. (1995) 'Effects of history', *Transactions of the Institute of British Geographers* 20: 405–9.

—— (1998) *Landscape and Englishness*, London: Reaktion.

Meilinger, P. S. (1995) 'Proselytiser and prophet: Alexander P. de Seversky and American airpower', *The Journal of Strategic Studies* 18, 1: 7–35.

Muir, R. (1997) *Political Geography. A New Introduction*. London: Macmillan.

Murphy, D. T. (1994) 'Space, race and geopolitical necessity: geopolitical rhetoric in German colonial revanchism, 1919–33', 173–87 in A. Godlewska and N. Smith (eds) *Geography and Empire*, Oxford: Blackwell.

O'Sullivan, P. (1982) 'Antidomino', *Political Geography Quarterly* 1: 57–64.

—— (1986) *Geopolitics*, London: Croom Helm.

Ó Tuathail, G. (1986) 'The language and nature of the New Geopolitics – the case of US –El Salvador Relations', *Political Geography Quarterly* 5: 73–85.

—— (1992) 'Putting Mackinder in his place: material transformation and myth', *Political Geography* 11: 100–18.

—— (1993) 'The effacement of place? US foreign policy and the spatiality of the Gulf Crisis', *Antipode* 25: 4–31.

—— (1996) *Critical Geopolitics*, London: Routledge.

—— (1997) 'At the end of geopolitics? Reflections on a plural problematic and the century's end', *Alternatives* 22: 35–55.

—— (1998a) 'Introduction: thinking critically about geopolitics', in G. Ó Tuathail, S. Dalby and P. Routledge (1998) *The Geopolitics Reader*, London: Routledge.

—— (1998b) 'Postmodern geopolitics? The modern geopolitical imagination and beyond', 16–38 in G. Ó Tuathail and S. Dalby (eds) *Rethinking Geopolitics*, London: Routledge.

Ó Tuathail, G. and Agnew, J. (1992) 'Geopolitics and discourse: practical geopolitical reasoning in American foreign policy', *Political Geography* 11: 190–204.

Ó Tuathail, G. and Dalby S. (eds) (1998a) *Rethinking Geopolitics*, London: Routledge.

—— (1998b) 'Introduction: rethinking geopolitics. Towards a critical geopolitics', 1–15 in G. Ó Tuathail and S. Dalby (eds) *Rethinking Geopolitics*, London: Routledge.

Ó Tuathail, G., Dalby, S. and Routledge, P. (1998) *The Geopolitics Reader*, London: Routledge.

Paasi, A. (1990) 'Political geography around the world VIII: the rise and fall of Finnish geopolitics', *Political Geography Quarterly* 9: 53–65.

Parker, G. (1985) *Western Geopolitical Thought in the Twentieth Century*, London: Croom Helm.

—— (1987) 'French geopolitical thought in the interwar years and the emergence of the European idea', *Political Geography Quarterly* 6: 145–50.

—— (1998) *Geopolitics: Past, Present and Future*, London: Mansell.

Raffestin, C., Lopreno, D. and Pasteur, Y. (1995) *Géopolitique et Histoire*, Lausanne: Editions Payot.

Rose, G. (1993) *Feminism and Geography*, Cambridge: Polity Press.

—— (1995) 'Tradition and paternity: same difference?', *Transactions of the Institute of British Geographers* 20: 414–16.

Roucek, J. S. (1955) 'The geopolitics of the United States', *American Journal of Economics and Sociology* 14: 185–92 and 287–303.

—— (1956) 'The geopolitics of Yugoslavia', *Social Studies* 47: 26–9.

—— (1962) 'The geopolitics of the Congo', *United Asia* 14: 81–5.

Ryan, J. (1994) 'Visualising imperial geography: Halford Mackinder and the Colonial Office Visual Instruction Committee, 1902-1911', *Ecumene* 1: 157–76.

—— (1997) *Picturing Empire. Photography and the Visualization of the British Empire*, London: Reaktion.

Sandner, G. (1988) 'Recent advances in the history of German geography, 1918–45: a progress report for the Federal Republic of Germany', *Geografische Zeitschrift* 76: 120–33.

Sandner, G. and Rössler, M. (1994) 'Geography and empire in Germany, 1871–1945', 115–29 in A. Godlewska and N. Smith (eds) *Geography and Empire*, Oxford: Blackwell.

Sauer, C. (1927) 'Recent developments in cultural geography', 154–212 in *Recent Developments in the Social Sciences*, New York: Lippincott.

Schwartz, J. M. (1996) 'The geography lesson: photographs and the construction of imaginative geographies', *Journal of Historical Geography* 22: 16–45.

Shapiro, M. (1998) *Violent Cartographies*, Minneapolis: University of Minnesota Press.

Sharp, J. (1993) 'Publishing American identity: popular geopolitics, myth and *The Reader's Digest*', *Political Geography* 12: 491–503.

—— (2000) *Condensing Communism: The Readers Digest and American Identity 1922–94*, Minneapolis: University of Minnesota Press.

Sidaway, J. (1997) 'The (re)making of the western "geographical tradition": some missing links', *Area* 29: 72–80.

Skinner, Q. (1969) 'Meaning and understanding in the history of ideas', *History and Theory* 8: 3–53.

Smith, N. (1984) 'Isaiah Bowman: political geography and geopolitics', *Political Geograph Quarterly* 3: 69–76.

—— (1987) '"Academic war over the field of geography": the elimination of geography a Harvard', *Annals of the Association of American Geographers* 77: 155–72.

—— (1999) 'The lost geography of the American century', *Scottish Geographical Journa* 115: 1–18.

Smith, N. and Godlewska, A. (1994) 'Introduction: critical histories of geography', 1–1 in A. Godlewska and N. Smith (eds) *Geography and Empire*, Oxford: Blackwell.

Sondern, F. (1941a) 'Hitler's scientists', *Current History* 53: 10–18.

(1941b) 'The thousand scientists behind Hitler', *The Reader's Digest* 38, 7: 44–8.

Stoddart, D. (1986) *On Geography and its History*, Oxford: Blackwell.

Takeuchi, K. (1980) 'Geopolitics and geography in Japan re-examined', *Hitotsubashi Journa of Social Studies* 12: 14–24.

—— (1994) 'The Japanese imperial tradition, western imperialism and modern Japanes geography', 188–209 in A. Godlewska and N. Smith (eds) *Geography and Empire* Oxford: Blackwell.

Taylor, G. (1957) 'Geopolitics and geopacifics', 587–608 in G. Taylor (ed.) *Geography in th Twentieth Century*, 3rd edition, London: Methuen.

Walsh, E. A. (1944) 'Geopolitics and international morals', 12–39 in H. Weigert, V Stefansson and R. Harrison (eds) *Compass of the World*, London: Harrap.

Weigert, H. W. (1942) *Generals and Geographers: The Twilight of Geopolitics*, Oxford: Clarendon

Werrity, A. and Reid, L. (1995) 'Debating the geographical tradition', *Scottish Geographica Magazine* 111: 196–8.

Whittlesey, D., Hartshorne, R. and Colby, C. (1942) *The German Strategy of World Conquest* London: F. E. Robinson.

Withers, C. W. J., Camerini, J., Heffernan, M. J. and Livingstone, D. (1996) 'Conversation in review', *Ecumene* 3: 351–60.

Wittfogel, K. (1985) [1929] 'Geopolitics, geographical materialism and Marxism', trans G. L. Ulmen, *Antipode* 17: 21–72.

الفصل الثانى

نهاية قرن أم نهاية عالم؟

فى أصول الجيوبوليتيكا الأوروبية

(١٨٩٠ - ١٩٢٠)

ميشيل هيفرنان



مقدمة

تحظى مجموعة الأفكار والنظريات التى تجمعت تحت المصطلح المثير "جيو-بوليتيك" بتاريخ معقد ومزعج غالبًا. ويناقش عدد من فصول الكتاب الذى بين أيدينا المراحل المختلفة لهذا التاريخ، فضلا عما تضمه نصوص حديثة أخرى ó Tuathail 1996; ó Tuathail, Dalby and Routledge 1998; Parker 1998; Raffestin, Lopreno and Pasteur 1995 ولذلك سأركز هنا على نقاط الانطلاق، أى على الجذور الفكرية وليس على المسارات اللاحقة. وفيما يلى قراءة شخصية لأسباب وكيفية ظهور شئ اسمه "جيو - بوليتيكا" كمشروع فكرى متميز - بالرغم من أنه غير متبلور - منذ حوالى مائة سنة. وأولى عنايتى هنا بالكتابات الجيوبوليتيكية من بريطانيا وألمانيا فى المقام الأول، وآمل أن أتمكن من توضيح كيف أن هذه النصوص المشكلة لملامح الموضع يمكن اعتبارها إشارات تفسيرية لمستقبل أوروبا و"الحضارة الأوروبية"(١).

"تحول سنة ١٩٠٠" : مولد "علم تأملى"(٢)

صاغ العالم السياسى السويدى رودولف كيلين مصطلح "جيو-بوليتيكا" فى السنة الأخيرة من القرن التاسع عشر. ومثل كل الكلمات المبتكرة حديثًا فى ذلك الوقت، كانت كلمة "جيو-بوليتيكا" تعبيراً انتقاليًا عن الاحساس بالحداثة والابتكار. وأصبح المصطلح مجالاً جديداً للدراسة لقرن جديد، حيث قدم آفاق فهم الدول القومية بالعالم، وحدودها وقدراتها الاقليمية، وعلاقتها بالدول الأخرى;43-45 Holdar 1992; óTuathail 1996; ; Lopreno and Pasteur 1995 : 77-102.

ولسنا فى حاجة إلى القول بأن الجيوبوليتيكا لم تظهر كحقيقة ونظرية كاملة متماسكة. إذ أن هذا المجال (بقدر ارتباطه بهذا المصطلح) كان مجرد منظور واسع التعريف، يمثل محاولة بالنص والخرائط للكشف عن العلاقات المعقدة بين الجغرافيا والسياسة على عدة نطاقات مكانية من المحلية إلى العالمية. وبهذا المعنى كان ابتكار الكلمة غير هام نسبياً، ويمثل مجرد تعديل اصطلاحى لأجندة فكرية موجودة، كانت تسمى سابقًا "الجغرافيا السياسية". وكان هذا الموضوع الأقدم يدرس لفترة طويلة فى الجامعات، وحظى بنقاش واسع بين الأكاديميين والدبلوماسيين والسياسيين المحترفين. ولذلك تتمثل المشكلة الأولى التى نواجهها فى تعريف الجيوبوليتيكا.

وليست هناك فائدة كبيرة من تبنى تعريف ضيق مقيد، لأننا نتعامل مع ما يمكن أن نطلق عليه "خطاب"، أى مجموعة من الكتابات والتصورات قدمتها مجموعة متباينة تعمل فى مجالات متعددة، تشمل الجامعات ووسائل الاعلام والوزارات. ولا شك فى أن كل فرد شارك فى هذا الخطاب قد عرف أو استخدم مصطلح الجيوبوليتيكا (أو حتى الجغرافيا السياسية). ومع ذلك، فقد اشتركوا جميعًا فى الاهتمام بنوع الدراسة التى حاول كيلين استهلالها تحت هذا العنوان، وكانوا جميعا مهتمين بإيجاد معنى للبعد الجغرافى غير المدروس غالبًا فى السياسة الدولية.

وكانت فكرة أن هذا المشروع يتطلب اسمًا جديداً فى ١٨٩٩ تعكس اعتقاداً منتشراً بأن التغيرات التى تحدث فى النظام الاقتصادى والسياسى العالمى كانت هامة للغاية. إذ اتضح أن الانتقال من الرأسمالية الصناعية القديمة التى تعتمد على البخار والفحم والحديد إلى وسائل أحدث تعتمد على الغاز والنفط والكهرباء قد غير من القواعد الأساسية التى عمل بها الاقتصاد العالمى. وكانت الولايات المتحدة تتأرجح على حافة ثورة عارمة من الانتاج الصناعى الكثيف الموجه إلى سوق جماهيرى جديد سريع التوسع، وظهرت كأنها مؤهلة تمامًا للسيطرة على العصر الجديد. وكانت أمريكا قد حلت فعلاً محل بريطانيا فى السيطرة الاقتصادية العالمية بنهاية القرن، وعلى أعتاب

الحرب العالمية الأولى كانت المصانع الأمريكية تنتج ثلث السلع الصناعية فى العالم، وهى مكانة لم تحققها سوى بريطانيا قبل أربعين سنة فقط من ذلك التاريخ.

ويبدو أن هذه التغيرات كانت تنذر بتحولات مماثلة فى الوضع السياسى العالمى. حيث تشير حقيقة أن الولايات المتحدة كانت قوة برية تغطى ما يقرب من قارة بأكملها، وتتمتع بطرق برية وسكك حديدية تربط مدنًا كبرى على الساحلين الأطلنطى والهادئ، إلى علاقة جديدة بين الموقع وسياسة الدولة، والتى كانت تختلف تمامًا عن وضع العالم الأوروبى التقليدى. فذلك النظام القديم كان يتضمن دولاً أوروبية صغيرة نسبيًا ذات امبراطوريات على نطاق واسع ويجمع بينها روابط هشة من التجارة البحرية. ويعتقد كثيرون أن المستقبل سيسوده ثلاث أو أربع دول اتحادية كبيرة المساحة (مثل الولايات المتحدة) يمكن أن تظهر فى آسيا وأفريقيا وأوروبا ذاتها.

لقد كان هذا هو السياق الذى ولدت فيه "الجيوبوليتيكا" : أى فى عصر تغير اقتصادى عالمى جوهرى له مضامين سياسية على نفس المستوى. وليس مدهشًا أن هذا التصور للمستقبل أثار الخوف والتوتر وعدم اليقين - كنوع من الفزع الجيوبوليتيكى - خاصة فى أوروبا التى قام فيها جيل كامل من السياسيين والدبلوماسيين والمفكرين بتكريس معظم طاقاته لابتكار استراتيجيات تتكيف مع هذا الانهيار المروع لنظامهم العالمى الموروث.

وكان هناك ثلاثة أبعاد على الأقل لهذا الفزع الجيوبوليتيكى، وهى التى أتاحت مجالاً للمشروع "العلمى" للجيوبوليتيكا، والمفترض أنه مشروع جديد. وقد تمثل البعد الأول فى اندلاع الوطنية الاقتصادية والدعوة العامة للاصلاح الجمركى وسياسة الحمائية الاقتصادية. وقد ظهر هذا فى مواجهة نموذج التجارة الحرة الذى اعتنقه الجيل السابق من الاقتصاديين السياسيين الأوروبيين. وإلى حد ما، كانت النزعة الحمائية محاولة يائسة من الدول القومية التقليدية للحد من الخلل الناتج عن الاقتصاد العالمى المتكامل بصورة متزايدة، ولكنها عكست أيضًا تزايد الاقتناع بأن المستقبل

ستسيطر عليه وحدات جيوبوليتيكية كبيرة مكتفية اقتصادياً ومتماسكة مكانيًا. وكانت الولايات المتحدة بمثابة النموذج هنا بسبب قوتها الاقتصادية الهائلة (وإمكاناتها الكبيرة) التى تعتمد على موارد داخلية ضخمة وسوق محلى يتوسع بسرعة. وقد بدأ السعى لتحقيق الاكتفاء الاقتصادى (الاكتفاء الذاتى) بسياسة بسمارك الحمائية للامبراطورية الألمانية الموحدة حديثًا من أواخر سبعينات القرن التاسع عشر، واتبعتها حكومات فرنسية متعاقبة، ووصلت إلى ذروتها مع قوانين جمارك ميلين فى ١٨٩٢ والتى عزلت القطاع الزراعى الفرنسى عن السوق العالمى. وفى بريطانيا كانت حملة جوزيف شامبرلين - السيئة المصير - من أجل الاصلاح الامبريالى مصممة أيضًا لتقوية الروابط الاقتصادية بين المركز الإمبريالى والهامش الاستعمارى وجعل النظام الامبريالى البريطانى أكثر فائدة.

ويشير هذا المثال الأخير إلى رد فعل أوروبى آخر على التحولات الاقتصادية والسياسية الحقيقية والمتخيلة فى أواخر القرن التاسع عشر. ونظراً للخوف من أن الحيز الجغرافى سيحد من القوة الوطنية، ونظراً للوعى بأنها لن تستطيع التوسع على الساحة الأوروبية، انطلقت القوى الإمبريالية الكبرى فى "سباق محموم" غير مسبوق على المجال الإمبريالى منذ ١٨٨٠, وهكذا أضيف أكثر من ١٦ مليون كيلو متر مربع (٢٠٪ من سطح الأرض) و١٥٠مليون نسمة (١٠٪ من سكان العالم) إلى الامبراطوريات الأوروبية خلال الثلاثين عامًا الأخيرة من القرن التاسع عشر، خاصة فى أفريقيا التى قسمت بين القوى العظمى فى مؤتمر برلين فى ١٨٨٤ -, ١٨٨٥

وبالطبع كانت الأهداف الحقيقية متباينة، ولكن هذه الانطلاقة الأخيرة للتوسع الامبريالى كانت ربما ناتجة عن قنوط ويأس لا عن تفاؤل النصر أو حسابات متشائمة. ولم يكن الشغف بالحصول على المستعمرات مدفوعا بالمكاسب الاقتصادية المباشرة (وليس لأسباب أخلاقية فى نفس الوقت)، ولكنها كانت بمثابة رموز للمجد القومى الذى يمكن أن يتعرض للتهديد بدونها. فلا يمكن لأية قوة تحترم ذاتها أن تبقى بدون "مكان

تحت الشمس"(٣). وهكذا أصبح التوسع الاستعمارى محاولة لتحقيق ميزة إقليمية مقارنة خارج أوروبا ، أملا فى أن يسمح ذلك للدول الأوروبية الصغيرة بالبقاء على قيد الحياة فى النظام العالمى القادم.

وأصر المتفائلون الامبرياليون على أن هذه الامبراطوريات الشاسعة سوف تحقق دخولاً ضخمة، ولكن معظم النظم الاستعمارية ظلت غير مربحة بصورة مثيرة. إذ أن حوالى ١٥٪ فقط من الصادرات الفرنسية، بل ونسبة أقل من الاستثمارات الفرنسية الخارجية، كانت موجهة لامبراطورية الدولة فى الخارج. وكان أقل من نصف الصادرات الفرنسية الامبريالية ينتهى إلى الوطن الأم (Andrew and Kanya-Forstner1981:14-17) وكان الحفاظ على الوجود الاستعمارى الألمانى فى أفريقيا وآسيا يكلف دافع الضرائب الألمانى ستة ملايين جنيه إسترلينى فى ١٩١٣(Fisher 1967:102-4).

ولكن المنافسة بين الدول الأوروبية الصغيرة القديمة، والتى انحرفت إلى المجال الاستعمارى بداية، سرعان ما انعكس ثانية على أوروبا ذاتها. وقد أدى هذا إلى البعد الثالث فى "الفرع الجيوبوليتيكى" فى أوروبا فى أواخر القرن التاسع عشر. حيث مر نظام العلاقات بين الدول الأوروبية بتحول كبير منذ ١٨٩٠ حين حل محل المجموعة المعقدة من الاتفاقيات والمعاهدات الثنائية - التى ميزت العقود الوسطى من القرن - ترتيبات ثنائية القطبية أكثر بساطة وخطورة. وبينما كان الوضع السابق سلميًا، كان الوضع اللاحق يعنى أن حربًا شاملة سوف تتصاعد إلى مستوى الحريق الأوروبى العام الذى غطى القارة فى أغسطس , ١٩١٤

لقد كان النظام الدولى ثنائى القطبية بمثابة رد فعل مباشر على صعود ألمانيا الاقتصادى والسياسى. حيث لعبت الصناعات التحويلية الجديدة للسلع الكهربية والكيماويات وتشغيل المعادن دوراً أكبر فى ألمانيا مقارنة بأى مكان آخر فى أوروبا. ونتيجة لذلك، أصبحت الإنتاجية الصناعية الألمانية تلى تماماً انتاجية الولايات المتحدة قبيل الحرب العالمية الأولى. وكان يواكب السيطرة الاقتصادية الجديدة موقف إمبريالى

عدوانى داخل أوروبا– خاصة نحو الجنوب حيث عمل حلفاء ألمانيا (النمسا والمجر) كمخلب قط لطموحات ألمانيا الإقليمية، ونحو الشرق حيث كان التوسع على حساب الامبراطورية الروسية التى كانت تتوسع، وإن بقيت مهددة أيضاً.

ورغبة فى احتواء ألمانيا، علقت القوى الامبريالية الأوروبية الأخرى ـ بريطانيا وفرنسا وروسيا ـ عداواتها التقليدية وكونت تحالفًا محكمًا لمواجهة التوسع الألمانى، حيث تحقق هذا الترتيب من خلال الاتفاقية الفرنسية الروسية فى ١٨٩٤، والاتفاق الودى الانجليزى الفرنسى فى ١٩٠٤ والاتفاقية الانجليزية الروسية فى ١٩٠٧, وكان هذا مصحوبًا بسباق تسلح غير مسبوق، مما أدى إلى مزيد من الصعوبات الاقتصادية الأوروبية. وزاد حجم الجيوش الأوروبية الرئيسة بحوالى ٧٣٪ فيما بين ١٨٨٠و١٩١٤، بينما زاد الانتاج الحربى بحوالى الربع، وكان ذلك يرجع أساسًا إلى التنافس الإنجليزى الألمانى المباشر للسيطرة على البحار-(Herrmann 1996; Kennedy 1988:249-354; Massie 1991) وقد أدت هذه التغيرات فى النظام الاقتصادى العالمى، بالإضافة إلى الخوف من حدوث تحولات سياسية مقابلة، إلى ظهور بيئة فكرية احتضنت "علم" الجيوبوليتيكا الجديد. وإذا كان ذلك يفسر جزئيًا توقيت المشروع الجديد، إلا أنه لا يفسر خصائص هذا المشروع. ولهذا نحتاج إلى النظر بإمعان إلى الفروض والاهتمامات الثقافية لأولئك الذين ابتكروا هذا المنظور الجديد المسمى "جيو ـ بوليتيك".

المباريات النهائية

ليس هناك سبب لأن تحمل نهاية القرن التاسع عشر أية أهمية تاريخية خاصة. فالقول بأن التاريخ مقسم بدقة إلى أجزاء من مائة سنة، قابل للتقييم فى ضوء هذه الوحدات، إنما هو قول بالغ السخف. وفى الأماكن المفترض أنها مسيحية، تقاس النظرة الشاملة للزمن بهذا الشكل، فمرور قرن يؤدى إلى إلقاء نظرة فاحصة على الماضى بالإضافة إلى تأمل عميق للمستقبل[٤]. حيث يثير وصول التواريخ "المميزة"

احساسًا شديدًا بالزمن ومرور الوقت. وتميل التغيرات التى تحدث فعلاً فى هذه الأوقات إلى اكتساب طبقات من المعانى الإضافية (الغامضة أحيانًا)(٥). وكذلك كان الحال فى عام ١٨٩٠، فقد كان هذا عقد من "الإثارة المتعلقة بالعلامات"، عندما كان كل شئ يبدو كعلامة ودليل على تحول جذرى أو اضطراب عنيف على الأبواب.

وكان ظهور مصطلح الجيوبوليتيكا (الذى سرعان ما تخلص من تجزئته إلى مقطعين) أحد جوانب عقلية نهاية ذلك القرن، وقد أوضح Gerry Kearns (1993) هذه النقطة تمامًا وأصبح التعبير الفرنسى الأصلى Fin de Siecle الذى يعنى ببساطة "نهاية قرن" عبارة شاملة لوصف أى شئ من الأنماط المعمارية والفنية لذلك العصر، إلى التطورات فى الأزياء والتصميمات والتقنية وحتى الحوارات الحماسية غالبًا حول الماضى والحاضر والمستقبل فى مطلع القرن الجديد Weber 1986. Laqueur 1996, Schorske 1979; Stokes 1992; Teich and Porter 1990

وقد عكست الجيوبوليتيكا هذه الاهتمامات الكبيرة بالمستقبل. وبالرغم من أنها كانت توصف باتجاه علمى منطقى جديد؛ إلا أن معظم النصوص الجيوبوليتيكية المبكرة كانت تعكس قلق ومخاوف وآمال نهاية القرن الماضى، وكانت فى بعض الأحيان تأملية إلى حد بعيد. واتفاقًا مع معظم كتابات نهاية القرن، كانت النصوص الجيوبوليتيكية تفترض أن مرور القرن التاسع عشر سيمثل وقفة تاريخية جوهرية وانفصالاً واضحًا عن الماضى. وكما رأينا، فقد كان هناك دليل ما يؤيد هذا الادعاء المفرط، ولكن هذا الرأى كان يعكس اقتناعًا ثقافيًا أعمق بأن نهايات القرون لابد أن تكون مصحوبة بتغيرات شديدة.

وكانت النصوص ذاتها تعكس أيضا خاصية أخرى لنهاية القرن، وهى الاقتناع بأن العالم الجديد للقرن العشرين يحتاج إلى فهم بصورة شمولية، أى كعالم كلى متكامل. وأدت التقنية والنقل العالمى بالسفن التجارية والطرق البرية والسكك الحديدية والتلغراف إلى جعل عالم المستقبل مكانًا "أصغر" يمكن تفسيره كنظام واحد. ويشير

صعود الولايات المتحدة إلى بعض الدروس المتعلقة بالنظام العالمى المرتقب آنذاك، ولكن بعض المتفائلين تنبأوا بأن القوى البرية الكبرى كالولايات المتحدة سيحل محلها وعى عالمى مؤلف جديد، قوامه "عالم واحد" طوباوى النزعة، يقوم على أسس من تقنيات جديدة من غزو الفضاء(٦). ولكن لم يكن الجميع متفائلين بشأن المستقبل. ففى الواقع، كان التناقض المخيف يمثل النمط السائد لنهاية القرن. وبينما رحب البعض بآفاق العهد الجديد واعتبروا التغير السريع مصدراً للطاقة والتحرر، كان كثيرون قلقين من التغيرات الموقعية والاتجاهية التى ستخلقها هذه الاضطرابات، وتأسفوا على تدمير التقاليد والقيم المستقرة التى كان يبدو أنها ستدوم طويلا.

ووصل الخلاف بين المتفائلين والمتشائمين إلى ذروته فى العواصم الأوروبية الكبرى، والتى تمثل قلاع الدول القومية الامبريالية التقليدية التى أصبحت آفاقها المستقبلية مهددة. وكان مصير أوروبا (أو"الحضارة الأوروبية") موضع الاهتمام الرئيسى فى ذلك الحوار. فالذين رحبوا بالتغيير كانوا يميلون إلى رؤية أوروبا جديدة (وربما موحدة) تظهر لتحتل مكاناً مركزياً فى النظام العالمى، أما الذين خافوا من هذا التغيير فقد توقعوا عصراً خطيراً تتزعزع فيه السيطرة الأوروبية، التى يمكن ان تزول فى النهاية بسبب ظهور امبراطوريات مختلفة تماماً فى الغرب (حيث يبدو أن الولايات المتحدة ستسيطر على الكتلة القارية الأمريكية- شمالاً وجنوباً- وربما على جميع أرجاء المحيط الهادئ) وكذلك فى الشرق (حيث تنبأ البعض بظهور قوه آسيوية من حطام الامبراطوريات التى لا تزال شبه اقطاعية فى روسيا أو اليابان).

ولكننى أريد أن أوضح فى بقية هذا الفصل بعض جوانب الحوار الجيوبوليتيكى حول أوروبا عند نهاية القرن بالرجوع إلى الكتابات التأسيسية للجيوبوليتيك البريطانى وخاصة ما قدمه هالفورد ماكيندر(١٨٦١-١٩٤٧) الجغرافى الانجليزى البارز فى عصره، وإلى مجموعة من النصوص الألمانية، بما فيها كتابات فريدريك راتزل (١٨٤٤-١٩٠٤) عميد الجمعية الجغرافية الألمانية.

أوروبا والنظام العالمى الجديد: بدءًا من لندن..

لقد قدم هالفورد ماكيندر، مؤسس الجيوبوليتيكا البريطانية، واحدة من أكثر قراءات مستقبل أوروبا تشاؤمًا. وقد كتب الكثير عن ماكيندر، الذى كان شخصية بارزة فى التاريخ المبكر للجغرافيا البريطانية فى المواد الدراسية الجامعية والمدرسية. كان ماكيندر قد عين محاضرًا فى الجغرافيا فى جامعة أوكسفورد فى١٨٨٧، واعتبر ذلك أول اعتراف بأهمية الشخص من الجامعة الكبرى بالدولة. ثم أصبح مديرًا للجامعة الوليدة فى هذا المجال، ومديرًا لمدرسة لندن فى الاقتصاد. ثم أعقب ذلك بخبرة سياسية بعد ١٩١٠ كعضو فى البرلمان البريطانى عن الكتلة الوحدوية;Blout 1987) Kearns 1985; Parker 1982). وكما حافظ على إيمانه بقيمة السفر والاستكشاف (حيث كان أول من تسلق جبل كينيا فى ١٨٩٩) عرف الرجل بأنه رائد "الجغرافيا الحديثة" فى بريطانيا(Kearns1997). وبناءً على أفكار جغرافيين فرنسيين وألمان، خاصة فريدريك فون ريشتوفن، حاول ماكيندر تكوين مجال نظرى وشمولى أكثر دقة، كجسر للمفاهيم بين العلوم الطبيعية والاجتماعية (Mackinder 1887). ونظرًا لأنه كان من دعاة الإصلاح الإمبريالى، تشكلت آراؤه برغبة فى الحفاظ على وضع بريطانيا كقوة عالمية ودعم مكانتها. وتمثلت وسيلته فى جغرافيا سياسية كوكبية، كمحاولة لفهم كيف تتفاعل الأمم وأقاليم العالم المختلفة كعناصر فى هيكل جيوبوليتيكى شامل. وكان التعليم يمثل محور اهتماماته، وكانت الجغرافيا تمثل محور استراتيجيته التعليمية. إذ أن أمة إمبريالية مثل بريطانيا تحتاج إلى تربية "عرق إمبريالى" مدرب على فن "التفكير الإمبريالى" وقد اعتمد هذا على الادراك المكانى والمرئى المكتسب من تفسير الخرائط وأشكال سطح الأرض، والذى يمثل محور اهتمام الجغرافى -Mackinder 1911 ó Tua thail 1996:75-110; Ryan1994;

اعتمدت رغبة ماكيندر فى بناء "جغرافيا حديثة" على اعتقاده بأن العالم كان يتغير بصورة جوهرية. وعبر عن آرائه صراحة فى محاضرة مشهورة ألقاها أمام

الجمعية الجغرافية الملكية فى لندن فى يناير ١٩٠٤ (Mackinder 1904). ومثل بنك Penck ذهب ماكيندر الى الاعتراف بأن الاستكشاف الجغرافى كان مهمة محددة يجب أن تكتمل سريعاً. حيث حل عصر التقييم الكامل للحقائق الجغرافية الأساسية للعالم. ومن ثم أصبحت الجغرافيا - التى كانت مدفوعة بالتحدى المفاهيمى المباشر والضرورى لتحديد وتعريف أماكن الأرض "المجهولة" - فى حاجة إلى الاستجابة لتحديات القرن الجديد. وأكد ماكيندرعلى أن "الاستكشاف الجغرافى قد انتهى تقريباً... ويجب على الجغرافيا التحول إلى تحقيق هدف المسح المكثف والتركيب الفلسفى".

وترك الفشل فى تطوير نظريات جغرافية تفسيرية نتائج كارثية على الدول الإمبريالية "القديمة" حيث مثلت نهاية القرن التاسع عشر نهاية "العصر الكولومبى" للتوسع الأوروبى، وذلك عندما انطلق الأوروبيون من حدود العصور الوسطى وتوسعوا بالخارج "دون مقاومة تذكر تقريبا". ووصلت "الحدود الاستعمارية" الأوروبية إلى نهايتها، إذ "لم تعد هناك منطقة يمكن إدعاء ملكيتها" (Mackinder 1904: 421)

وكان هذا بمثابة تطور مزعج. إذ كان ماكندر يعتقد - مثل الكثير من الإمبرياليين - أن استعمار "المجالات الواسعة المفتوحة" فى أفريقيا وآسيا كان بمثابة "صمام أمان" للطموح الأوروبى الجامح لتجنب الصراعات الإقليمية فى أوروبا، والتوجه نحو تطوير الإمبراطوريات. وهكذا أدى "إغلاق" العالم أمام المزيد من التوسع الأوروبى إلى توترات اجتماعية وسياسية داخل أوروبا، مع زيادة احتمال الصراع على الحدود الامبريالية، التى أصبحت مشتركة بين القوى الامبريالية المتنافسة، وبالتالى أصبحت ساكنة ولا تكشف عما بها.

وكتب أيضًا "إن كل انفجار للقوى الاجتماعية سوف تتردد أصداؤه بحدة من أقصى الأرض - بدلاً من تبددها فى الدائرة المحيطة بها من الفضاء المجهول والفوضى البربرية - وبالتالى فإن العناصر الضعيفة فى الكيان السياسى والاقتصادى فى العالم سوف تهتز بعنف نتيجة لذلك"(Mackinder 1904:422)

لقد كانت النزعة الأوروبية عند ماكيندر، ورفضه الاعتراف بحقوق الشعوب المستعمرة، تمثل أهم خصائص طبقته، والعصر الذى كتب فيه. ولكن تحليله كان سليماً فى أحد جوانبه. فبحلول أواخر القرن التاسع عشر أصبح التوسع الأوروبى فى أفريقيا وآسيا مصدراً للصراع بين القوى الكبرى، وليس وسيلة لتخفيف التوتر. وعلى سبيل المثال، تقاطعت الرغبة البريطانية فى إقامة خط بربط الشمال بالجنوب - من كيب تاون فى جنوب افريقيا إلى القاهرة مرورا بشرق أفريقيا - مع الأهداف الفرنسية المتمثلة فى فتح طريق عبر القارة من الغرب إلى الشرق.

وأوشكت الدولتان على إعلان الحرب فى ١٨٩٨ عندما واجهت قوات كيتشنر قوات مارشارد فى موقعة فاشودا على ضفاف النيل الأبيض. وكذلك دخلت روسيا وبريطانيا فى "لعبة كبرى" طويلة الأجل من التجسس والتجسس المضاد - أى الحرب الباردة "للحقبة الامبريالية" - وذلك على أطراف إمبراطوريتيهما فى جبال وسفوح هندوكوش وممر خيبر فى قلب القارة الآسيوية. وبينما كانت هذه الصراعات تنتظر الحل الجزئى بظهور نظام أوروبى ثنائى القطبية بعد ١٩٠٧، إلا أن احتمالات اندلاع أزمة عبر هذا التقسيم كانت قائمة دائمًا، حيث وصلت فرنسا وألمانيا مرتين إلى حافة الحرب فى عامى ١٩٠٥ و ١٩١١، بسبب تنافسهما فى المغرب.

ويؤكد ماكيندر أن نظرية نهاية "العصر الكولومبى" مثلت أزمة للقوى الأوروبية الامبريالية القديمة، خاصة بريطانيا. فمع وجود إقليم "محلى" صغير وممتلكات استعمارية واسعة الانتشار، كانت بريطانيا معرضة لخطر القوى الاستعمارية المنافسة، وتكاتف المقاومة ضد إمبراطوريتها (كما أظهرت حرب البوير). وادعى ماكيندر أن "التوسع الإمبريالى" سيزيد خطورة القوة البحرية بعد العصر الكولومبى[٧].

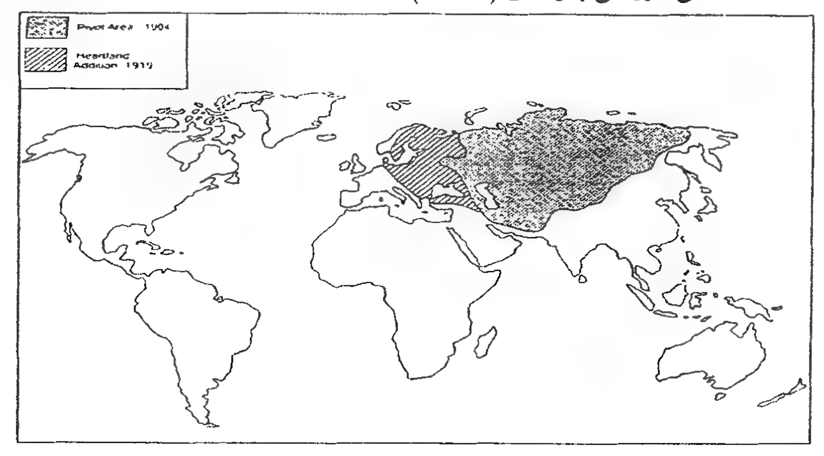
ويؤكد ماكيندر أن القوة البحرية كانت أساس التفوق الأوروبى فى العصر الكولومبى، ولكن السيطرة العالمية المرتقبة آنذاك ستعتمد على الهيمنة على الموارد الضخمة للكتل القارية الكبرى (Mackinder 1902). ففى العصر الجديد، ستفضى ثورة

النقل البرى بالسكك الحديدية إلى ربط القارات معًا بشبكات من السكك الحديدية تنطلق من الطرق الحديدية العظمى العابرة للقارات. وكان الطريق الحديدى عبر سواحل المحيط الهادئ Trans-Pacific فى أمريكا الشمالية، والطريق الحديدى العابر لسيبيريا Trans-Siberian فى قلب إمبراطورية روسيا الآسيوية، أول مجسين تجريبيين فى نظام نقل جديد سيطوق الأرض (8)(Hauner 1991: 142-5).

وباعتبارها أكبر كتلة قارية على الكوكب، كانت آسيا بمثابة نافذة الرؤية الأساسية لأفكار ماكيندر للعالم. اعتبر ماكيندر آسيا "المحور الجغرافى للتاريخ". وبدت مرعبة تلك الفكرة القئلة بأن نظاما للسكك الحديدية يمكن أن يغزو الكتلة الهائلة لآسيا، وحملت هذه الفكرة نذر مستقبل مضطرب. فقد تنبأ ماكيندر بأن "القرن لن ينتهى قبل أن تغطى آسيا كلها بالسكك الحديدية" (Mackinder 1904:434). ولكن عدم تحقق هذا النظام لا يقلل من الأثر الاستفزازى لتنبؤ ماكيندر فى ١٩٠٤ . فالحضارة الأوروبية " الناتجة عن الصراع الأزلى ضد الغزو الآسيوى" فى تقدير ماكيندر كانت مهددة تهديداً مباشراً بإمبراطورية أوروآسيوية جديدة تحتل المركز الجيوستراتيجى للعالم. حيث سادت السيطرة العالمية الأوروبية – التى فرضتها دول صغيرة تعتنق قاعدة القانون والديمقراطية (بريطانيا وفرنسا وهولندا) فى عصر الشراع والبخار. ولكن العالم الذى صنعوه لا يحتمل أن يعيش فى عصر السكك الحديدية القارية والسفر لمسافات طويلة. أى أن آسيا أصبحت على وشك السيطرة العالمية. ولكن السؤال يتعلق بأى الدول الموجودة حول حافة الكتلة الأرضية الآسيوية هى التى ستسيطر على هذا المجال الحيوى؟

إن روسيا الامبريالية – القوة "الأوراسيوية" الوحيدة الموجودة – كانت فى أنسب وضع للسيطرة على الكتلة الأرضية الآسيوية. ومع ذلك يمكن أن تكون هذه المهمة المرعبة كبيرة جداً على روسيا القيصرية غير الصالحة والتى تبدو غير قادرة على مسايرة العصر الحديث (بالرغم من السكك الحديدية "العابرة لسيبيريا"). وهناك قوى أخرى، تقع فى "الهلال" المحيط بالكتلة الأرضية الآسيوية تمثل تهديدات بديلة. إذ أن ظهور اليابان ـ التى كانت قواتها فى وضع يسمح لها بهزيمة الجيش الروسى بينما كان ماكيندر يعد محاضرته فى ١٩٠٤ ـ أثار شبح إمبراطورية آسيوية تظهر من

الشرق وليس الغرب. ولكن ألمانيا ـ الدولة المهووسة علنًا بالتوسع الاقليمى ـ كانت تبدو المصدر غير الروسى الواضح لامبراطورية أوراسيوية. وكان ماكيندر يعتقد أن السيناريو الرهيب يتمثل فى التحالف بين روسيا وألمانيا. إذ أن هذا يؤدى إلى تأسيس قوة لا تقاوم، حيث تتزاوج الميكنة الألمانية الحديثة مع الكتلة السكانية الضخمة لروسيا الزراعية. ومن ثم فإن الكتلة الأرضية الآسيوية "جزيرة العالم" سيسيطر عليها هذا التحالف بسهولة. وسيكون هذا بمثابة عصر جديد تمامًا فى النظام الجيوبوليتيكى العالمى. وبينما خلقت المراحل السابقة من التوسع الاستعمارى الأوروبى امبراطوريات بحرية هامشية استطاعت مواصلة سيطرة المركز الأوروبى، فإن غزو "جزيرة العالم" لن يمثل توسع أوروبا، بل سيمثل التخلى عنها لصالح التوسع الكبير لآسيا. وهكذا ستنهار الحضارة الأوروبية، والامبراطوريات البحرية، وسيختل التوازن التقليدى للقوى. ومن ثم سينتهى العصر الكولومبى للسيطرة الأوروبية، وسيبدأ عصر أوراسيوى جديد. فإذا أرادت بريطانيا وأوروبا الوصول إلى القرن العشرين، يجب منع المستقبل المخيف للتحالف الألمانى الروسى بأى ثمن (شكل ١).



شكل (١) قلب الأرض عند ماكيندر، ١٩٠٤ - ١٩١٩,

المصدر: ,Mackinder 1904:435; Mackinder 1919: 135

(أعيد رسمها هنا لمزيد من الإيضاح).

لقد كان السياق التاريخى الذى كتب فيه ماكيندر هامًا جداً. حيث ألقيت محاضرته خلال المناقشات التمهيدية للاتفاق الودى الانجليزى الفرنسى، الذى وقع بعد ذلك بعشرة أسابيع. وكما رأينا، كان هذا الاتفاق عنصراً أساسيًا فى تشكيل ما يسمى "الاتفاق الثلاثى" الذى طوق ألمانيا وحلفاءها فى وسط أوروبا، والذى شكل النظام الأوروبى ثنائى القطبية. وكان تحليل ماكيندر للتهديد الأوراسيوى للنظام الأوروبى القائم بمثابة تفصيل لدور بريطانيا الجديد فى سياسة القوى الأوروبية، وبمثابة تدريب على أساليب "الصدمة" المصممة لإظهار الحاجة إلى تحالف أوروبى "محاصر" يحتوى ألمانيا من جميع الجهات، ويربط روسيا بفرنسا وبريطانيا، ويزيل احتمال التحالف بين القوتين الأوروآسيوتين المحتملتين. وكان ماكيندر يعنى أنه على الأسد البريطانى أن يستيقظ من سباته الامبريالى القانع.

ولم يعد مقبولا أى اعتقاد فى العزلة الآثمة لبريطانيا عن التعقيدات السياسية الأوروبية. إذ يدعى ماكيندر أن العالم تغير، وأنه على بريطانيا أن تستجيب لحماية وضعها وضمان استمرار الحضارة الأوروبية. لقد كانت محاضرة ماكيندر فى ١٩٠٤ نقطة حاسمة فى تاريخ الجيوبوليتيكا، وكانت بمثابة بيان تأسيس للمخاطر التى تواجه بريطانيا وأوروبا فى القرن العشرين، وكانت بمثابة انعكاس - وإسهام - للفكرة الإقليمية العالمية التى نمت بصورة أقوى خلال القرن العشرين. فبالنسبة لماكيندر والذين آمنوا بتحليله كان الحجم الجغرافى شديد الأهمية. وكان يفترض أن الأرض والموارد و"الكلمة المنحوتة" التى ابتكرها ماكيندر "القوة البشرية" هى التى تحدد الأهمية والمكانة القومية (Mackinder 1905)

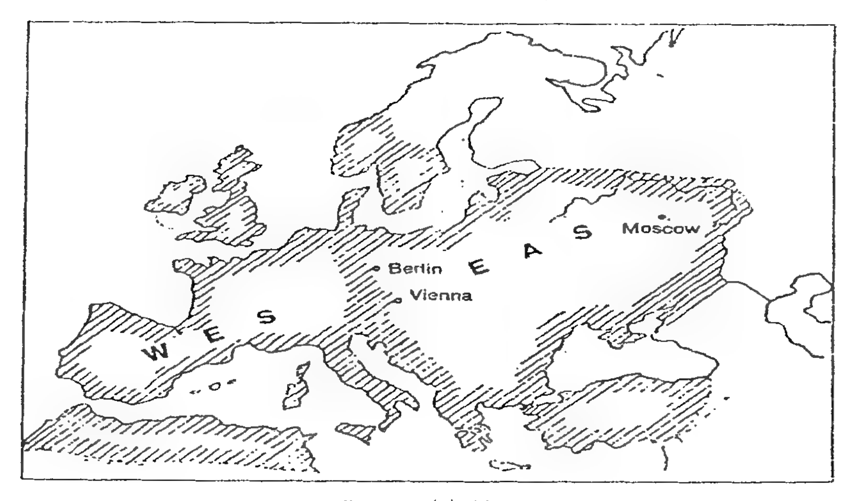
وقد قدم ماكيندر تحليلاً مفصلاً لورقة ١٩٠٤ فسر فيه مستقبل أوروبا بصورة كئيبة نوعًا ما (Mackinder 1919) وذلك فى كتابه "الحقيقة والمثل الديموقراطية: دراسة فى سياسيات إعادة البناء"، والذى نشره قبيل مؤتمرات السلام فيما بعد الحرب العالمية الأولى فى أوائل ١٩١٩ . وقد تبدى أن الحرب "أقرت ولم تدحض" آراءه السابقة. هكذا ،

تأكد الدور الكبير للنقل البرى بقدرة ألمانيا على خوض حرب على جبهتين، وانكشف تدهور القوة البحرية بفشل بريطانيا فى استغلال تفوقها البحرى. ولكن صعود البلاشفة فى روسيا، والتغيرات التى بدت فى المشهد السياسى لشرق أوروبا الوسطى، أرغم ماكيندر على إعادة التفكير فى تفاصيل نظريته. وادعى ماكيندر أنه بالرغم من أن الحرب اجتاحت العالم، ووصلت ذروة وحشيتها فى شمال فرنسا وبلجيكا، إلا أنها كانت فى الحقيقة صراعًا على السيطرة على شرق أوروبا الذى كان يمثل بوابة الكتلة الأرضية الآسيوية، والتى أطلق عليها مصطلح "قلب الأرض". وكانت السيطرة على "قلب الأرض" لا تزال تمثل مفتاح القوة العالمية. ومع ذلك، نجد أن الحدود الغربية لهذه المنطقة المترامية وصلت الآن إلى قلب أوروبا "القديمة".

ولكن فكرة أوروبا الواسعة التى تمتد من المحيط الأطلنطى إلى السهوب الروسية – والتى أسماها ماكيندر "أوروبا الحقيقية" – لم تعد موجودة. ففى السابق كانت تلك المنطقة محددة بخط يمر شرقًا من سان بطرسبرج إلى قازان، ثم جنوبا على وديان نهرى الفولجا والدون وصولا إلى البحر الأسود. كانت هذه هى "أوروبا الشعوب الأوروبية"، أى أوروبا "المسيحية" بما فى ذلك مستعمراتها. ولكن "أوروبا الحقيقية" التى كانت لفترة طويلة "مفهومًا اجتماعيًا محددًا " كانت تنقسم تدريجيًا إلى إقليمين مختلفين متنازعين؛ الشرق والغرب.

وتمتد "منطقة الانتقال" بين هاتين المنطقتين من شواطئ شمالى البلطيق حتى خليج فينيسيا، وكان ذلك بمثابة تنبؤ واضح بتقسيم الحرب الباردة بعد ١٩٤٥ (شكل ٢). وكانت الأقاليم الواقعة على الجانبين متعارضة ثقافيًا وجيوبوليتيكيًا، أى عالمين مختلفين. فإلى الغرب؛ وعلى "الأرض الساحلية"، حدث توازن بين بريطانيا وفرنسا، وهما القوتان اللتان حافظتا على تراث الحضارة الأوروبية "الحقيقية". أما إلى الشرق، وعلى الحدود الغربية لقلب الأرض، تقع روسيا ومعظم ألمانيا، أى القوى الأوراسيوية المحتملة. وكان مصير روسيا كقوة آسيوية محسومًا، أما ألمانيا الواقعة مقابل هذا

التقسيم الكبير فكانت قوة مثيرة للمشاكل ولايمكن التنبؤ بها، لأنها كانت تنظر فى الاتجاهين فى وقت واحد. وكان تقسيم أوروبا يعنى أن ألمانيا لا تستطيع إدعاء الاعتماد الأوروبى الكامل، وكان من المحتمل أن تدير ظهرها لعالم الأطلنطى على "السواحل". وسوف يؤدى هذا إلى نهاية "أوروبا الحقيقية"، وانهيار الحضارة الأوروبية.



شكل (٢) تقسيم ماكيندر

المصدر: Mackinder 1919: 154

(أعيد رسمها هنا لمزيد من الإيضاح).

وهكذا كان تهديد التحالف المستقبلى بين ألمانيا وروسيا لايزال يمثل الخطر النهائى، خاصة إذا قدر للبلشفية أن تستقر فى ألمانيا. وكان احتمال حدوث غزو ألمانى للعالم السلافى على نفس القدر من الخطورة. ولكن هذا غير محتمل فى المستقبل القريب، وإن كان غير مستبعد فى الأجل الطويل. حيث فشلت استراتيجية التطويق فيما قبل ١٩١٤ فى منع ألمانيا من شن حرب توسعية، وكانت بجميع المقاييس بمثابة "تحالف... متناقض بين الديموقراطية والاستبدادية" (Mackinder 1919:161). وكان ماكيندر يعنى أن التحالف بين الديموقراطية والبلشفية سيكون أكثر تناقضًا. وهكذا

كان توسع ألمانيا مستقبلاً نحو قلب الأرض احتمالاً كبيراً. إذ أن نبض قلب الأرض يمكن فى الواقع أن يتبع الايقاع السائد فى برلين وليس موسكو ولا بتروجراد.

وكانت الدروس واضحة ولم تتغير بسبب الحرب: "يجب على غرب أوروبا – الجزر وشبه الجزر – أن تعارض أية "قوة" تحاول إخضاع موارد شرق أوروبا وشرق الأرض (Mackinder 1919:178) وبعد ذلك بعدة صفحات، صاغ ماكيندر قوله المأثور لتلخيص تصوره الجيوبوليتيكى:

من يحكم شرق أوروبا يسيطر على قلب الأرض

من يحكم قلب الأرض يسيطر على جزيرة العالم

من يحكم جزيرة العالم يسيطر على العالم (Mackinder 1919:194)

وذهب ماكيندر إلى القول بأن منع قيام تحالف بين ألمانيا وروسيا فى الشرق، داخل "قلب الأرض"، يجب أن يكون محور سياسة "الحلفاء" المقبلة (Mackinder 1919: 155-60). وكانت الطريقة الوحيدة لتحقيق هذا الهدف فى ١٩١٩ تتمثل فى تكوين إطار من "الدول الحاجزة" فى أوروبا الشرقية، بمساندة القوى الغربية، بما يفصل ألمانيا عن روسيا (شكل ٣) (Mackinder 1919: 209). وهكذا فإن تصور ماكيندر لأوروبا مقسومة إلى جزئين منفصلين تماماً عن بعضهما قد انتشر فى لغة جيوبوليتيكا القرن العشرين، وهذا هو التقسيم التقليدى للقارة بين شرق وغرب من حيث المفاهيم، وهو ما يمكن إرجاعه إلى القرن الثامن عشر إن لم يكن قبل ذلك (Wolff 1994)

لقد كان المقصود من تحليل ماكيندر فى ١٩١٩ تقديم درس فى الواقعية الجيوبوليتيكية، وذلك فى مقابل "المثالية الساذجة" التى اكتشفها فى تصريحات الرئيس الأمريكى ويلسون، وبين أنصار عصبة الأمم التى يمكن أن تسهل الحل السلمى للصراعات الدولية. فإذا كان يمكن لمثل هذه المنطقة أن تكون قوة للخير، فلابد أن تتجنب المفاهيم غير العملية مثل "الدولية" أو "عالم واحد". ويجب ألا يوضع جدول

أعمالها على أيدى محامين يهتمون بالمبادئ القانونية المجردة. حيث استنتج ماكيندر أن "المثل الديموقراطية" الساذجة تتعارض مع الحقائق الجغرافية الصعبة. وذلك لأن دعاوى "العالمية" أو "تساوى الأمم" كانت بلا جدوى فى عالم لا يتساوى فيه الوصول إلى المواقع الإستراتيجية والموارد الاقتصادية. وذهب ماكيندر إلى أنه "ليس هناك شئ يسمى تساوى فرص الأمم".



شكل (٣) الدول الحاجزة عند ماكيندر
المصدر: (Mackinder 1919:207)
(أعيد رسمها هنا لمزيد من الإيضاح).

إن الجغرافيا، وتجمع الأراضى والبحار، والخصوبة والممرات الطبيعية، تؤدى إلى نمو الامبراطوريات، وتفضى فى النهاية إلى ظهور "امبراطورية عالمية" واحدة. فإذا أردنا أن نحقق هدفنا فى "عصبة أمم" تستطيع منع الحرب فى المستقبل، يجب أن نعترف بهذه الحقائق الجغرافية ونتخذ الخطوات اللازمة لمواجهة تأثيرها (Mackinder 1919: 2-3).

خلفت تنبؤات ماكيندر اهتمامًا واسعًا، بالرغم من أنه كان هناك من لم يقتنع بهذا التحليل. وعلى سبيل المثال فإن جورج شسهولم، أستاذ الجغرافيا بجامعة أدنبره، رفض قول ماكيندر المأثور عن شرق أوروبا وقلب العالم والجزيرة العالمية، واعتبره "سلسلة من التأكيدات المنطقية نوعًا ما"، بينما انتقد الجغرافى الأمريكى تشارلز ردواى درايز فشل ماكيندر فى تقييم الدور المستقبلى لقوى غير أوروبية، خاصة الولايات المتحدة (Chisholm 1919:250; Dryer 1920) كما تصدى ليو أميرى (الذى كان آنذاك صحفيًا فى التايمز، ثم أصبح سياسيًا محافظًا بارزًا) بالرد على ورقة ماكيندر فى ١٩٠٤ قائلا إن بداية عهد جديد لقوة أرضية وللسكك الحديدية القارية لا يمكن أن يتحقق، لأن ثورة نقل أخرى كانت على وشك الحدوث. إذ أن آفاق عالم مترابط بالطائرات والتلغراف جعل التمييز الجيوبوليتيكى الذى طرحه ماكيندر بين القوى البرية والقوى البحرية باطلاً (Mackinder 1904: 441)

وقد أعجب البعض بمنطق ماكيندر، وإن لم يعجبوا باستنتاجاته. حيث حول الجغرافى الأمريكى فريدريك تيجارت تحليل ماكيندر إلى اتهام شبه عنصرى لكل شئ روسى، ودفاع مستميت عن ألمانيا كحليف طبيعى "للغرب" فى صراعه القديم ضد "الشرق". ويؤكد أن ألمانيا كانت الحصن الأوروبى المنيع أمام توسع الاستبداد الروسى غربا، والذى تجسد لاحقا فى التهديد البلشفى الجديد. وذهب تيجارت إلى القول:

"إن مصالح القوى الغربية (انجلترا وفرنسا وألمانيا) متطابقة فى مواجهة قوة قلب الأرض. حيث كانت ألمانيا والنمسا تتحملان المهمة التاريخية التى ألقتها عليها أوروبا الغربية، وذلك فى مواجهة التهديد الروسى للأراضى الهامشية. فألمانيا جزء لا يتجزأ من أوروبا الغربية، وهى الحاجز الدفاعى لها. فإذا كان نظامها السياسى والعسكرى يمثل تهديداً، فهذا نتيجة منطقية للأفكار الغربية"(Teggart 1919: 240)

وذهب تيجارت إلى القول بأن "الولايات الأوربية المتحدة"، والتى تضم ألمانيا الموحدة، تمثل الحل الوحيد "للتهديد الروسى الجديد"(Teggart 1919: 241)

وانتشرت هذه الأفكار فى ألمانيا، حيث كانت أفكار ماكيندر تناقش على نطاق واسع. وكذلك ادعى ماكس شيلر أن الحرب كانت صراعًا بين أوروبا وآسيا، وحربًا صليبية مقدسة ستؤدى فى النهاية إلى تقوية ودعم قوة الحياة الأوروبية. ويقول شيلر أيضًا إن الأمور للأسف أصبحت معقدة بلا مبرر، نتيجة للتحالف غير الطبيعى الذى أبرمته انجلترا وفرنسا - الحلفاء الأوربيين لألمانيا - مع روسيا الآسيوية الغربية. فقد كانت ألمانيا مضطرة لحمل العبء الوحيد للثقافة الأوروبية فى هذا الصراع التاريخى، بينما كانت تعانى من هجمات قاتلة من تلك الشعوب التى تشترك فى المصالح الأوروبية المشتركة (Scheler 1915)

وفى ألمانيا وقع صدى كبير لأفكار ماكيندر عن أن إمبراطوريات أرضية متماسكة ستحل محل الامبراطوريات البحرية غير المستقرة المتناثرة عشوائيًا عبر العالم. حيث تنبأت مدرسة وليدة حول " "الأقاليم المترابطة" بأن الدول الأوروبية القائمة ستكون غير قابلة للاستمرار فى عالم المستقبل الذى سيسوده النقل السريع طويل المسافات. وكان لابد أن تتغير الجغرافيا السياسية لأوروبا مع تجمع دولها لتكوين وحدات سياسية واقتصادية أرضية أكبر، واتحادات إقليمية مكتفية ذاتيًا. ولكن معظم النقاد الألمان رفضوا بشدة اقتراح تشكيل عالمى جديد يقسم أوروبا إلى جزئين. ولم يكن هذا مدهشًا بالطبع، لأن هذا السيناريو يتحدى مباشرة كلاً من التكامل الاقليمى لألمانيا الموحدة والاعتمادية الأوروبية للشعب الألمانى.

وظهر منظور مختلف يعتمد على فكرة وسط أوروبا **Mitteleuropa** كتصوير بديل لمستقبل ألمانيا فى أوروبا الجديدة. وعلى عكس قلب الأرض عند ماكيندر، فإن وسط أوروبا الصاعدة سيحافظ على التكامل التاريخى لأوروبا (وألمانيا)، أو هكذا يدعى أنصار هذا المنظور. وترجع فكرة أن أوروبا يمكن أن تنقسم إلى ثلاثة أقاليم "طبيعية" من الغرب إلى الشرق، مع حزام مركزى، إلى منتصف القرن التاسع عشر (Brechte-feld 1996; Schultz 1989; Stirk 1994; Szücs 1988). وكان الجدل حول "وسط أوروبا"

وأشكاله المختلفة معقداً للغاية. فلم يكن هناك اتفاق واضح حول حدوده الجغرافية ولا معناه أو وظيفته الدقيقة. ففى البداية كان المفهوم مقبولاً بالمعانى الاقتصادية. حيث كان التصور يتمثل فى أن وسط أوروبا سيكون مجالاً اقتصاديًا جديدًا، تنخفض فيه الجمارك الداخلية وترتفع فيه الجمارك الخارجية، بما يحمى القطاعات الزراعية والصناعية، ويتغلب على الاختلالات الاقتصادية الحادة للإقليم. وكان هذا يمثل أحد مظاهر الايمان بالاكتفاء الذاتى والحمائية فى أواخر القرن التاسع عشر. ونادى الاقتصادى فريدريك لست **List** باتحاد جمركى عام لوسط أوروبا، بناءً على "الاتحاد الجمركى" الألمانى، خلال ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر. كما قدم وزير التجارة النمساوى، كارل فون بروك، فكرة مماثلة فى أواخر أربعينيات وخمسينيات القرن التاسع عشر، حيث اقترح سلسلة من الاتحادات المتداخلة ـ ألمانية، نمساوية، سويسرية، إيطالية ـ تعمل كعنصر توازن للاقتصادات الامبريالية فى الغرب (بريطانيا وفرنسا) وفى الشرق (روسيا).

وقد أبرز روبين أوكى **Okey** الطبيعة الاقتصادية للجدل حول وسط أوروبا خلال خمسينيات القرن التاسع عشر فى تحليله لتسعة وسبعين أطلسًا المانيًا كانت تباع فى ١٨٥٦ . حيث أظهر أربعة منها فقط الجغرافيا السياسية لعصر يعرف بـ"أوروبا الوسطى"، بينما احتوى أربعة وعشرون منها على خرائط اقتصادية موضوعية منظمة على هذا الأساس **(Okey 1992: 114)**

وظهرت مقترحات انشاء اتحاد جمركى يضم ألمانيا والنمسا والمجر وغيرها من دول جنوب وسط أوروبا مرارًا فى مناسبات عديدة حتى أوائل القرن العشرين. وذلك كنتيجة جزئية لتأسيس الرابطة الأمريكية، مما أشار (بصورة مضللة) إلى أن "رابطة اقليمية" اقتصادية توحد الأمريكتين الشمالية والجنوبية على وشك الظهور. وكان الاقتصادى يوليوس وولف شخصية بارزة فى الحملة الداعية "للرابطة الاقليمية" الاقتصادية الألمانية، حيث كان "الاتحاد الاقتصادى لوسط أوروبا" يمثل لديه نقطة هامة فى هذا الحوار **(Stirk 1994: 12)**

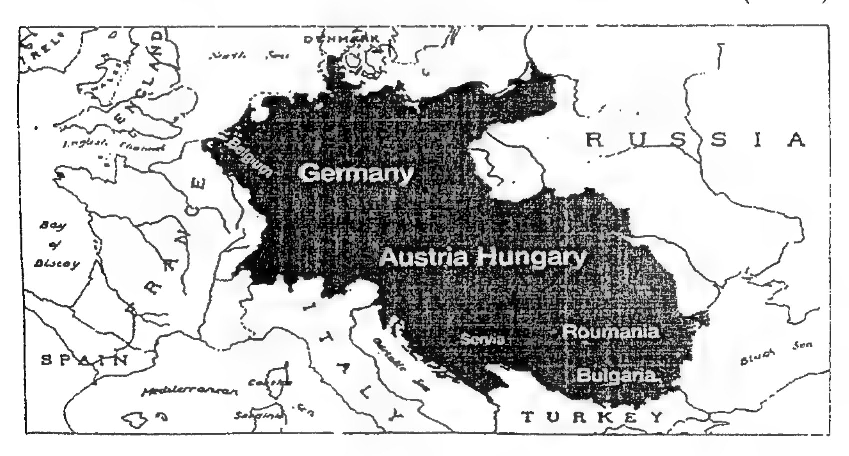
لقد كان هناك دوافع أيديولوجية كامنة وراء هذه الحجج الاقتصادية. وقد ظهر هذا واضحًا قرب نهاية القرن التاسع عشر. حيث اكتسبت فكرة "أوروبا الوسطى" السياسية بعض التأييد من اليسار. فكان ظهور نظام اتحادى ديموقراطى فى أوروبا الوسطى يبدو حلاً خيالياً للتوترات العرقية المتزايدة فى الاقليم، وكان هذا بمثابة بديل جذرى للحكم الاستبدادى الجامد "لامبراطورية نمساوية مجرية"، يكون فيها أقل من نصف السكان إما نمساويين أو مجريين، بينما تكون المجموعة السائدة من رعايا الامبراطور – حوالى ٤٧٪ – من السلاف.

هنا نجد أن المجموعات العرقية واللغات والأديان تتشابك فى صورة لا يمكن رسمها على خريطة. وكذلك كان خلق دول صغيرة متجانسة عرقيًا يبدو غير عملى تمامًا. فمثل هذه الدول المهددة استراتيجيًا والصغيرة اقتصاديًا ستؤدى إلى تفاقم الصراع العرقى حتمًا. ومن ناحية أخرى، فإن أى اتحاد ديموقراطى جديد - تحظى فيه كل المجتمعات بتمثيل مناسب - يمثل بديلاً جذاباً وتقدميًا لتصلب الهيكل الجيوبوليتيكى القائم، ومجتمعا مثاليا خاليا من العرقية للجميع. أى أن أوروبا الوسطى الاتحادية - التى تتحدد بتنوعها العرقى وليس بوحدتها الجغرافية - تقدم نموذجًا يمكن أن يؤدى إلى ظهور أوروبا اتحادية بشكل أكثر شمولا.

وكان الماركسى الألمانى كارل رينر واحداً من أشد المتحمسين لأوروبا الوسطى الاتحادية. فكان يعتمد على إعادة التفكير الابداعى والابتكارى فى كيفية عمل الدول والسيادة والاقليمية السياسية، وكان فيها قدر من التشابه مع فكرة "التوابع" الحديثة. وبدلاً من وجود دول محددة منفصلة، تقوم كل منها بتطوير سياساتها الاقتصادية والاجتماعية، نادى رينر بالفصل الوظيفى للمسئوليات داخل نظام اتحادى. حيث تتحدد السياسات الاقتصادية والسياسية العامة على المستوى الاتحادى عن طريق برلمان من نواب منتخبين من الدول القائمة، أما المسائل والشئون الاجتماعية المتعلقة بالمجموعات العرقية أو الدينية، بما فى ذلك التعليم، فيمكن معالجتها عن طريق منظمة موازية تشمل ممثلين من كل مجتمع متناثر جغرافيًا (Kann 1964: 157-67; Stirk 1994:9)

وكانت فكرة أوروبا الوسطى الاشتراكية، التى تمثل ألمانيا محورها، تنتشر لدى عدد قليل من المفكرين الراديكاليين الذين كانوا يحلمون بامْبراطورية ألمانية اشتراكية كبرى تستطيع مواجهة الامبراطوريات الرأسمالية للبريطانيين

والفرنسيين (Fletcher 1984) وكانت فكرة أوروبا الوسطى كمحور كونى داخل أوروبا اشتراكية جديدة يمثل تقليداً شائعاً فى ألمانيا فى نهاية القرن، بالرغم من أن فكرة أوروبا الوسطى، التى يمكن أن تتحدد بتنوعها الشديد، كانت أيضًا دافعًا مشتركًا فى الحوار السياسى والأكاديمى. وعلى سبيل المثال، أجرى الجغرافى جوزيف بارتش مسحًا هامًا على الجغرافيا الطبيعية والبشرية للاقليم بناءً على هذه الفكرة (شكل ٤) (Partsch 1904)



شكل (٤) أوروبا الوسطى عند بارتش
المصدر: (Partsch 1904:310)
(أعيد رسمها هنا لزيادة الوضوح).

وكانت الفكرة السياسية الألمانية عن أوروبا الوسطى تحظى باهتمام المفكرين المحافظين أيضًا . إذ أن تيودور شيمان – صديق القيصر الألمانى شديد القومية ويلهلم الثانى – حدد الأهداف الأساسية التى يجب أن يصر عليها الوطنيون الألمان أصحاب

التفكير السديد عند نهاية القرن ممثلة فى "اتحاد جمركى واقتصادى لأوروبا الوسطى، وتسوية المسألة الاستعمارية على أسس عادلة، وإذلال انجلترا، والحفاظ على السلام مع حلفائنا فى النمسا والمجر وايطاليا، واحتواء النفوذ الروسى القوى" (Stirk 1996, 10-11)

وكان شيمان يرى أن أوروبا الوسطى - التى تقوم مبدئيًا على اتحاد جمركى - تعنى اتحاد أوروبا الوسطى الذى تسيطر عليه ألمانيا الكبرى التى تضم كل الشعوب الناطقة بالألمانية - يعيش ١٠ مليون منهم خارج ألمانيا فى النمسا والمجر والعديد من "المناطق المسلوخة" فى أماكن أخرى - وتصبح موحدة فى النهاية. أى أنها ليست أوروبا وسطى تتمتع بالتنوع العرقى أو حتى تتسامح معه. إذ يجب على "الشعوب الصغرى فى المنطقة أن تتقبل تلاشيها التدريجى ببساطة. فمصيرها أن تندمج فى "الثقافة" الألمانية السائدة. وهكذا ظهرت الدعوة إلى أوروبا وسطى ألمانية كأحد الأهداف الحربية المعلنة التى صرح بها المستشار الألمانى بيتمان-هولفيج فى سبتمبر ١٩١٤ . حيث قيل

"يجب أن يتشكل اتحاد اقتصادى لأوروبا الوسطى من خلال اتفاقيات جمركية مشتركة، تشمل فرنسا وبلجيكا وهولندا والدنمارك والنمسا والمجر وبولندا، وربما ايطاليا والسويد والنرويج. ولن يكون لهذا الاتحاد أية سلطة دستورية عليا مشتركة، وسيكون كل أعضائه متساوين رسميًا، ولكنه سيكون عمليًا تحت القيادة الألمانية، ويجب أن يثبت من السيطرة الاقتصادية لألمانيا على أوروبا الوسطى" (Stirk 1996:2)

لقد كان مفهوم "أوروبا الوسطى" معقدًا وغامضًا أثارته جهات مختلفة لأسباب متناقضة تمامًا. وقد ظهرت هذه التناقضات على السطح خلال الحرب العالمية الأولى، عندما احتدم الجدل حولها كأحد بدائل الهيكل الجيوبوليتيكى الأوروبى القائم. حيث كتب البريشت بنك عن "أوروبا الوسطى" تحت رعاية ألمانيا كوسيلة لضمان السلام وجسر نحو أوروبا الموحدة (Penck 1915). فى السنة التالية ظهرت حجة مماثلة قدمها فريدريك نومان، وهو قس بروتستانتى سابق وعضو فى الرايخستاج (Naumann 1916) حيث نادى ناومان بأوروبا الوسطى المكتفية ذاتيًا، تحت رعاية ألمانيا، كحل وحيد

للمشاكل الجيوبوليتيكية القائمة فى أوروبا، وعدم التوافق المزمن بين "الثقافة" الألمانية و"الحضارة" الأنجلوفرنسية، و"الاستبداد الشرقى" لروسيا. ومن حيث المبدأ، ستحتاج هذه المنطقة إلى عزلها ماديًا عن أعدائها إلى الشرق وإلى الغرب "بسورين صينيين" عظيمين. ومع ذلك، ستؤدى أوروبا الوسطى فى الأجل الطويل إلى أوروبا اتحادية أوسع، حيث تظهر أوروبا موحدة فى سلام مع نفسها من إقليمها المركزى. وتكون الخصائص الأساسية لأوروبا الوسطى هى الخصائص الأساسية لأوروبا ككل.

وفتح تحليل نومان جدالاً حادًا عبر تقسيم زمن الحرب. وأصبح إيمانه بعدم التوافق بين "الثقافة" الألمانية و"الحضارة" الأنجلوفرنسية مقبولاً لدى العديد من النقاد فى بريطانيا وفرنسا. حيث يفسر هنرى بيرجسون الحرب بهذه التعبيرات تحديدًا، على أنها صدام بين رؤيتين عالميتين مختلفتين جذريًا، نتيجة لثقافات قومية متباينة تمامًا. وهكذا كان السلام يتطلب إما المحو الكامل لأحد الجانبين، أو الفصل الكامل بينهما (Bergson 1915) وأبدى بعض النقاد البريطانيين ترحيبًا حذرًا بمشروع نومان. إذ أن انعزال أوروبا الوسطى عن بقية العالم سيؤدى إلى نهاية أوروبا "القديمة" فى المستقبل المنظور، وإذا كان هذا هو ثمن السلام، فربما يستحق دفعه ;Chisholm 1917a, 1917b Lyde 1916-17). ومع ذلك، كان رد فعل الحلفاء على فكرة نومان رفضًا غاضبًا بصفة عامة (Verosta 1977)، حيث استبعد معظم المعلقين الفرنسيين الفكرة معتبرين إياها فعل فاضح للرعاية الجيوبوليتيكية، ومبرر مخادع بشدة للسيطرة الامبريالية الألمانية. وقد كان يقال إن أوروبا الوسطى أسطورة تمثل إقليمًا مبتدعًا يضم شعوبًا متنوعة شديدة العداء لبعضها، ولا يمكن تحقيق "وحدتها" إلا بالقوة.

ومن المثير أن أشد أنصار الإمبريالية الألمانية كانوا أيضًا غير مقتنعين بفكرة نومان، على أنها لم تكن طموحة بالقدر الكافى، وكانت تسترضى الشعوب الصغيرة فى أوروبا الوسطى. فطبقًا لهؤلاء النقاد، الذين كان من بينهم شخصيات عسكرية بارزة مثل اللواءين لوديتدورف وهندنبرج، كانت أوروبا الوسطى بمثابة وسيلة لتحقيق غاية،

أى خطوة مرحلية نحو الامبراطورية الألمانية العظمى، ولكنها ليست غاية فى حد ذاتها. أى أن أوروبا الوسطى لدى نومان ستفرض حدوداً "غير طبيعية" على إمكانات نمو ألمانيا، وستحاصر الأمة فى مصيدة منطقة وسط أوروبا إلى الأبد.

وتعكس هذه الانتقادات الدور المتزايد للطموح الجيوبوليتيكى الألمانى بعد ١٨٩٠ والذى طور مصطلحاته الخاصة. إذ إن المفهوم الألمانى "المجال الحيوى" كان شديد الأهمية هنا. حيث استعيرت هذه الفكرة من علم الأحياء فى منتصف القرن التاسع عشر، والتى صاغها عالم الأحياء الألمانى أوسكار بنشل فى ١٨٦٠ فى مراجعة لكتاب تشــارلز دارون "أصل الأنواع" (Raffestin, Lopreno and Pasteur (1995:31, 1959). حيث استخدم بنشل المصطلح كبديل ألمانى غير دقيق للمصطلح الانجليزى "موطن habitat" وللمصطلح الفرنسى "بيئة milieu" ومع ذلك، فإنه مثل العديد من المفاهيم التى ظهرت فى العلوم الطبيعية، بدأت هذه الكلمة تنتشر بسرعة فى الكتابات الجيوبوليتيكية الألمانية، وذلك كجزء من عملية أوسع تستخدم الداروينية المبسطة لتفسير السلوك الانسانى والتنبؤ به (Dickinson 1943)

وكانت كتابات الجغرافى الألمانى راتزل، الأستاذ بجامعة لايبزيج، هامة جداً فى هذه العملية (Smith 1980; Hauner 1983; Wanklyn 196) حيث تدرب راتزل فى العلوم الطبيعية وتأثر بأفكار وتشبيهات دارون. ولكن راتزل يقول إن نقطة الضعف الأساسية فى نظرية دارون كانت تتمثل فى فشلها فى مراعاة أهمية المكان. ويقول إن فكرة دارون عن "الصراع من أجل البقاء" يمكن مساواتها بالصراع من أجل المكان. فكل أشكال الحياة على هذا الكوكب كانت تشارك فى هذا السعى الحثيث "للمجال الحيوى". وكان تطبيق هذه الفكرة على الجيوبوليتيكا الأوروبية يتطلب نظرية حيوية لتكوين وتطور الدولة، وهذا هو المفهوم الذى قدمه راتزل، ثم طوره كيلين بعد ذلك.

لقد كان كل من راتزل وكيلين يعتبر الدولة القومية كائنا طبيعيا، أكبر من مجموع الأفراد والمجتمعات والطبقات التى تكونه. فالدولة عبارة عن قوة جيوبوليتيكية حية

تضرب جذورها بعمق فى تربتها. وعبارة عن كيان عضوى، يمثل التجسيد المادى للإرادة الشعبية، ونتيجة للتفاعل عبر القرون بين الشعب وبيئته : قطعة أرض وقطعة شعب (Ratzel 1897:2 Bassin 1987:480) وكان كيلين تحديداً يحاول تحدى التعريف القانونى والمؤسسى الضيق للدولة فى تحليله الشهير "الدولة كائن حى : Der Staat als Lebenform" الذى نشر أولاً بالسويدية فى ١٩١٦, وربما كان هذا هو الطريق الذى شقه مصطلح "جيوبوليتيكا" لدخول ألمانيا. حيث يدعى كيلين أن المفهوم القانونى للدولة كان مشتقًا من الجمهورية البورجوازية، وبالتالى كان يرجع إلى عصر "التنوير والثورة الفرنسية" المسرف فى العقلانية. ولكن الدولة يجب أن تكون أكثر من هذا بكثير، إذ يجب أن تكون وسيلة لتحقيق كل آمال وأحلام وتطلعات الشعب، ووسيلة لتحقيق "الحيوية السكانية" و "الامكانات الاقتصادية" و"القوة الاجتماعية" و "القوة السياسية" (Herb 1997:51) وقد كتب كيلين فى ١٩١٦ "الانسان هو كل هذا" و "الانسان مدين للدولة... ففيها تسكن روحه. وليس لوجوده أو لحقيقته الروحية أى معنى بدون الدولة... فالدولة هى البطل الحقيقى للتاريخ" Kjellén 1924: 86,117; Breuilly 1992; Lopreno and Pasteur 1995: 85-6

ويرى راتزل أنه يجب التمييز بين امتلاك المكان والرغبة فى المكان. فوجود دول كبيرة مهددة (مثل الامبراطوريتين العثمانية والروسية) يظهر أن القوة لا تتحقق بالضرورة من مجرد امتلاك المكان. فلو كان الأمر كذلك، لكانت الدول الكبيرة تنمو دائمًا على حساب الدول الصغيرة بفضل ميزتها الأرضية الأولية. ويدعى راتزل أن الدول القوية كانت تلك الدول التى تتمتع بقدرات سكانية واقتصادية وثقافية تتخطى حدودها الاقليمية القائمة. ولابد أن يتولد لدى مثل هذه الدول ميول توسعية. حيث تتحدد قوة الدولة بطموحاتها الاقليمية وليس بمساحتها الأرضية. ولكن حيازة "المجال الحيوى" - بالرغم من أنه إعلان واضح عن القوة المبدئية - غالبًا ما يقلل الرغبة فى التوسع الاقليمى، مما يقوض حركة وطاقة الدولة، وبالتالى يجعلها عرضة لأطماع الدول المنافسة.

وعلى هذا النحو تتضمن جيوبوليتيكا راتزل عملية متواصلة من المد والجزر، وتوسع وانكماش مستمرين فى حجم الدول المنافسة. ويدعى أيضًا أن ذلك نتيجة حتمية للحياة الانسانية. وهذا هو محرك التقدم. ولم تستبعد نظرية راتزل احتمال تحقيق توازن بين الدول التى على نفس المستوى من الحيوية والنشاط. ومع ذلك، فإن مثل هذا التوازن لا يمكن أن يستمر بدون الرغبة العامة المستمرة فى المزيد من "المجال الحيوى". وهكذا كان الصراع الدائم على المجال الحيوى قانونًا جيوبوليتيكيًا أساسيًا لا يمكن التخلص منه (Raffestin, Lopreno and Pasteur 1995, 29-75)

وهكذا تحتوى أفكار راتزل على العديد من الاضطرابات فى المفاهيم. حيث جمع بين الرومانسية الألمانية المميزة (المستمدة من هيجل، و"الفلسفة الطبيعية" لهايكل، والكتابات الجغرافية لكارل ريتر الذى افترض وجود قوة حية أساسية تحدد طبيعة وأعمال كل الكائنات الحية)، والداروينية الاجتماعية (التى تعتمد على أنماط مادية للتفسير تتعارض مع الهيجلية بشدة). وهكذا كان راتزل قادرًا على الجمع بين روحانية إنسانية كامنة تعمل بصورة مستقلة عن القوى الخارجية فى بعض الأمثلة، واللجوء إلى الحتمية البيئية البحتة فى مناسبات أخرى. وانعكست هذه التناقضات الفكرية فى الاضطراب الأيديولوجى عند راتزل. حيث ظهرت رومانسيته فى المعتقدات المناهضة للحداثة. وكان يرى أن الحياة الصناعية الحضرية تمثل أزمة روحية. وكانت المدن الحديثة بمثابة أماكن بلا روح مليئة بالجشع والتشاؤم والفردية الخبيثة. وقام العمل الصناعى بسحق الروح الانسانية وتدمير الترابط الاجتماعى بتحطيم العلاقة الجدلية الضرورية بين الأرض والشعب. وكان يرى أن الوجود الريفى ـ الذى يعيش فيه البشر فى انسجام مع ايقاع العالم الطبيعى ـ هو الشكل الشرعى الوحيد للوجود البشرى. ومع ذلك، اعتمدت جيوبوليتيكيته على البراعة الصناعية التى زعم أنه يبغضها. وعلى سبيل المثال، كان من أشد أنصار إمبراطورية ألمانية وراء البحار تحكمها قوة بحرية تتوسع بسرعة وقادرة على منافسة البحرية البريطانية. (Ratzel 1900)

لقد كان "المجال الحيوى" عند راتزل مفهومًا نظريًا وليس جغرافيًا بالتحديد (١٩٠٠). ومع ذلك، يمكن تطبيق الفكرة بوضوح لإضفاء الشرعية على الطموحات الاقليمية الألمانية، خاصة فى الشرق. أى أن الأسطورة الألمانية القديمة "الزحف نحو الشرق"، أى زحف الفرسان الجرمان نحو الشرق، قد ولدت من جديد فى اللغة "العلمية" لجيوبوليتيكا راتزل. إذ أن المصير التاريخى قدر له ألا يقتصر على أوروبا الوسطى فحسب، بل يشمل شرق أوروبا وما بعدها. وهذا المجال الشرقى ـ الذى يمثل جزءً من العالم السلافى حاليًا ـ يمثل المكان الذى كان سيظهر فيه المجال الحيوى الألمانى، وهنا سيكون المكان مناسبا لظهور إمبراطورية ألمانية فى القرن القادم؛ والمكان الذى يستطيع فيه الشعب الألمانى المتزايد بداية عهد جديد من الاستعمار.

الخاتمة

غالبًا ما تعرض الكتابات الجيوبوليتيكية المتعلقة بنهاية القرن، مثل كتابات ماكيندر وراتزل وغيرهما، على أنها مبررات للتوسع الامبريالي غير المقيد، وتبرير علمي زائف لعدوان الدولة. ومع ذلك، يمكن قراءتها كتفسيرات انفعالية حول مصير أوروبا غير المؤكد في الأوضاع المتغيرة للقرن العشرين. فكانت هناك اختلافات كثيرة في الآراء من التفاؤل الحذر إلى التشاؤم المظلم، ولكن الانطباع السائد كان يتمثل في أن أوروبا ستواجه تغيرًا جوهريًا في المستقبل، وأن السيطرة التقليدية "للحضارة الأوروبية" كانت معرضة لتهديد خطير. ويبدو أن ظهور قوى أرضية بمساحة قارة (مثل الولايات المتحدة) كان يغير العلاقة بين المكان والقوة، وكان لهذا مضامين مزعجة للدول الأوروبية التقليدية التي كانت تستمد قوتها من هيكل مكاني مختلف. فقد كان العالم يتغير، أو كان يبدو كذلك، فإذا أردنا أن نفهم هذه التحولات ونتنبأ بها، لابد من لغة جديدة وأسلوب تحليلي جديد.

وكانت الجيوبوليتيكا وليدة عصرها وناتجة عن آمال ومحاولات وقلق نهاية القرن الماضي. وكان أنصارها الأوائل يريدون تأسيس علم حديث جديد يتسم بالدقة بكل مفاهيمه ونظرياته ولغته. ولكن هؤلاء الكتاب الجيوبوليتيكيين الأوائل كانوا مقتنعين بلا مبرر بأن عصرهم كان مهمًا للغاية. وبينما كان هناك قدر من الأدلة التي تؤيد هذا الرأي، كان الإيمان بحدوث انفصال جوهري يعكس الاحساس الشديد بالتاريخ، والذي صاحب نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وكانت معظم الكتابات الجيوبوليتيكية المبكرة تعكس هذا الافتراض، وبالتالي كانت نبرتها تأملية بل وتنبؤية إلى حد بعيد.

ولابد أن نؤكد فى الخاتمة على أن النصوص الجيوبوليتيكية المبكرة غطت نطاقًا واسعًا من الأفكار والموضوعات. ولا يمكن اعتبار الجيوبوليتيكا كمدرسة فكرية فريدة واضحة المعالم. فهى مجرد منظور مشتت عبر زوايا مختلفة، وتحوير لأشكال التحليل الأكاديمى السابقة. إلا أنها انتعشت فى ظروف اقتصادية وسياسية وفكرية معينة سادت فى العقود السابقة للحرب العالمية الأولى. وكما سنرى فى الفصول التالية فى هذا الكتاب، فقد اكتسب هذا المشروع دلالات جديدة مزعجة بعد ١٩١٨ .

الهوامش

(١) لمزيد من التحليل المفصل، انظر (١٩٩٨) Heffernan، خاصة الصفحات من ٤٩ إلى ١١٠

(٢) إن عنواني الفرعي مستعار، مع تعديل واضح، من النموذج الرائع الذي قدمه Guy Bois (1992) لتفسير التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي صاحبت الانتقال من العصور القديمة إلى عصر الإقطاع عند نهاية الألفية الأولى. ولمزيد من القراءة الماركسية لنفس الفترة، انظر .Anderson (1974)

(٣) ينطبق ذلك حتى على الولايات المتحدة، تلك الدولة التي تتمتع بمساحة محلية أكبر من اللازم، وبثقافة سياسية تعتمد على مناهضة الاستعمار، والتي ظهرت نتيجة كفاحها من أجل الاستقلال، ولكنها انضمت إلى المطالبة بالتوسع الاستعماري، فاستولت على بورتوريكو وكوبا والفلبين بعد الحرب الاسبانية الأمريكية في ١٨٩٨ . انظر .Le Feber 1993: 129-82

(٤) وحتى في أوقات ما بعد الحداثة غير المسيحية لدينا، لا يزال البعض منا يعتقد أن الأحداث التاريخية النادرة لا يمكن أن تكون تحكمية. ويتضح هذا جليا من الجدل الشديد الذي دار حول أهمية الألفية القادمة (بداية من الجدل الذي دار حول كيفية احتفال الحكومات بنهاية القرن: في عام ٢٠٠٠ أم في ٢٠٠١ ؟) إلى الانطلاقة العنيفة للانترنت أو ما سمي أزمة الألفية، إذ أن الشبح المرعب لفيروس الحاسبات الذي كانت هناك مخاوف من أن يدمر نظام الاتصالات العالمي ويهدد بإلحاق خسائر غير متوقعة قد أثار قلقًا ورهبةً مع نهاية الألفية السابقة، وهو ما يناظر تلك المخاوف التي عادت رافقت نهاية كل قرن من القرون السابقة. انظر .Heffernan 1999; Cohen (1970), Briggs and snowman (1996)

(٥) يمكن استنباط هذا من الحوارات الحديثة حول أهمية عقد التسعينيات. فانهيار الشيوعية الأوروبية وتفكك الاتحاد السوفيتي غير كثيرا من طرق التفسير، ولكنه أدى إلى العديد من تقارير نهاية التاريخ التي بدأها فرانسيس فوكوياما .Francis Fukuyama 1929 ويمثل هذا جزء من ألفية ما بعد الحداثة التي تنكر صحة التفسير التاريخي، في حين أنها ذاتها تمثل إعلانًا تاريخيًا واضحًا للحظة نهاية ألفيتنا. انظر Mestrovie (1994).

(٦) هناك أمثلة عديدة على هذه "العالمية الواحدة". ففي الجغرافيا أدى ذلك جزئيًا إلى مقترح عام ١٨٩١ الذي قدمه الجغرافي الألماني الشهير بنك، بإعداد خريطة عالمية دولية بمقياس ١:١ مليون ومجموعة معيارية من المصطلحات والرموز. إذ يقول بنك إنه بعد كولومبوس بأربعة قرون، ومع مطلع القرن العشرين، لم يعد هناك مناطق بدون استكشاف سوى القطبين، فقد حان الوقت لاتحاد القوى العظمى في مشروع مشترك لإنتاج صورة كارتوجرافية واحدة للعالم، وذلك كتقدير دولي لعصر التوسع والاستكشاف الأوروبي. وبالرغم من الحماسة التي أبداها الجغرافيون البارزون وبعض الحكومات مبدئيًا، إلا أن هذا المشروع الضخم وقع ضحية التوتر الدولي الذي كان يريد أن يتغلب عليه. بل إن بنك نفسه تخلى لاحقًا عن هذه الدولية لصالح القومية الأكثر محافظة. انظر Robic 1996, Heffernan 1996

(٧) يتعارض هذا مع النظرة التقليدية التى أرساها المؤرخ العسكرى الأمريكى ماهان فى ١٨٩٠ فى كتابه "تأثير القوة البحرية على التاريخ"، والتى تتمثل فى أن السيطرة على البحار تمثل مفتاح القوة الإستراتيجية والاقتصادية. انظر . ó Tuathail 1996: 38-34

(٨) إن حماسة نهاية القرن لمشروعات السكك الحديدية الطموحة، كالمشروع الألمانى برلين - بغداد، والمشروع البريطانى الكيب - القاهرة، والمشروع الفرنسى لطريق عابر للصحراء الكبرى من الشمال للجنوب، كلها أضافت المزيد من القوة إلى رؤية ماكيندر.

قائمة المراجع

Anderson, P. (1974) *Passages from Antiquity to Feudalism*, London: NLB.

Andrew, C. and Kanya-Forstner, A. J. (1981) *France Overseas: The Great War and the Climax of French Imperialism*, London: Thames and Hudson.

Bassin, M. (1987) 'Imperialism and the nation state in Friedrich Ratzel's political geography', *Progress in Human Geography* 11: 473–95.

Bergson, H. (1915) *La signification de la guerre*, Paris.

Blouet, B. W. (1987) *Sir Halford Mackinder: A Biography*, College Station, TX: University of Texas A and M Press.

Bois, G. (1992) *The Transformation of the Year 1000: The Village of Lournand From Antiquity to Feudalism*, Manchester: Manchester University Press.

Brechtefeld, J. (1996) *Mitteleuropa and German Politics, 1848 to the Present*, London: Macmillan.

Breuilly, J. (1992) 'The national idea in modern German history', 1–28 in J. Breuilly (ed.) *The State in Germany: The National Idea in the Making, Unmaking and Remaking of a Modern Nation-State*, London: Longman.

Briggs, A. and Snowman, D. (eds) (1996) *Fins de Siècle: How Centuries End, 1400–2000*, New Haven: Yale University Press.

Chisholm, G. G. (1917a) 'Central Europe: a review', *Scottish Geographical Magazine* 33: 83–8.

—— (1917b) 'Central Europe as an economic unit', *Geographical Teacher* 9: 122–33.

—— (1919) 'The geographical pre-requisites of a League of Nations: a review', *Scottish Geographical Magazine* 35: 248–56.

Cohn, N. (1970 [1957]) *The Pursuit of the Millennium: Revolutionary Millenarians and Mystical Anarchists of the Middle Ages*, London: Paladin.

Dickinson, R. E. (1943) *The German Lebensraum*, Harmondsworth: Penguin.

Dryer, C. R. (1920) 'Mackinder's world island and its American satellite', *Geographical Review* 9: 205–7.

Fischer, F. (1967) *Germany's Aims in the First World War*, London: Chatto and Windus

Fletcher, R. (1984) *Revisionism and Empire: Socialist Imperialism in Germany*, 1897–1914, London: Allen and Unwin.

Fukuyama, F. (1992) *The End of History and the Last Man*, Harmondsworth: Penguin.

Hauner, M. (1992) [1990] *What is Asia to Us? Russia's Asian Heartland Yesterday and Today*, London: Routledge.

Heffernan, M. (1996) 'Geography, cartography and military intelligence: the Royal Geographical Society and the First World War', *Transactions of the Institute of British Geographers*, New Series 21: 504–33.

—— (1998) *The Meaning of Europe: Geography and Geopolitics*, London: Arnold.

—— (1999) 'Historical geographies of the future: three perspectives from France, 1750–1825', 139–64 in C. W. J. Withers and D. N. Livingstone (eds) *Geography and Enlightenment*, Chicago: University of Chicago Press.

Herb, G. H. (1997) *Under the Map of Germany: Nationalism and Propaganda 1918–1945*, London: Routledge.

Herrmann, D. G. (1996) *The Arming of Europe and the Making of the First World War*, Princeton: Princeton University Press.

Holdar, S. (1992) 'The ideal state and the power of geography: the life and work of Rudolf Kjellén', *Political Geography* 11: 307–23.

Kann, R. A. (1964) *The Multinational Empire: Nationalism and National Reform in the Habsburg Empire 1848–1918*, vol. 2: *Empire Reform*, New York: Columbia University Press.

Kearns, G. (1985) 'Halford John Mackinder 1861–1947', 71–86 in T. W. Freeman (ed.) *Geographers: Bio-Bibliographical Studies* vol. 9, London: Cassell.

—— (1993) '*Fin-de-siècle* geopolitics: Mackinder, Hobson and theories of global closure', 9–30 in P. J. Taylor (ed.) *Political Geography of the Twentieth Century*, London: Belhaven.

—— (1997) 'The imperial subject: geography and travel in the work of Mary Kingsley and Halford Mackinder', *Transactions of the Institute of British Geographers*, New Series 22: 450–72.

Kennedy, P. (1988) *The Rise and Fall of the Great Powers: Economic Change and Military Conflict from 1500 to 2000*, London: Fontana.

Kjellén, R. (1924) [1916]) *Der Staat als Lebensform*, Berlin: Leipzig.

Laqueur, W. (1996) '*Fin de siècle*: once more with feeling', *Journal of Contemporary History* 31: 5–49.

Le Feber, W. (1993) *The Cambridge History of American Foreign Relations.Volume II:The American Search for Opportunity. 1865–1913*, Cambridge: Cambridge University Press.

Lyde, L. W. (1916–7) 'Europe v. Middle Europe', *Sociological Review* 9: 88–93.

Mackinder, H. J. (1887) 'On the scope and methods of geography', *Proceedings of the Royal Geographical Society* 9: 141–60.

—— (1902) *Britain and the British Seas*, London: Heinemann.

—— (1904) 'The geographical pivot of history', *Geographical Journal* 23: 421–42.

—— (1905) 'Man-power as a measure of national and imperial strength', *National and English Review* 45: 136–43.

—— (1911) 'The teaching of geography from an imperial point of view, and the use which could and should be made of visual instruction', *Geographical Teacher* 6: 79–86.

—— (1919) *Democratic Ideals and Reality: A Study in the Politics of Reconstruction*, London: Constable.

Massie, R. K. (1991) *Dreadnought: Britain, Germany and the Coming of the Great War*, New York.

Mestrovic, S. (1994) *The Balkanisation of the West: The Confluence of Postmodernism and Postcommunism*, London: Routledge.

Naumann, F. (1916) [1915] *Central Europe*, London: P. S. King.

Okey, R. (1992) 'Central Europe/Eastern Europe: behind the definitions', *Past and Present* 137: 102–33.

Ó Tuathail, G. (1996) *Critical Geopolitics*, London: Routledge.
Ó Tuathail, G., Dalby, S. and Routledge, P. (eds) (1998) *The Geopolitics Reader*, London.
Parker, G. (1998) *Geopolitics: Past, Present and Future*, London: Pinter.
Parker, W. H. (1982) *Mackinder: Geography as an Aid to Statecraft*, Oxford: Clarendon.
Partsch, J. (1904) *Mitteleuropa: Die Länder und Völker von den Westalpen und dem Balkan bis den Kanal und das Kurische Haff*, Gotha.
Penck, A. (1915) 'Politisch-geographische Lehren des Krieges', *Meereskunde* 9–10: 12–2
Raffestin, C., Lopreno, D. and Pasteur, Y. (1995) *Géopolitique et Histoire*, Lausanne.
Ratzel, F. 1897, *Politische Geographie oder die Geographie der Staaten, des Verkehres und Krieges*, Munich and Leipzig.
—— (1900) *Das Meer als Quelle der Völkergrösse. Eine politische-geographische Studie*, Municl
——. (1901) 'Der Lebensraum. Eine biogeographische Studie', 101–90 in K. Bücher ar K. Fricker (eds) *Festgabe für Albert Schäffle zur siebzigsten Wiederkehr seines Geburtstags c 24. Februar 1901*, Tübingen.
Robic, M.-C. (1996) 'Les voeux des premiers Congrès: dresser la Carte du Monde 149–78 in M.-C. Robic, A.-M. Briend and M. Rössler (eds) *Géographes face au mona* Paris: Presses de l'Université de France.
Ryan, J. (1994) 'Visualizing imperial geography: Halford Mackinder and the Coloni Office Visual Instruction Committee, 1902–1911', *Ecumene* 1: 157–76.
Scheler, M. (1915) *Der Genius des Krieges und der deutsche Krieg*, Berlin.
Schorske, C. (1979 [1961]) *Fin-de-Siècle Vienna*, New York, Cambridge: Cambrid University Press.
Schultz, H. D. (1989) 'Fantasies of Mitte: Mittelage and *Mitteleuropa* in German geograp ical discussion in the 19th and 20th centuries', *Political Geography Quarterly* 8: 315–4
Smith, W. D. (1980) 'Friedrich Ratzel and the origins of *Lebensraum*', *German Studies Revi* 3: 51–68.
Stokes, J. (ed.) (1992) *Fin de Siècle, Fin du Globe: Fears and Fantasies of the Late Nineteen Century*, London: Macmillan.
Stirk, P. M. R. (1994) 'The idea of *Mitteleuropa*', 1–35 in P. M. R. Stirk (ed.) *Mitteleurop History and Prospects*, Edinburgh: Edinburgh University Press.
—— (1996) *A History of European Integration since 1914*, London: Pinter.
Szücs, J. (1988) [1983]) 'Three historical regions of Europe', 291–332 in J. Keane (ed *Civil Society and the State: New European Perspectives*, London: Verso.
Teggart, F. J. (1919) 'Geography as an aid to statecraft: an appreciation of Mackinde 'Democratic Ideals and Reality', *Geographical Review* 8: 227–42.
Teich, M. and Porter, R. (eds) (1990), *Fin-de-Siècle and its Legacy*, Cambridge: Cambrid University Press.
Verosta, S. (1977) 'The German concept of *Mitteleuropa* 1916–1918 and its contempora

critics', 208–14 in R. A. Kann, B. K. Kiraly and S. Fichtner (eds) *The Habsburg Empire in World War I*, Boulder, Co.: Greenwood Press.
Wanklyn, H. G. (1961) *Friedrich Ratzel*, Cambridge: Cambridge University Press.
Weber, E. (1986) *France, Fin-de-Siècle*, Cambridge, Mass.: Harvard University Press.
Wolff, L. (1994) *Inventing Eastern Europe: The Map of Civilization on the Mind of the Enlightenment*, Stanford: Stanford University Press.

الفصل الثالث

تركيب الصور الجيوبولوتيكية

العالم كما يراه بيجلز وشخصيات خيالية أخرى

أندرو كيربى



مقدمة

يتناول هذا الفصل جانبا بعينه من تطور الجيوبولوتيكا فى القرن العشرين، يتمثل فى إلقاء الضوء على دراسة الطرق التى يتم من خلالها بناء صور النفوذ القومى لدى خيالات الرأى العام الشعبى وذلك عبر الأعمال الأدبية. ولا ينشغل هذا الفصل بفروض ومضامين الفكر الجيوبولوتيكى التى أصبحت الآن مدروسة جيدا (óTuathail 1996). فقد قدم الكثير حول كيفية تأثير المفاهيم الجيوبوليتيكية على صياغة السياسة الخارجية Dalby 1990، وكذلك تم استكشاف الجوانب العاطفية (الشعرية) لتأثير هذا المفهوم Jameson 1993). لكن فى المقابل كان الاهتمام قليلا بأسلوب عرض الفكر الجيوبولوتيكى خارج مجالات الكفاءة السياسية لإدارة الدولة والتحليل المهنى، إذ لم تكن هناك نقاشات وافية لطرق تجسيد المفاهيم الأساسية فى الخطاب الشعبى والجدل السياسى المترتب عليه (ولكن مع هذا تحسن مراجعة Sharp 1996).

ويجب بداية تعريف مصطلح "الجيوبولوتيكى"، حتى نتفق عليه ثم نضعه جانبا. لقد اقترب أوتواتيل ó Tuathail من المصطلح بحذر وخلص إلى أنه يتسم بالتعقيد والتناقض فى المجال الأكاديمى (١٩٩٦) وهو ما جعله يفضل استخدام مصطلح بديل هو "جيو- بولوتيكا". وبناء على هذا، سأبدأ هنا بأسلوب أوتواتيل المتمثل فى الفصل بين مفردات المصطلح، من أجل الجمع بين الجغرافيا والسياسة (١٩٩٦: ٦٥). وبعد ذلك سأعتبر الجيوبولوتيكا بمثابة طريقة للتفكير فى السياسة مع أخذ الجغرافيا فى الاعتبار (وليس التفكير فى الجغرافيا مع أخذ السياسة فى الاعتبار، وذلك بالمعنى العام الشائع ، وهذا هو التحدى الذى واجه العلم خلال الخمسين سنة الماضية). ويمكن لهذا الفكر السياسى أن يأخذ مكانه عند مستويات مختلفة (مثل قضية عدم المساواة

بين أقاليم الدولة والمعروفة اصطلاحا باسم الاستعمار الداخلى)، ويمكن أن نستخدم المصطلح بناء على ذلك، ولكن هذه المناقشة ستجعلنا نقتصر على دراسة العلاقات بين الدول الإقليمية.

ونسجًا على منوال أوتواتيل، فإننى أريد أن أكمل ما ذهب إليه من أن "الجيوبولوتيكا لا يمكن تجريدها من السياق الذى تستخدم فيه" (٦٥ : ١٩٩٦ ó Tua- thail). ولدى فى الواقع رغبة فى استكشاف تركيب هذا المفهوم فى لحظة حرجة من لحظات الخطاب الشعبى، وذلك من خلال النظر إلى تقاطع السياسات الدولية والأبعاد الجغرافية.

سأتناول فى هذا الفصل مثل تلك القضايا من خلال التركيز على الأدب القصصى البريطانى فى النصف الأول من القرن العشرين، وهى فترة هامة لسببين. أولا، كانت تلك فترة ازدهار القومية وتكوين الدولة، وقد عكس كلاهما الصراعات المادية فى الغرب، وأديا إلى المزيد من التوترات. وكما يذكرنا مان Mann، فقد كانت تلك الفترة بداية تطور جهاز الدولة الرسمى، وكان شائعا أن تنفق الحكومات مبالغ ضخمة على صناعة الحروب بقدر ما كانت تنفق على بناء الدولة (Mann 1988)

فى تلك الفترة كانت العلاقات بين الدول، خاصة فى أوروبا، مدفوعة بعدة عوامل، وكانت الصراعات الاقتصادية متأصلة فى عصر النمو الصناعى والطموحات الاستعمارية، كما كان يشوب تلك العلاقات توتر طويل الأجل نتج عن ميراث عدة عقود سابقة (Overy 1996 : 289)

وكان التنافس والصراع بين الأمم يقوم على أسس عرقية وإثنية، وعلى أحداث تاريخية بارزة مثل احتلال بروسيا لباريس فى ١٨٧٠ أو الثورة الفرنسية وتداعياتها. لقد كانت احتكاكات الماضى كامنة خلف صراعات الحاضر، ولم تشهد التفسيرات الجغرافية للأهمية الاستراتيجية لطرق التجارة، والحدود، وغيرها من الحقائق الأخرى قدرا من التغير إلا ببطء شديد (Passi 1996) وكان هذا بمثابة قالب للزمان والمكان

استمر فى تعريف عديد من الصراعات، واستمر ذلك حتى عام ١٩٣٩ ، وكما سنرى فإنه كان قالبا ضمن لنفسه البقاء من خلال الخطاب الشعبى.

والسبب الثانى لنزوعى نحو البحث عن تفسير جيوبوليتيكى من خلال التركيز على الأدب القصصى فيعود إلى أن جهاز الدولة كان لا يزال فى دول عديدة فى مرحلة تكوين، واتسم بالبدائية. فمثلا شهد النصف الثانى من القرن العشرين هجرات كبيرة من أوروبا (إلى كل من أمريكا الشمالية والجنوبية) ومن الصين (إلى جنوبى آسيا). وكانت القيود على الحركة بين الدول قليلة إلى حد بعيد، وذلك لأن تقنيات المراقبة لم تكن قد تطورت، فعلى سبيل المثال لم تكن جوازات السفر الأمريكية قد صدرت رسميا حتى عام ١٨٥٦، ولم تتطور معايير ضبط الهجرة إلى الولايات المتحدة بناء على أيديولوجية سياسية حتى عام ١٩١٨ (بالرغم من أن لون البشرة والمسوغات الاستخبارية كانا يستخدمان للاستبعاد منذ عقود).

وليس من مبالغة القول بأنه نظرا لأن أنشطة الدولة لم تمارس الرقابة الكاملة على الحدود، فإنها لم تمارس سوى رقابة جزئية على تطور المجتمع المدنى داخل البلاد. إذ كانت وسائل الاتصال الإليكترونية، التى استطاعت أن تجعل هذه المهمة أكثر فعالية فى نهاية القرن، لا تزال فى مرحلة التطور، وكان تأثيرها أقل مقارنة بما تمتعت به الكلمة المكتوبة، ولذلك كانت كل من الكتابات الواقعية والخيالية ذات تأثير بالغ[1].

لقد كان تدفق الكلمات فى هذه الفترة جزءا مما يسميه بهابها Bhabha "الاستفتاء اليومى العام"، وهو صياغة وإعادة صياغة مستمرة لتفكير منطقى واقعى يحدد ماهية الأمة من خلال السرد القصصى. ويتعلق جزء من هذا الخطاب بما يجب تذكره وما يجب نسيانه، ولكن جزءا هاما منه يتعلق بخلق إدراك جغرافى شعبى. ويقتبس بهابها من فوكو القول بأن الدولة الإقليمية التى تواجه "مستقبلا غامضا من الصراعات" يجب عليها تحديد هذه الصراعات بعناية. وهذا ما يفعله كثير من كتاب الرواية حين يحددون هدفهم أولا فى تعيين الأصدقاء والخصوم، والحلفاء والأعداء، والمناطق عديمة القيمة ومجالات النفوذ. (Bhabha 1990:291-322)

يتـألف الفـصل الذى بين أيدينا من ثلاثة أجـزاء، يركـز الأول على تطور الأدب الشعبى فى النصف الأول من القرن العشرين، بينما يقدم الجزء الثانى أمثلة على هذا الأدب، ويستكشف الجزء الثالث الصور الجيوبولوتيكية التى يحتويها، وفى النهاية يحلل هذا الفصل درجة التناغم بين الصور وتطور كل من السياسة والفكر الشعبى.

القراءات الشعبية

يقول كلود كوكبورن فى دراسته المثيرة حول الرأى العام إنه: "يجب على المؤرخين والاجتماعيين الرجوع إلى عدد لا يحصى من المصادر عند البحث فى مزاج واتجاه وحالة ذهن أمة أو طبقة فى فترة زمنية أو أخرى... ويجب عليهم دراسة ما قاله وكتبه الناس، وتمييز ذلك عما يفعله الناس ويمارسوه. فهناك الخطابات العامة، والمقالات الافتتاحية.. والخطابات الشخصية واليوميات. وكل هذه مصادر لا غنى عنها. ولكن من بين كل مؤشرات المزاج والاتجاهات والتطلعات، تعتبر قائمة الكتب الأكثر مبيعا المصدر الأكثر مصداقية. فلا مجال للتلاعب بها (Cockburn 1975:9)

لقد كان تحليل كوكبورن لعدد من الكتب الأكثر مبيعا مؤثرا فى تطور هذا القول، خاصة فى تركيزه على الأدب الشعبى (معرفا فى ضوء المبيعات) فى مقابل الأدب الأكاديمى أو الحائز على جوائز. ولذلك فإننى فى هذا الفصل لم أهتم كثيرا بالكتاب الذين يردون على الذهن مباشرة عند تحديد بداية القرن، مثل شو Shaw أو كومبتون مكينزى Compton Mackenzie فبينما لا تزال أسماؤهم مألوفة لدينا، فإن ذلك لا يضمن التأثير على جيلهم المعاصر، الذين كانوا غالبا أكثر شغفا بكتاب قد يصعب علينا التعرف عليهم اليوم. وكما يقول كوكبورن فإن المواقف تجاه الحرب العالمية الثانية شكلها لفترة طويلة مؤلفون من أمثال إيان هاى Ian Hay الذى نفدت طبعات أعماله منذ فترة طويلة مثل رواية الأشياء الحقيقية (1908) The Right Stuff، وإنسان الإنسان A Man`s Man (1909)، والمائة ألف الأولى (1915) The First Hundred Thousand، والمليون الأخير (1918) The last million

ولكن تصوراتنا الدائمة جاءت من سيجفريد ساسون Siegfried Sassoon و روبرت جريفز Robert Graves، وإن كانت كتاباتهما الناقدة قد حققت مكانتها بعد انتهاء الحرب بوقت طويل. ولا يجب أن نقلل من شأن طول المدة التي قد يستغرقها مثل هذا التقييم الناقد، فالمناقشة الصريحة للمحرقة اليهودية لم تبدأ مثلا إلا بعد انتهائها بخمسين سنة (Finkelstein and Birn 1998; Goldhagen1996)

ولكن ما هي الكتب التي كانت الأكثر مبيعا في القرن الجديد؟ تشمل قائمة كوكبورن العديد من الكتب التي لم نعد نتذكرها: وذلك مثل كتاب "المائة ألف الأولى" الذي أشرنا إليه سابقا، وكتاب جاي ثرون Guy Thorne عندما كانت مظلمة When it was dark وكتاب روبرت هتشنز Robert Hichens جنة الله The Garden of Allah وهناك البعض الذي نعرفه بصورة أولية مثل "البحيرة الزرقاء The Blue Lagoon " (de Vere Stacpoole 1908) و"الإيماءة الفاتنة" Wren (1924) Beau Geste ؛ وقد صدرت عدة أفلام لكل من هاتين القصتين القديمتين. وهناك رواية مهمة سأتناولها لاحقا وهي غربال الرمل The Riddle of the Sands (Childers 1903)

وللموضوعات التي اختارتها هذه القصص أهداف تثقيفية، وإن كانت عبر استعارات متوارية تحت السطح. حيث يسيطر الدين على العديد منها بطريقة يندر أن نجدها اليوم : ويقدم كوكبورن تحليلاً طريفًا لرواية " عندما كانت مظلمة" التي تتمثل فكرتها الأساسية في تأثير عثور أحد علماء الآثار على وثيقة تكشف أن بعث الموتى ليس سوى خدعة. وكذلك فإن ما يمكن أن نسميه اليوم الاستشراق orientalism متمثل في كل من رواية "البحيرة الزرقاء"، حيث ينجو طفلان أوروبيان من الغرق ويعيشان على جزيرة مهجورة ويكبران بدون قيود المجتمع أو الجماعة، وقصة الشيخ (١٩٢١) The Sheik، حيث يختطف بدوي امرأة أوروبية ويحتجزها ضد إرادتها حتى تذعن لمطالبه.

ويكمن تحت هذه الأفكار المختارة مجموعة كبيرة من الفروض. فهناك مسائل الجنس والنوع والطبقة والعرق. وهناك الاغتصاب العلني، والعذرية، والإخضاع العنيف

للنساء على أيدى الرجال، والحط من قدر "الآخرين"، بما فى ذلك اليهود والعرب، وانتقاد العمال الذين لا يعملون، والمسالمين الذين لا يحاربون. ونتيجة لذلك، ظهرت صناعة حقيقية فى العقدين الأخيرين للعثور على أمثلة للخطيئة المعاصرة فى كتب الأجيال السابقة. وكما يقول العديد من المعلقين، يسهل العثور على التفكير النمطى فى تلك الكتب الأكثر مبيعا، ومن هذا المنظور غالبا ما نجد اقتراح حظر كتب بعينها حتى لا يعانى القراء مستقبلا من رسائلها (Livingstone 1998)

وكما هو الحال تماما فى الروايات المكتوبة غير المنقحة اليوم سنجد كثيرا من تلك الإشارات بوفرة فى عدد من تلك الكتب. فهناك معاداة للسامية، وغالبا ما يقدم الملونون على أنهم أوغاد، والنساء إما غائبات أو يظهرن فى مواقف الضعف أو السذاجة أو المكر. ومن السهل أن نجد موقفا أخلاقيا عارضا يبرر هذه الأخطاء على أساس أن المؤلف لم يقصد الإهانة، أو لم يستخدمها كثيرا، أو أنه كان يعكس أعراف ذلك العصر، وهذا هو الأكثر تكرارا(Winks 1988 ; Ellis and Schofield 1993) ولكننى أقل اهتماما بدوافع الكتاب فى هذا الفصل. فعندما كتب جون بوشان John Buchan عن الهون ""Huns"والمواطنين السود فى جنوب إفريقيا " الكافير "Kaffirs" و"اليهود البرتغاليين" ، فربما كانت لديه – وربما لا – مشاعر قاسية تجاه تلك الشخصيات (Webb 1994) والمهم هنا هو حقيقة أنه كتب تلك السطور وهو يتوقع أن ذلك التشخيص سيفهمه الجمهور بطريقه محددة (تماما كما يمكن أن نتوقع أنها ستؤدى إلى رد فعل مختلف اليوم). وهذا يشكل أساس التحليل التالى(٢).

الأبطال

لقد اخترت عددا من العناوين لدراستها، وأدخلت فيها مطبوعات قرأها الأطفال والمراهقون، على أساس أنها كانت الكتب التى تعرض صورا للقارئ بصورة مبسطة ومرئية، ويمكن القول أيضا إنها كانت الكتب التى ظلت منشورة لفترة طويلة، وبالتالى

كانت قادرة على التأثير على عدد أكبر من القراء. وهناك من يقول إن "قراءات الشباب" مفيدة فى الكشف عن كل من تقاليد العصر وخيالات كتابه. وفى ذلك يذهب ماكينزى إلى أن:

"الجهود التى تبذلها معظم المجتمعات فى تنشئة الصغار ذات دلالات معبرة عن كل من التقاليد الأخلاقية والأيديولوجيات السياسية لتلك المجتمعات... ومن الخصائص البارزة لأواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أن عديدا من الدول الأوروبية وأقاليمها الإمبريالية والدول التى تحاكى النهج الأوربى مثل اليابان، قد اتفقت على المستوى الثقافى والأيديولوجى والأخلاقى فى الطريقة التى تم بها تصوير قوة الدولة وأهدافها الجماعية فى مخيلة الأطفال " (Mackenzie in Castle1996:vii)

ومن الواضح أن هناك الكثير من المصادر التى يمكن دراستها فى هذا النوع من الدراسات. حيث تمثل قصص المدارس العامة التى تصور بونتر Bunter وأصدقاءه بمثابة نماذج رائعة لتلمس مواضيع الطبقة والعرق والجنس (Castle 1996) وكان هناك قدر كبير من رسوم الكاريكاتير الشائعة حتى الخمسينات، والتى كانت تضم قضايا معاصرة (مثل الحرب النووية) والأفكار الإمبريالية الراسخة (3)((Klein 1993) وكان هناك أيضا جزء من الأعمال موجه خصيصا للفتيات، ولكننا فى هذا الفصل نتبنى موقف فيليبس Phillips فى اقتصار اهتمامنا على تلك الأعمال التى يمكن اعتبارها "مغامرات للرجال والفتيان"، وإن كنا نعالج فترة لاحقة لتلك التى اختارها فيليبس (Phillips 1997)

ويتمثل دافعنا فى هذا الفصل فى تقييد المناقشة على المحاولة المقصودة لبداية دراسة العلاقة بين النوع والعلاقات الدولية بأسلوب يكمل التحليل النسوى الذى أجراه انلوى Enloe وآخرون، ولكنه يتناول قضايا مختلفة نوعا ما، خاصة العلاقات بين الرجال، وليس العلاقات بين الرجال والنساء (Enloe 1990) فمن هذا المنطلق لم تقدم أعمال كثيرة تربط عبارات مجازية مثل الإمبريالية وحالة الحرب من ناحية، وتصوير

الذكور فى الكتابات الشعبية من ناحية أخرى. وبينما يبدو تكوين الذكورة وعلاقتها بالصراع واضحا، فإن الدراسة السطحية للأمثلة التى سنضربها لاحقا توضح أن هناك ظلالا معقدة من الألفة والولاء، وهذه تفتح بدورها مجالات هامة لمزيد من البحث.

وقد اخترت هنا عددا من الكتّاب وشخصياتهم بناء على طول الفترة. وركزت على كتبهم التى نشرت فى بريطانيا، ولذلك فإننى أرى أن هذه عينة ممثلة، ولكن قد يبدو العكس صحيح أيضا؛ فإذا لم تكن هناك صور واضحة فى هذه الأعمال، فهذا يعنى أنها لم تكن منظورة فى بعض الكتب الأكثر انتشارا فى تلك الفترة. ويرجع أقدم عمل سأعود إليه إلى عام ١٩٠٣، أما أحدث الأعمال التى سأستشهد بها فقد نشر فى عام ١٩٤٦.

غربال الرمل

نشرت رواية إرسكن شلدرز Erskine Childers غربال الرمل" فى أوائل القرن العشرين، وتتناول صراحة احتمال نشوب حرب بحرية بين ألمانيا وبريطانيا. وبالرغم من أن العنوان يذكرنا بالصحراء أكثر من البحر، إلا أن القصة تقع بين جزر فريزيان Frisian القريبة من شلزفيج – هولشتين (Schleswig - Holstein على الساحل الغربى لألمانيا وهولندا) وتدور حول إنجليزيين من أعلى الطبقة الوسطى يبحران فى قارب صغير للنزهة. وكما يلاحظ كوكبورن، فإن القصة تمثل دعاية بارعة من قبل كاتب أصبح أخصائى معلومات لدى جماعة الشن فن Sinn Fein المسلحة خلال الثورة الأيرلندية. وفى الواقع، فقد تم أسره وإعدامه فيما بعد بأوامر صريحة من ونستون تشرشل، الذى كتب "فليكن مصير كل من يكرهوننا مثله (Cockburn 1975: 87)

وتعتبر رواية "غربال الرمل" بالمعايير المعاصرة بالغة البراعة. فهى تستغرق قدرا كبيرا من الوقت لتحقيق السيطرة، وليس هناك أية احتمالات للمطاردات عالية السرعة ولا التغيرات ولا أية أنشطة مماثلة. فهى فى الحقيقة بمثابة شرح تفصيلى جاد للحرب

الوشيكة بين الدولتين، واحتمالات قيام "تحالف" يحيط ويحاصر المملكة المتحدة، ودور الأعمال الصغيرة فى الأنشطة الدفاعية والهجومية. ونقتبس من الرواية الفقرة التالية:

"سنضيف كلمة أخرى إلى دوافعنا. فكما قلت إن ديفز كان مقتنعا بأن المنطقة كلها ستكون فى حالة الحرب بمثابة مصيدة نموذجية لأعمال السلب والنهب الصغيرة، وبدأت أدرك أنه كان على صواب، وذلك بالنظر الى الطرق البحرية الثلاثة خلال الرمال والمؤدية إلى كل من هامبورج، وبريمين، ويلهلمسهافن، وقلب ألمانيا التجارية. فهى تشبه الطرق السريعة التى تقطع منطقة جبلية بممرات ضيقة، حيث يكون بوسع مجموعة من الرجال قليلى التسليح محاصرة جيش بأكمله" (Childers 1903:x-xx)

وتبدأ القصة بالحيلة المألوفة الآن، وهى إدعاء أن الرواية مبنية على "قصة حقيقية". وتقدم هذه الرواية منظورا صريحا جدا للتكتيك والاستراتيجية التى تطلعنا على صورة واضحة لحرب العصابات. ونستشهد منها ما يلى:

"تابع التشابه مع الحرب البرية. واملأ جبالك باتباع شجعان لا نهاية لعددهم ، لديهم معرفة عميقة بكل الطرق والممرات، اجعلهم يعملون فى مجموعات صغيرة، ويسافرون بخفة وينتقلون بسرعة، وانظر الى المزايا الهائلة التى تتمتع بها مثل هذه العصابات فى مواجهة عدو يتمسك بالطرق التقليدية، ويتحرك بأعداد كبيرة، وببطء، و"لا يعرف البلاد". وانظر كيف تستطيع إنزال الكوارث على عدو يفوقك كثيرا فى القوة، بل تستطيع أيضا إطالة أمد المقاومة شبه السلبية بعد خوض كل المعارك الحاسمة. وانظر كذلك كيف يستطيع الغازى الشجاع هزيمة أعدائه المراوغين عن طريق تعلم أساليبهم، ودراسة بلدهم، ومسايرتهم فى الحركة والبراعة. صحيح أنه لا يجب أن نبالغ فى المقارنة بين حرب البر والبحر، لكن لا جدال فى أن هذا النوع من الحرب البرية يمكن محاكاته فى البحر" (Childers 1903:131-2)

ومن المفيد أن نؤكد أن هذه الرواية نشرت قبل اندلاع الحرب بأكثر من عقد كامل، ولكنها كتبت كما لو كان معلوما للجميع أن بريطانيا وألمانيا لابد أن تحارب

إحداهما الأخرى. وكما سأوضح لاحقا، فإن كتاب شلدرز كان الأول فيما أصبح شلالا من مثل هذه التنبؤات. وكذلك فإن تنبؤاته بأن ألمانيا ستحاصر بريطانيا (بالرغم من أن ذلك لم يكن حصارا بالغواصات) إنما يدل على عمق اطلاع المؤلف.

لقد استمرت رواية "غربال الرمل" منشورة طوال معظم هذا القرن، بالرغم من أن مضمونها عرض بطرق مختلفة. ففى ١٩٣١ مثلا ظهرت طبعة جديدة كتبها أحد أقارب شلدرز تحتوى تصديرا يستبعد صراحة كل التطلعات (الجيو) بولوتيكية من الرواية، على نحو القول إن " شلدرز قد أدرك من دراساته المعمقة أن الاستعداد للحرب يؤدى إليها... ويؤدى إلى سباق تسلح دولى، ويثير فى أذهان الأمم المعنية المخاوف والعداوات والأطماع المدمرة للسلام"

وبالطبع كان شلدرز يؤمن دائما بهذه الأشياء، فكتابه كان محاولة صريحة لإثارة عملية إعادة التسلح فى بريطانيا حتى يمكن أن تنجو مما كان يراه صراعا حتميا. وبحلول ١٩٣١ ، كان هناك تشجيع لآراء انعزالية مختلفة تماما، وأصبح إعادة تصنيف الكتاب على أنه مجرد رواية عن البحر مقبولا: "يظل الكتاب الرفيق الدائم لأولئك الذين يحبون البحر ويصارعون فى السفن الشراعية بحثا عن المغامرة" (Childers, M.)، اقتباس من : Cockburn 1975: 84 وهكذا تم تقديم الكتاب لاحقا باعتباره العمل السابق والمبشر لقدوم رواية المغامرات البحرية المعروفة باسم " السوالو والأمازونيات Swallows and Amazons التى كتبها رانسوم فى ١٩٣٠ , على الرغم من أن رواية "غربال الرمل" لم تنجح حقيقة فى لفت انتباه القارئ إليها من هذه الزاوية.

مغامرات ريتشارد هاناى

بالرغم من أن جون بوشان مشهور بقصته "الخطوات التسع والثلاثون The Thirty-Nine Steps والتى أصبحنا نتذكرها الآن على أنها أول أفلام هيتشكوك)، إلا أنه كتب سلسلة كاملة من القصص التى دارت حول "بطل الحركة" ريتشارد هاناى، وتحتوى

كتبه على عدد من الشخصيات المكررة، ومنها هاناى، وهو مستعمر أصبح "عميلا بريطانيا" خلال الحرب العالمية الثانية؛ وبلنكرون Blenkiron، وهو رجل أعمال أمريكى وعميل جاسوسية غامض؛ وساندى أربوثنوت Sandy Arbuthnot وهو بريطانى من النبلاء يقضى معظم وقته متخفيا فى الشوارع الخلفية فى أسطنبول، أو غيرها من المناطق التركية والفارسية مثل لاسا "lasaلوياركند Yarkand وسيستان Seistan (Buchan 1916:94)

ويصعب ألا تجد إحدى قصص بوشان اليوم بدون أن تفاجأ بـ"عدم دقة معلوماتها" وإيحاءاتها المتعلقة بالجنس، وإن كان معظمها غير مقصود. وبدون استثناء فإن أبطاله الإنجليز يظهرون الفضائل المتوقعة: كالتعليم الجامعى والشجاعة وغير ذلك. ومع ذلك نجد أنه يصفهم بتعبيرات غامضة جدا. فمثلا يصف أربوثنوت بأنه "طويل القامة، به انحناءة، ووجهه بارز العظام، وعيناه بنيتان كعينين لفتاة جميلة" (Buchan 1916: 89)

وعندما يتحرك المرء بعيدا عن شارع بيكاديلى (لندن)، يصبح وصف بوشان أكثر براعة. حيث يصف شخصية فرنسية بصورة ودية إلى حد ما، ذلك لأنه يتحدث الإنجليزية ويرتدى الصوف الإنجليزى. وكذلك يصف بعض الألمان بتعبيرات ودية غالبا، بالرغم من أن هاناى يذكر " الجانب الآخر الشاذ" لأحد الخصوم الماكرين، "ذلك الجانب الشرير الذى تقول الإشاعات إنه معروف فى الجيش الألمانى" (4)((Buchan 1916:129 وعندما ينتقل المرء تجاه الشرق أكثر، تنخفض التوقعات. ويتمثل أحد خصوم هاناى فى شخصية راستا بك Rasta Bey، وهو تركى متأنق، وصفه بأنه "شرقى ساخط ذو وجه جامد مثل بوذا" (Buchan 1916:156) أما أكثر التوصيفات طرافة فهو وصف هيدا فون آينم Hida von Einem، وهى جاسوسة ألمانية يتلخص وصفها فى أنها واحدة من امرأتين فقط تظهران فى هذه القصص. تبدو هذه المرأة فى الرواية المقابل العكسى للذكور الذين يشبهون الغزلان، فهى شهوانية خطيرة، تمثل الأنثى مصدر الشر –

"مجنونة وسيئة ولكنها سيئة بالدرجة الأولى" (Buchan 1916:183) ففى لحظة معينة يجد هاناى نفسه معها فى المقعد الخلفى لسيارة، وهو مشهد يصور على أنه قد يكون التجربة الحسية الأولى له مع امرأة، ولكن من المؤكد أنها كانت المرة الأولى التى يجلس فيها بمفرده مع امرأة بخصوصية فى سيارة. وهو يلخص المشهد كالتالى: "لقد كان هذا شيئا ...مثل إعصار أو زلزال خارج المسار العادى للطبيعة. فقد تكون مجنونة وسيئة، ولكنها كانت عظيمة أيضا"(Buchan 1916:190)

وتعتبر قصص بوشان قصصا جامعة، تحاول تصوير تعقيدات العالم، وإن كانت تفعل ذلك من موقع خارجى. وعادة ما ينظر هاناى من موقع بعيد مرتفع (وقد "ألف مجموعتة القصصية" فى روديسيا وجنوب أفريقيا)، وهو أجنبى مستعمر وشكوكى، حيث ظهر متورطا فى جريمة قتل فى بداية القصة الأولى، و بدون أصدقاء أو مكان يعود إليه. وهكذا فإن حواراته تعتمد دائما على الجهل والتعجب، بينما يحكى له مخبروه عن العالم الذى يحيط ببريطانيا والذى يتألف من بلاشفة (أشرار)، وألمان (خطرون)، وأمريكان (سذج ولكنهم ودودون) والقبائل والشعوب الغامضة العديدة التى تمتد نحو الشرق، والأماكن التى تجذبه حتما مع المضى قدما فى المغامرات.

بيجلز يطير... فى كل مكان

ظهر رائد الطيران جيمس بيجلزوورث Biggiesworth James لأول مرة فى ١٩٣٢ كشخصية خيالية فى الحرب العالمية الثانية. حيث ذهب ليحارب النازيين واليابانيين والسوفيت قبل تقاعده خلال أوج الحرب الباردة، بينما كان يعمل لصالح الانتربول، وذلك فى سلسلة من حوالى ٩٠ قصة. وتوصف سلسلة بيجلز بأنها واحدة من أعلى مجموعات مجلدات المراهقين مبيعا حتى الآن Schofield 1993) and Ellis كما عادت إلى النشر فى التسعينات وحققت مبيعات بمئات الآلاف.

وتركز هذه القصص التى كتبها ضابط سابق بالقوات الجوية على مجموعة من الطيارين يقودهم بيجلز كبير الطيارين فى المجموعة، وتشمل صديقا وتابعا. وهناك

ظهور عابر (فى أوائل الحرب العالمية الأولى) لشخصية عاطفية أثبتت مرة أخرى انها مصدر خطر على الرجل البرئ الشريف. وهناك إشارات قليلة إلى المرأة، بالرغم من وجود إشارة فى إحدى المناسبات إلى أن "الأميرة ليست الشىء المطلوب وقت الحرب"، حيث يهز بيجلز رأسه بحزن قائلا: "إنك تحتاجين لرجل فى أوقات كهذه" Johns 1938:11 وباستثناء هذا فليس هناك ذكر للجنس، بالرغم من أن بعض الحوار قد يبدو للقارئ المعاصر وكأنه يحمل تورية جنسية(٥).

ومثل أى شخصية خيالية أخرى (مثل أوبرى Aubrey و ماتورين Maturin عند أوبريان O'Brian يتجسد بيجلز فى الحياة الواقعية، بما فى ذلك السيرة الذاتية ورسالة إخبارية. حيث تغطى مغامراته بعض أكثر الفترات تفجرا فى التاريخ الاوروبى، وتقدم إطلالة على التحالفات المتغيرة واستراتيجيات الحملات التى حدثت بين الحربين العالميتين وما بعدهما. وكما هو الحال بالنسبة للفرق الأسطورية الأخرى، مثل الفرسان الثلاثة The Three Musketeersعند دوماس Dumas، نجد أن النظرة العالمية السائدة تتشكل من خلال سلسلة من دراسة الشخصيات التى تقارن بين بيجلز ومجموعته من ناحية وسلسلة من "الآخرين" من ناحية أخرى: كالألمان طبعا، وكذلك الفرنسيين والبلجيكيين والروس، والنرويجيين والعرب والهنود والمالاويين والصينيين واليابانيين. ومن الطريف أن جونز الذى ابتكر بيجلز لم يزر أيا من هذه الدول أبدا، وهذه حقيقة لها أهميتها كما سنرى فى طريقة تصويره لهذه الدول فى كتاباته.

ولم يكن هؤلاء الطيارين معصومين من الخطايا (مثل تناول الخمور والتدخين) لكنهم كانوا يمتلكون ترتيبا هرميا من القيم. ومن أهمها ما يمكن أن يسميه الأسترالى باسم الرفقة "Mateship"، أى الإخلاص لرفيق السلاح. وبالإضافة إلى ذلك، هناك الخدمة العسكرية، أى زمالة القوات الجوية الملكية والانضباط فى ترتيب هرمى للقيادة. وبالتالى هناك صداقة الجو الحميمة التى تؤدى أحيانا إلى أعمال الشهامة والفروسية بين الأعداء. وأخيرا، هناك الوطنية، وهى أعلى فئات الولاء، والتى تحول بيجلز من أجلها إلى التجسس وغيره من الأعمال الأخرى التى قد تثير الاستياء.

كان نشاط بيجلز يغطى قدرا كبيرا من الأرض فعليا ومجازيا. فبعض القصص لم يكن مفيدا سوى فى تمضية الوقت، ولكن البعض الآخر يهدف إلى التعليم والوعظ. حيث تحولت إحدى الروايات التى نشرت فى ١٩٣٨ ، بعنوان بيجلز يذهب إلى الحرب Biggles Goes to War، إلى صياغة حديثة لرواية شلدرز السابق الإشارة إليها، لأنها تدرب مبتدئا على كيفية مواجهة عدو غير محدد يشن هجوما فى عصر الطيران الحديث، وما الخطوات الواجب اتباعها للدفاع، فقد كانت بريطانيا فى تلك الفترة ما تزال فى مرحلة الترقب وعدم الهجوم.

تبدأ القصة فى بريطانيا، ولكن سرعان ما يعمل الطيارون لدى مندوب دولة أخرى وينتقلون الى مالتوفيا Maltovia، فى جزء بعيد من أوروبا. حيث تتعرض هذه الإمارة لتهديد من جارتها لوفتزنيا Lovitznia، التى تساندها "قوى عظمى" غير محددة، ولكن من الواضح أنها ألمانيا. وبناء على ملاحظاته عن الحرب الأهلية الأسبانية والحملات اليابانية فى الصين، أعد جونز سيناريو للغزو تضمن كلا من "طابور خامس" خائن (كما حدث فى أسبانيا) ودور فعال للقوات الجوية (كما حدث فى نانكنج Nangking خلال الهجوم اليابانى على الصين) من حيث التجسس والقصف الجوى والدفاع المدنى. وتتمثل الفكرة الأساسية لهذا الكتاب فى أهمية مواجهة تهديدات الضم العسكرى، والتى تراجعت بمجرد استقرار التفوق الجوى لمالتوفيا، وبعد ذلك تمت تسوية النزاع بين الجارتين عن طريق عصبة الأمم.

وكانت قصة "بيجلز يذهب إلى الحرب" مجرد واحدة من محاولات المؤلف لتشجيع إعادة التسلح، بل إنها قد تكون من المحاولات الأكثر قوة. وقد تم فصل جونز من هيئة تحرير مجلتى الطيران والطيران الشعبى فى ١٩٣٩ بسبب مواقفه السياسية، وهى نتيجة تؤكد أن الإثارة فى سوق قراءات الشباب كانت تؤخذ على محمل الجد من قبل الناشرين وصناع الرأى.

طريد العدالة، ويليام براون

قد يكون ويليام براون بطل روايات ريتشمال كرومبتون Richmal Crompton الأقل غرابة من بين المجموعة الصغيرة التى اخترناها للدراسة، ولكنه من المؤكد أنه الأصغر سنا. فمن الواضح أنه صبى يرتدى ملابس قصيرة وليس بطلا بالغا على نحو ما وجدنا فى الأعمال السابقة. وبالرغم من أن مغامراته لا تتوقف، وأنها تقتصر غالبا على مجموعة من الذكور أيضا، إلا أنها من نوع يختلف كثيرا عن المغامرات التى يواجهها أقرانه الأكبر سنا، من حيث أنها تحدث فى ضواحى إنجلترا فى ثلاثينات وأربعينات القرن العشرين. وهكذا يمثل ويليام صيغة الطبقة الوسطى فى قصص المدارس الداخلية التى كانت شائعة خلال تلك الفترة. وتعتبر هذه الكتب (التى كان هناك العشرات منها) بمثابة تقرير عن الأوضاع المحلية ومصدر هام لقراءة موضوعات غامضة الآن مثل خدم المنازل، وأفران الفحم، والأسقف الفخارية، والكنيسة الإنجيلية.

وبالرغم من التعبير عن المفاهيم المجازية التقليدية للطفولة فى تلك الفترة (القراصنة، أكلة لحوم البشر، وغير ذلك)، هناك أيضا جرعة صريحة من الواقعية فى رواية مثل "ويليام يستعد لمواجهة الغارات الجوية " و "ويليام والإخلاء الحربى". ومن المدهش (لقارئ فى نهاية الألفية، والذى تعود على وضع الخيال فى إطار واقعى) كيف تم إدماج سياقات العلاقات الدولية والحرب ومصير الأمم فى القصص بهذه الدقة. ففى مثل هذه القصص يمكن لحسناء تستحم فى الماء أن تصف عصبة الأمم بأنها "جذابة جدا من حيث الكلمات" (Crompton 1996 "A Spot of Heroism" :7) بينما تقول امرأة تغزل ثوبا إن "البلاد ومنذ ما قبل الحرب أصبحت مليئة بالجواسيس.. والسياح والطلاب أو حتى الأساتذة... وكأن كل منهم يأخذ جزءا من الشاطئ ويدرسه حتى يعرف كل بوصة فيه"(Crompton 1940 William and the Spy:123)

الصور الجيوبولوتيكية

يقول فيليبس فى دراسته لقصص المغامرات إن القصص الأحدث عهدا موضوعة نمطيا داخل إطار جغرافى مزدوج "للداخل والخارج"، حيث يوجد فى مثل هذه القصص إشارات مستمرة لكل من الغريب والمألوف على حد سواء، مثل القول إن

الموقع البعيد يصبح "مكانا بعيدا عن الشعور ومنطقة هامشية غامضة تنعكس فيها عناصر الحياة العادية" ١٩٩٧:١٣)). وبينما لا يغيب ذلك تماما فى الأمثلة السابقة، إلا أنها لا تعمل كحكايات أخلاقية بشكل مباشر، ولا يظهر المكان فيها بطريقة مجازية فقط. بل إن هذه الحكايات تعتبر دليلا على ما يسميه بك " Pick التمثيل القومى والقلق الثقافى" (Pick 1994:66 وبدون محاولة تقديم تصنيف جامع مانع ، يمكن تحديد أربعة موضوعات أساسية يظهر فيها المكان بشكل جلى وهى: الحصار، حماية قلب الأرض ، الغياب والمحو، وتلاشى المكان من القصص. وفى السطور التالية دراسة لكل موضوع على حدة.

الحصار.

إذا كان من الواجب تمييز جيوبولوتيكا القرن العشرين فى سياق تطور الفكر العالمى (أنظر مثلا Kearns 1993) يجب أن يؤخذ ذلك أيضا فى الاعتبار حين نراجع الظروف التى أحاطت بالدول القومية الأوروبية التى كانت على حذر بالأعداء المحيطين. وقد وصل ذلك إلى ذروته قبل الحرب العالمية الثانية، عندما استخدمت ألمانيا الخرائط زاعمة أنها تعرضت لحصار كبير، مما شجعها على نشر استعراضاتها الدعائية Herb 1997 وكان هذا الوضع ينطبق أيضا على الفترة التى سبقت الحرب العالمية الثانية، عندما كانت الخطط المعقدة للتعبئة والهجوم معروفة على نطاق واسع.

ويظهر المثال المعبر عن هذا فى رواية "غربال الرمل"، فقد كانت بمثابة مؤشر مبكر جدا على الحرب العالمية الثانية، وكانت تعترف صراحة بصراع المصالح الذى سيؤدى فى النهاية الى المواجهة بين بريطانيا وألمانيا، بل إنها وصلت إلى التنبؤ الدقيق بمسار الحرب، حيث تقوم ألمانيا بتطويق وحصار بريطانيا. وفى بعض الأحيان تصبح القصة تعليمية للغاية، حيث تقدم سلسلة من التوصيات السياسية الصريحة جدا. ويمكن أن نقتبس من "غربال الرمل" ما يلى:

"للقارب أهمية بالغة لدى ديفز. إذ يلعب القارب الصغير فى المياه الضحلة دورا عظيما فى الحرب البحرية، وهو دور تتزايد أهميته مع تقدم الحرب وتصل إلى ذروتها فى المراحل الأخيرة. فقد اعتاد أن يقول "صحيح أن الأساطيل الثقيلة بارعة، لكنها حيت تتقابل وجها لوجه تدمر بعضها البعض بعد أشهر قليلة من الحرب، تاركة وراءها أدميرالا بحريا يسطر أسمه بين الفاتحين على سفينة حربية هى آخر ما تبقى من الأسطول المدمر. حينها فقط سيبدأ الصراع الحقيقى وسيدخل المعركة أى شىء يطوف على سطح الماء وسيشتبك فى القتال أى شخص يمكنه دفع مركب على الماء، ويعرف خريطة المياه غير آبه بالمخاطر التى تتهدد حياته. فما يمكن أن تفعله القوارب الصغيرة فى هذه المياه واضح تماما، ولكن لننظر إلى حالتنا الخاصة. ولنفترض أن تحالفا ما قام بحصارنا فى أعالى البحار. فهنا تظهر خطورة الموت جوعا أو الغزو. ولا مجال هنا لما يتحدثون عنه من استسلام فورى. فنحن نستطيع الحياة على نصف المؤن، وتعويض ما نخسره، ونبنى ما دمر، ولكننا نحتاج إلى وقت. وفى تلك الأثناء تكون سواحلنا وموانينا فى خطر، لأن الملايين التى سندفعها فى القلاع والألغام لن تكفينا طويلا. فكل ما سبق أشياء ساكنة، ومجرد دفاعات سلبية. فما نحتاجه هو القوارب ـ كالبعوض الذى يلدغ ـ أسراب من القوارب ، قوارب دورية، قوارب كشافة، قوارب طوابير، قوارب استخبارات غير منتظمة يقودها رجال محليون، لديهم حرية التصرف فى القيام بأعمالهم. ويالها من أعمال! إذ توجد أماكن مشابهة هناك- ليست مطابقة ولكنها مشابهة – مثل مصبات أنهار ميرسى Mersey، ودى Dee، وسيفرن Severn، و واش Wash، وأهمها جميعا التيمز Thames، مع كل الشواطئ البحرية لضفاف كينت Kent، واسكس Essex، وسفولك .Suffolkأما فيما يتعلق بالدفاع عن سواحلنا بالطريقة التى أقصدها، فليس لدينا شئ جاهز- ليس لدينا أى شئ " (Childers 1903:132)

وهناك موقف مماثل نوعا ما تستكشفه رواية "الخطوات التسع و الثلاثون"، التى تدور حول محاولات اغتيال رجل دولة أوروبى بارز. والجهود الألمانية لسرقة الخطط الحربية البريطانية. وقد نشرت فى ١٩١٥ عندما نشبت الحرب البرية عبر القارة

الأوربية، ولكنها أعدت قبل اندلاع الحرب بسبعة أسابيع. وبها بعض أوجه التشابه مع رواية "السيد ستاندفاست" Mr.Standfast، وهى الثالثة من رباعية هاناى التى ظهرت فى ١٩١٩ وتمثل النسخة المستعارة من رواية " رحلة الحاج Pilgrim's Progress ورغم أنه هناك القليل من الكتابات الجيواستراتيجية، إلا أن هناك قدرا كبيرا من كلام الشخصيات فى موضوعات مثل مسئولية الفرد تجاه الدولة خلال وقت الحرب.

ويتحرك البطل فى هاتين الروايتين جيئة وذهابا بين لندن ومرتفعات اسكتلندا. حيث تصور لندن على أنها مركز السلطة الإمبريالية والقومية بينما تمثل برارى اسكتلندا منطقة مهددة غير محكومة، حيث توجد فيها قوى معارضة (خاصة دوائر التجسس الألمانية المختلفة) والتى تعمل بحرية.

وفى القصة الأولى نجد أن هذه القوى ضعيفة التنظيم، أما فى القصة التالية فهناك غواصات الأعداء المختبئة فى مداخل المياه العميقة. وهكذا تصور انجلترا على أنها قوة متحضرة ولكنها معزولة، ومحاطة بدول كلتية عدوانية، مثل اسكتلندا فى الشمال وأيرلندا من الغرب، وكلتاهما لهما علاقات خطيرة مع العدو (وهذه حقيقة جزئية تفسر عداوة تشرشل تجاه شلدرز بالطبع).

الصراع على قلب الأرض

تظهر أكثر المناقشات الجيوبولوتيكية وضوحا فى رواية " جريين مانتل Green-mantle التى نشرها بوشان فى١٩١٦ ، وربما كانت هذه أدنى نقطة فى الحرب لكل من بريطانيا وفرنسا، عندما لم تكن الولايات المتحدة حليفة لهما. ففى الوقت الذى كان فيه معظم الاهتمام منصبا على الجبهة الغربية، اختار بوشان أن يرسل شخصياته بعيدا بعيدا نحو الشرق، حتى وصلوا إلى ساحة الحرب بين الجيوش التركية والروسية. ولم يكن ذلك مصادفة، إذ إن إحدى شخصياته ألقت خطبًا طويلة ومعقدة عن المخططات الجيوبولوتيكية لألمانيا، على نحو ما يظهر الاستشهاد التالى:

"يتمثل الحلم الأخير الذى ستحاول ألمانيا تحقيقه فى السيطرة على الشرق الأدنى. وهذا ما لم يفكر فيه رجال دولتكم بصورة كافية. فسوف تتخلى ألمانيا عن

بلجيكا وإقليم الألزاس واللورين وبولندا. ولكن أقسم باسم الرب ! إنها لن تتخلى أبدا عن الطريق إلى بلاد الرافدين ما لم تمسكوا بعنقها وتجبروها على تركه، بل وسيقع ماهو أسوأ، فالقيصر قد يتخلى عن الكثير فى أوروبا، وسوف يبدو ذلك نصرا كبيرا للحلفاء، ولكن لن يقدر أحد على هزيمته إذا كان الطريق إلى الشرق آمنا. فألمانيا مثل العقرب، ولدغتها فى ذيلها، وذيلها يمتد بعيدا حتى آسيا"(Buchan 1916: 171)

ومن الطريف أن هذه الرؤى تظهر أيضا جلية فى قصة "سلام فرساى Peace of Versailles ففى ١٩٣٨ كان بيجلز يتساءل عن مكان صاحب العمل التالى. وكان يتساءل "أفى أوروبا؟". وجاءت الإجابة "طبعا، وهناك فقط". "فلا يزال بإمكاننا أن ندعى أننا أوربيون، وهناك فرق كبير بين أوروبا وآسيا، والتى لا تبعد كثيرا عن حدودنا الشرقية". ويوافق بيجلز بقوله "هناك فرق كبير كما تقول" (Johns 1938:10)

المحو

عندما يجد بيجلز نفسه ذاهبا إلى دولة أخرى، أو يتعقب خصومه فى الخارج، فإنه كثيرا ما يتصرف كما لو كان لا يزال على الأراضى البريطانية. وهذا صحيح فى جميع الحالات، لأنه يعيش ويعمل فيما يسميه إنلوى مجتمعا مصطنعا artificial society، وهو عبارة عن قاعدة جوية تمثل امتدادا للسيادة البريطانية (Enloe 1990) وعلى سبيل المثال، فإن الغياب الكامل لكل آثار السكان الأصليين من الصحراء فى قصة "بيجلز يطير شرقا Biggles Flies East قد يكون مفيدا فى إعداد رواية تدور فى مكان مغلق وتضع الألمان فى مواجهة مع البريطانيين، ولكنها تساعد أيضا على محو السكان الأصليين. وقد كان ذلك متكررا فى النصوص التى تتناول مواقع غريبة. فعلى سبيل المثال، كتب برات Pratt مطولا عن إقامة السيد جون بارو Mr.John Barrow المؤقتة فى افريقيا (نشر فى١٨٠١) ، مستبعدا من كتاباته كل سكان تلك المناطق باستثناء آثار عارضة، على نحو ما يقول "السكان الأصليون مستبعدون من المناطق

محل النزاع، وهم مستبعدون من التاريخ الذى يصنع هناك، هذا التاريخ الذى يريد الأوروبيون أن يدخلهم فيه كمستودع للأيدى العاملة فقط "(Pratt 1992:64-5)

وفى قصة بيجلز أيضا لا يوجد سوى القليل من الإشارات عن السكان الأصليين. ففى المناسبة الوحيدة التى ظهر فيها المحليون – بدو الصحراء التقليديون – كان لا يمكن فهمهم على نحو ما يقول فى قصته "اندلعت ضوضاء من الأصوات الحنجورية ولكن(بيجلز)لم يستطع فهم فحوى الكلام". وهنا أيضا تثار أصداء رواية "الإيماءة الفاتنة" التى أشرنا إليها سابقا. وبينما لم يكن الأمر يتعلق بأن البدو سيصبحون مستودع للأيدى العاملة ، إلا أنه كان يعنى أن مصيرهم التهجير وفقدان وطنهم. وكانت وجهات نظر الطيارين مشحونة بعقلية تعتبر فلسطين صفحة بيضاء tabula rasa يمكن كتابة علاقات اجتماعية وسياسية جديدة فيها بدون مشاكل.

لقد كان بيجلز يزمجر قائلا "إن هذا المكان يشعرنى بالذعر الشديد". " أعطنى فرنسا كل مرة". وكان بعيدا جدا عن الواقعية، فلم يتأثر بالارتباطات التاريخية للأرض التى يسير عليها، وهى الأرض التى وطأها زينوفين Xenophon ذات مرة على رأس عشرة آلاف شاب شجاع، والاسكندر الأكبر، وقادة الرومان ، والصليبيون... ولكنه كان واعيا بالإحباط الغامض الذى ينتج غالبا عن الاتصال بالماضى البعيد... وكان كل ذلك جزء من المشروع، حتى بما فى ذلك حركة أصابع القدر العنيد الذى خيم على فلسطين كالمصيبة لحوالى ألفى سنة وتاركا آثار الموت فى أعقابه" ;Johns, Biggles Flies East 90, 155, 208

ويبدو أن بيجلز اعتنق بعض التوجهات المختلفة إبان الحرب العالمية الثانية. ففى قصة "بيجلز فى الشرق Biggles in the Orient، التى نشرت فى الهند، كان يحذر أقرانه "نحن لا نستخدم تعبير السكان المحليين ... natives لأنه فظ" (Johns 1945:34) ومع ذلك، يتحدث بيجلز لاحقا عن العقلية "الشرقية" ، فى حين أنه عندما يخاطب مدير مطعم تتواضع تحيته إلى قوله باقتضاب "أهلا، أنت، هذا يكفى". وفى رواية أخرى تدور

فى المحيط الهادئ، ينزعج بيجلز عندما يهاجم الملاويون اليابانيين. حيث يقول مالتنج Malting عفويا "لن تستطيع أن توقفهم الآن، إنهم مسعورون"، ويصرخ بيجلز بسخرية مريرة "حاول أن تفر من أيديهم". "إنهم كقطيع من الحيوانات المتوحشة" Johns 1946 Biggles Delivers the goods : 170) وباستثناء هذا، توجد تعليقات قليلة على الصينيين أو الهنود الذين يمثلون ستارا للصراع بين البريطانيين واليابانيين. وبالرغم من أنه يدعى أنه أرسل إلى الشرق، فإن جونز فى الحقيقة لم يغادر أوروبا، وكل قصصه عبارة عن توقعات للتوجهات الأوروبية(٦).

التحول

بشرت الحرب الأهلية الأسبانية والصراع الصينى اليابانى بعهد جديد حدث فيه تحول فى مفهوم القريب والبعيد. ففى عصر الحرب الشاملة الذى تحقق بفضل الطائرة، أصبحت المغامرة (إذا جاز تسميتها كذلك) تحدث فى الفناء الخلفى. ففى قصص ويليام الأخيرة إحساس عام بالعدو الذى لم يكتف بالاقتراب ,بل تغلغل فى المجال الداخلى. وأصبح البطل يركز على إجلاء الأطفال بعيدا عن تهديد الغارات الجوية، والغارات الجوية ذاتها، وحتى البحث عن الجواسيس. ولم يكن هذا الإحساس بالانتهاك الشديد جديدا؛ فكما سنرى لاحقا، أثارت خطط بناء نفق عبر بحر المانش إحساسا واضحا بالتهديد، ولكن التطور اللاحق للطائرات غير نظرة كتاب كثيرين إلى الموقع الحصين والمنعزل للجزر البريطانية حين كانوا يشيرون إليها قائلين "هذه القلعة، هذه إنجلترا" (Beer 1990:265)

وبحلول الأربعينات والخمسينات، لم يعد هناك الكثير من الأماكن المفتوحة للاستكشاف أو الاستغلال بالطرق التى كانت ممكنة فى أفريقيا وأمريكا الجنوبية خلال الفترات السابقة. وبالتالى خضعت المحيطات والكواكب للتمحيص الشديد، وفى ظل مثل هذه الظروف بدأ مفهوم جيوبولوتيكى مختلف فى الظهور. ومع تطور الحرب

الباردة خلقت رسوم الكاريكاتير أماكن جديدة أيضا. فبعضها كان يعكس جزئيا الاهتمام بالأبعاد الخفية المأهولة بمخلوقات متحولة معالجة بالطاقة المشعة (وهذا يمثل امتدادا وتقاربا لقصص مثل عشرون ألف فرسخ تحت البحر Twenty Thousand Leagues under the Sea، أو شبح الأوبرا (7) (Phantom of the Opera

وهناك قصص أخرى تمثل تحررا من الأرض كلية، فقد انتقل الخيال العلمى إلى الفضاء الخارجى، حيث تنتظرنا إمبراطوريات ومستعمرات جديدة. ويعتبر الدور الذى لعبه الخيال العلمى والأماكن الواقعة خارج الوطن مناسبا بصورة سطحية فقط، ولكن من الطريف أن هناك إسقاطا واضحا نحو الخارج، وهذا يحدث بمجرد أن تستقر الدول الأوروبية فى التكامل الاقتصادى والاستقرار والتفوق العسكرى. وقام الفضاء الخارجى بلعب دور الحدود، وأصبح الغرباء بمثابة السكان الذين يحارب الأبطال الجدد عبر أراضيهم (على نحو ما نجد مع الأبطال أمثال دان دير Dan Dare و فلاش جوردون Flash Gordon إضافة إلى الشخصيات الشريرة (مثل شخصية ميكون الجبار أو مينج المتوحش).

حين يصبح الخيال حقيقة

بعد تقديم هذه النماذج المجازية البسيطة، ربما ينتظر القارئ بعض الأدلة المقنعة على أن هذه القصص كانت فى الواقع شيئا أكثر من مجرد قصص. يبدو أنه من الصعب العثور على علاقات واضحة بين الخيال والحقيقة، وإن لم يكن من الصعب توضيح كيف دخلت صور مجازية بعينها إلى الأدب. ولكن هل كان لإعادة التشكيل الواعى للزمان والمكان - والمتضمن فى إنشاء القنال الإنجليزى أو صناعة المنطاد زبلن Zeppelin أى أثر على تطور السياسة الخارجية البريطانية؟ وهل من الممكن أن رواية ويلز H. G. Wells، التى ظهرت فى ١٩٠٨ بعنوان "الحرب فى الجو" - والتى تحكى عن قصف شامل للمدنيين من قبل القوات الجوية الألمانية- قد أدت فعلا إلى ظهور مثل تلك

الأفكار إلى الوجود؟ لقد كتبت هذه الرواية فى وقت لم تكن هذه الأسلحة قد ظهرت بعد، فهل كان ظهورا حتميا، أم أن ويلز قدم المسودة التى طورها جورنج Goering لاحقا؟ وحتى إذا طبقنا أكثر معايير التفسير السببى صرامة، فإن ربط ظهور تلك الأسلحة بأعمال روائية لا يجب أن يتجاوز مستوى التخمين. ومع ذلك، فقد كنت أنوى توضيح كيف يوجد اتساق كبير بين خيال هذه الفترة وظهور الجيواستراتيجيا، ويمكن القيام بذلك بصورة مقبولة. ومع هذا، هناك قدر من الأدلة الأكثر قوة والتى تشير إلى أن مثل هذه الأعمال الروائية كان لها قدر من التأثير. وهو ما نتناوله بعمق أكبر فى السطور التالية.

لقد بدأنا هذا الفصل برواية "غربال الرمل" واستخدمناها كمثال على الخيال الذى ظهر لخدمة غرض جيوبولوتيكى. ومع ذلك، كان كتاب شلدرز هو النموذج الأكثر نجاحا من بين طوفان حقيقى من المجلدات التى ظهرت فى نهاية العصر الفيكتورى. ففى الفترة التى تراجعت فيها بشدة الصراعات التقليدية داخل أوروبا، أصبح الخيال التصورى والتأملى مجالا لمناقشة العلاقات الدولية، والتعبير عن العداوات بأسلوب غير مؤلم نسبيا. وحتى نهاية القرن كانت هذه القصص بمثابة تكرار للعداوة التقليدية بين فرنسا وبريطانيا، وكانت بعض العناوين مثل: " الحرب الانجليزية ـ الفرنسية ـ الروسية La Guerre Anglo-Franco-Russe المؤلف مجهول الاسم (unknown 1990 ورواية "احتضار انجلترا L'Agonie d'Albion (Demolder n.d.)، ورواية "الحرب المميتة : فرنسا وإنجلترا Guerre Fatale: Franco-Angleterre (Danrit 1901) ويقابلها عناوين أخرى مثل: "الغزاة (The Invaders (Tracy 1901 و معركة دوركنج The Battle of Dorking (Chesney 1871) والحرب الكبرى فى انجلترا والمعركة الجديدة فى دوركنج The Great War in England and The New Battle of Dorking (Maude -1900)

وكما يوضح بك Pick، فإن هذا النمط كان كبيرا لدرجة أنه كان هناك مجال فرعى واضح من الأعمال الأدبية الهادفة إلى الربح والتى تركز صراحة على التهديدات المتضمنة فى إنشاء نفق القنال الإنجليزى (Pick 1994)

ويجب أن نفهم ضخامة عمل شلدرز فى ضوء هذا السياق. فبينما لم تكن الأنشطة العسكرية البروسية وإنشاء قناة كيل فى ١٨٩٥ سرا، ظل الخصم التقليدى هو الأكثر تهديدا. وحتى فى عام ١٩٠١ ، جاء فى رواية بمبرتون Pemberton بعنوان أنصار الآباء Pro Patria أن القوات الفرنسية تدفقت من نفق واكتسحت انجلترا. وهكذا فإن رواية "غربال الرمل" ، التى ظهرت بعد ذلك بسنتين، كانت مجرد "رواية" بجميع المقاييس. وكان أعضاء فى الحكومة يميلون إلى إنكار تنبؤاتها، وكما يلاحظ كلارك Clarke فقد بيع مئات آلاف النسخ من الطبعة الرخيصة، وفى ألمانيا صدرت أوامر بمصادرة الكتاب (Clarke 1965:110)

وبمجرد أن أسس شيلدرز هذا الأسلوب الأدبى، فقد تبعه سيل من الكتب منها: "غزو العام ١٩١٠ The Invasion of 1910 (Le Queux 1894 ومنزل رجل إنجليزى An Englishman's Home(du Maurier1909) - ، وحينما جاء وليام When William Came (Saki 1929) بينما استجاب الألمان بنشر كتب مثل: "الحرب الإنجليزية الألمانية Der deutsch-englisch Krieg و"مع الأسلحة الألمانية إلى لندن مرورا بباريس Mit deuts-chen Waffen über Paris nach London

ولم تصدر هذه المطبوعات عن فراغ. فرواية ألمانية مثل "الحرب القادمة" Der Kommende Krieg تبعها مقال افتتاحى فى صحيفة ديلى ميل فى ١٩٠٦، بينما حظيت سلسلة William le Queux والتى حملت عنوان "غزو العام ١٩١٠" بمناقشة مستفيضة فى مقال نشر فى مارين روندشو .Marine Rundschau وقام جندى رفيع المستوى بكتابة مسرحية "منزل رجل إنجليزى" An Englishman's Home (du Maurier 1909) التى تناولت الغزو أيضا. وذابت الحدود بين السياسة وصنع السياسة من ناحية والتكهنات الأدبية من ناحية ثانية وذلك بعد فتح مكتب تجنيد للجيش فى مسرح ويندهام (Clarke 1995)

ويمكن أن نرى من هذه الأمثلة أن خيال المغامرات لعب دورا جوهريا فى تكوين وتطوير الخطاب الشعبى فى عصر ما قبل وسائل الاتصال الإليكترونية. حيث عملت

العناوين العديدة التى تلت عمل شيلدرز على تطوير أفكار الحصار والغزو، لدرجة أن إعلان الحرب فى ١٩١٤ حقق ارتياحا واقعيا. ولم تكن الأعمال الأدبية تؤثر بشكل منعزل داخل حدود كل دولة. فكما يوضح كلارك بالتفصيل المدهش، فإن كل عبارة كتبها مؤلف بريطانى تتعلق بالغزو كان يراها الألمان استفزازا، بينما كانت كل عبارة ألمانية عن المصير القومى تعتبر تهديدا للمقدسات البريطانية. ولم يكن هؤلاء هم الجمهور الوحيد لهذا الخيال، فسلسلة "غزو العام ١٩١٩" باعت فى النهاية أكثر من مليون نسخة وترجمت الى ٢٧ لغة، منها طبعة خاصة للصغار والتى حملت عنوان "غزو الألمان لإنجلترا "Der Einfall der Deutschen in England" مع حذف النهاية التى يلقى فيها الألمان الهزيمة.

الخاتمة

يقول أوتواتيل وأجنيو Tuathail and Agnew إنه "من خلال الخطاب فقط يمكن تبرير تكوين أسطول بحرى أو اتخاذ قرار بغزو دولة أجنبية. ومن خلال الخطاب يعمل القادة، وعن طريق حشد مفاهيم جغرافية معينة يمكن تفسير أعمال السياسة الخارجية، ومن خلال التفسير الجغرافى سابق التحضير يصبح للحروب معنى (١٩٩٢:١٩١).

لقد عرضت فى هذا الفصل بعض طرق تجميع هذا التفسير سابق التحضير. فأولا، نستطيع أن نرى أنه كانت هناك فكرة واضحة عن شئ ما يمكن أن نسميه اليوم منطقة النفوذ. فشيلدرز ،على سبيل المثال، كان يقدم عبارات واضحة عن التهديدات التى واجهت بريطانيا حتى عندما كانت ألمانيا تتحرك نحو المراحل الأولى من التوسع الصناعى وتشكل تحديا للسيطرة البريطانية.

وثانيا، تتبعنا فى هذا الفصل ذلك الارتباط الوثيق بين المشاعر الشعبية وصياغة تلك المشاعر بشكل رسمى فى إطار جيوبوليتيكات عالمية التأثير. ففى عام ١٩٠٤ ألقى ماكيندر Mackinder خطابه أمام الجمعية الجغرافية الملكية - والذى أكد فيه أهمية المناطق الأرضية الأوروبية والأسيوية كمناطق محورية - وذلك بعد ثلاث سنوات من اعتبار هاناى Hannay تركيا والإسلام العاملان الأساسيان فى استقرار الغرب، وهو ما كان ماكيندر قد توقعه وصاغه تحت مفهوم "قلب الأرض". وبعبارة أخرى، يمكن للأدب الشعبى أن يعكس فى توقيت متزامن تلك الحوارات الأكاديمية Mackinder 1904 و (Mackinder 1919)

ثالثا، والأكثر أهمية، أننا نستطيع أيضا أن نستنبط أشياء جديدة من بين السطور. إذ إن غياب معظم أسماء النساء المعروفات فى تلك الفترة التى غطتها دراستنا فى هذا الفصل أصبح مفهوما الآن، كتصوير دقيق للتحيز النوعى(٨). وقد كتب الكثير عن أسلوب تغلغل التفكير العنصرى فى أعمال تلك الفترة، ولكن الاستبعاد الماكر للسكان المحليين يعتبر الأكثر إشكالية بصورة أو بأخرى. فبمجرد أن يختفى السكان الأصليون من مناطقهم في تلك الكتابات، ينتهى وجود الكيانات السياسية التى يشغلوها: حيث تصبح ببساطة مجرد مواقع.

كما أحدثت كشوفات القرن التاسع عشر تغيرات جذرية فى المجتمعات الاستعمارية التى تخلت عن التنوع الطبيعي والبشرى للأراضى البعيدة عن أوروبا، بعد أن كانت قد تأثرت بها بوضوح. وبدرجة ما يمكننا أن نلحظ أن رؤى القرن العشرين صارت أكثر ارتباكا، طالما أن انتقاص الآخر يمثل انعكاسا للتقليد الاقتصادى الجديد وخلق "العالم الثالث" ككيان اجتماعى متدن فى انجازاته وقابل لأن تجرى عليه التجارب.

ويتمثل البعد الرابع فى طريقة بداية تلاشى التصورات الجغرافية والجيوبولوتيكية التقليدية. صحيح أن المغامرات لا تزال موجودة فى الواقع، لكن استمرار هذا الخيال يمثل نظرة شيقة على البناء المعاصر للذكورة (Phillips 1996) وبالرغم من ذلك تغير الأمر جذريا. حيث أصبحت الجزر القاحلة مسرحا للفكاهة وليس للمغامرة (خاصة جزيرة جيليجان Gilligan's Island، التى لا تزال تعرض على التليفزيون الأمريكى بعد ثلاثة عقود). أو مجالا لعرض الإثارة الجنسية (مثل "البحيرة الزرقاء"). فمع انتقال الإمبريالية والتوسعية إلى عوالم أخرى، يمكن إعادة خلق مجالات شعورية للمغامرة، مما يولد "عالما جديدا كاملا" من الخيال الذى يواكب تلك التغيرات.

شكر وتقدير

عرضت صياغة أولية لهذا الفصل على أعضاء قسم الجغرافيا فى جامعة ريدنج Reading فى نوفمبر١٩٩٧ ، وكانت تعليقاتهم مفيدة جدا. وهناك رؤى مفيدة أخرى قدمها كل من جينيفر هيندمان، وجولى مورفى، وإرفانى، وكريستين كوبيتوس، ومحكم لم يتسن لى الاطلاع على اسمه لسرية التحكيم، بالإضافة إلى المحررين أنفسهم. ويسعدنى إهداء هذا العمل إلى جدى الذى كان يشترى لى المجلات الفكاهية خلال طفولتى، حتى عندما كان لا يستطيع تحمل تكاليفها.

الهوامش

(١) لا يعنى هذا القول إن الكتابة الخيالية هى فقط المهمة فى هذا السياق، فقد أوضح شارب Sharp (1996) هذه النقطة جيدا فيما يتعلق بالمجلات.

(٢) صك المؤلفون العبارات التى استخدموها، ومن الواضح أن الجمهور تقبلها، وبدون تمحيص غالبا. وبالتالى لم تكن الكتب محظورة فى عصرها، وهذه حقيقة يعتبرها البعض بمثابة فشل يجب مواجهته الآن. ومع ذلك، ستكون مثل هذه الرقابة المتأخرة مجرد إيلام للذات من ناحية، وتوسع صغير آخر لرقابة الدولة من ناحية أخرى (لمزيد من مناقشة هذا الموضوع انظر الفصل الثامن من دراسة (Phillips 1997)

(٣) لازلت أتذكر مسلسلا كان يعرض فى أوائل الستينات، وكان يصور شخصية تدعى "ذئب كابول Wolf of Kabul وكان متورطا فى أنشطة عنيفة باستمرار، وذلك بصحبة صديق حميم يدعى تشونج "Chung" سلاحه الوحيد مضرب كريكيت. ونظرا لأن البريطانيين كانوا يحاولون إخضاع أفغانستان منذ الحرب الأفغانية الأولى فى ١٨٣٩، وتركوا الهند فى ١٩٤٧، فقد كان ذلك بجميع المقاييس يمثل رسالة غريبة جدا إلى المراهقين.

(٤) لابد أن فضيحة شذوذ صف الضباط الألمان فى أويلنبرج Eulenburg، والتى ظهرت عند نهاية القرن، كانت معروفة لدى بوشان ومعاصريه: انظر .Steakley 1993:233

(٥) فى قصة بعنوان "الساحة العظمى " The Great Arena، نجا بيجلز من الموت عندما توقف طيار ألمانى عن إطلاق النار عليه بعد ان نفدت ذخيرته. وعندما عاد بيجلز إلى القاعدة سألوه "أين كنت، إنك لم تجتز تلك الاختبارات!" هكذا سأله الرائد عابسا ومشيرا إلى صف من الثقوب الصغيرة فى عتاده. فأجابه بيجلز: "لا، ياسيدى، هذا أمر بسيط – لا داعى للحديث عنه – مع صبى صغير". -Johns 1934 Big) gles of the Camel Squadron : 123)

(٦) لاشك أن هذا يؤدى إلى بعض التناقض. حيث يقضى بيجلز عدة ساعات يتجول عبر الصحراء المحرقة، ولكنه يتناول بعض الشوكولاتة بعد ذلك، ومن العجيب أنها احتفظت بقوامها ولم تنصهر فى تلك الحرارة الحارقة. (Biggles Flies Fast)).

(٧) تمثل هذه الأبعاد الخفية مجرد إرهاصات بسيطة للمظاهر الخفية الأكثر تعقيدا أو التى توجد فى الكثير من ألعاب الكومبيوتر مثل ميست و ريفن Myst and Riven

(٨) بينما كانت هناك دائما شخصيات من الطبقة العاملة فى الخيال البريطانى، إلا أنهم كانوا إما تابعين (أى يمكن استردادهم) أو شاذين غريبى الأطوار (مثل شخصية ألف توبر Alf Tupperفى رواية" قسوة الطريق " Tough of the trackالذى كان يدخن السجائر ويأكل السمك وشرائح البطاطس قبل السباقات الصغيرة).

قائمة المراجع

Primary sources

Buchan, J. (1915) *The Thirty-Nine Steps*, London: Nelson.
—— (1916) *Greenmantle*, London: Nelson.
—— (1919) *Mr. Standfast*, London: Nelson.
Chesney, G. (1871) 'The Battle of Dorking', *Blackwood's Magazine*, May.
Childers, E. (1903) *The Riddle of the Sands*, Oxford: Oxford University Press.
Crompton, R. (1939) *William and Air Raid Precautions*, London: Macmillan.
—— (1940) *William and the Evacuees*, London: Macmillan.
—— (1940) *William and the Spy*, London: Macmillan.
—— (1996) *Just William on Holiday*, London, Macmillan.
Danrit, Capitaine (1901) *La Guerre Fatale: Franco-Angleterre*, Paris.
de Vere Stacpoole, H. (1908) *The Blue Lagoon*, London: Unwin.
Demolder, E. (n. d.) *L'Agonie d'Albion*, Brussels.
du Maurier, G. L. B. (1909) *An Englishman's Home*, London: Harper.
Hay, I. (1908) *The Right Stuff*, London: Blackwood.
—— (1909) *A Man's Man*, London: Blackwood.
—— (1915) *The First Hundred Thousand*, London: Blackwood.
—— (1918) *The Last Million*, London: Blackwood.
Hichens, R. (1904) *The Garden of Allah*, London: Methuen.
Hull, E. M. (1921) *The Sheik*, London: Eveleigh Nash.
Johns, W. E. (1934) *Biggles of the Camel Squadron*, Oxford: Oxford University Press.
—— (1935) *Biggles Flies East*, Oxford: Oxford University Press.
—— (1938) *Biggles Goes to War*, Oxford: Oxford University Press.
—— (1945) *Biggles in the Orient*, London: Hodder and Stoughton.
—— (1946) *Biggles Delivers the Goods*, London: Hodder and Stoughton.
le Queux, W. (1894) *The Invasion of 1910*, London: Nash.
Maude, F. N. (1900) *The New Battle of Dorking*, London: G. Richards.
Pemberton, M. (1901) *Pro Patria*, London, Ward: Lock.
Ransome, A. (1930) *Swallows and Amazons*, London: Jonathan Cape.
Saki (Munroe, H. H.) (1929) *When William Came*, New York: Viking.
Thorne, G. (1903) *When it was Dark*, London: Greening.
Tracy, L. (1901) *The Invaders*, London: Pearson.
Unknown (1900) 'La Guerre Anglo-Franco-Russe', *Le Monde Illustré*, March.
Wells, H. G. (1908) *The War in the Air*, London: Bell.
Wren, P. C. (1924) *Beau Geste*, London: Murray.

Secondary sources

Beer, G. (1990) 'The island and the aeroplane', 265–90 in H. Bhabha (ed.) *Nation and Narration*, London: Routledge.

Bhabha, H. (1990) 'DissemiNation', 291–322 in H. Bhabha (ed.) *Nation and Narration* London: Routledge.

Castle, K. (1996) *Britannia's Children: Reading Colonialism Through Children's Books and Magazines*, Manchester: Manchester University Press.

Clarke, I. F (1965) 'The shape of wars to come', *History Today*, February: 108–16.

Childers, M. A. (1931) 'Foreword', in Childers, E. *The Riddle of the Sands*, London: Edward Arnold.

Cockburn, C. (1975) *Bestsellers: The Books that Everyone Read, 1900–39*, Harmondsworth Penguin.

Dalby, S. (1990) *Creating the Second Cold War*, London: Pinter.

Ellis, P. B. and Schofield, J. (1993) *Biggles! The Life Story of Captain W. E. Johns*, Godmanstone: Veloce.

Enloe, C. (1990) *Bananas, Beaches and Bases*, Berkeley: University of California Press.

Finkelstein N. G. And Birn, R. (1998) *A Nation on Trial*, New York: Henry Holt.

Goldhagen, D. J. (1996) *Hitler's Willing Executioners: Ordinary Germans and the Holocaust*, New York: Knopf.

Herb, G. (1997) *Under the Map of Germany*, London: Routledge.

Jameson, F. (1993) *The Geopolitical Aesthetic*, Minneapolis: University of Minnesota Press.

Kearns, G. (1993) 'Prologue', 9–30 in P. J. Taylor (ed.), *Political Geography of the Twentieth Century*, London: Belhaven.

Kline, S. (1993) *Out of the Garden*, London: Verso Press.

Livingstone, D. (1998) 'Reproduction, representation and authenticity', *Transactions of the Institute of British Geographers*, 23 (1):13–20.

MacKenzie, J. M. (1996) 'General editor's introduction', in K. Castle *Britannia's Children: Reading Colonialism Through Children's Books and Magazines*, Manchester: Manchester University Press.

Mackinder, H. (1904) 'The geographical pivot of history', *Geographical Journal* 23: 421–37.

—— (1919) *Democratic Ideals and Reality*, London: Constable.

Mann, M. (1988) *States, War and Capitalism*, Cambridge: Blackwell.

Ó Tuathail, G (1996) *Critical Geopolitics*, Minneapolis: University of Minnesota Press.

Ó Tuathail, G. and Agnew, J. (1992) 'Geopolitics and discourse: practical geopolitical reasoning in American foreign policy', *Political Geography Quarterly* 11: 190–204.

Overy, R. (1996) *Why the Allies Won*, New York: Norton.

Phillips, R. (1997) *Mapping Men and Empire: A Geography of Adventure*, London: Routledge.

Pick, D. (1994) 'Pro Patria: blocking the tunnel', *Ecumene* 1 (1): 77–93.

Paasi, A. (1996) *Territories, Boundaries and Consciousness*, Chichester: Wiley.

Pratt, M. L. (1992) *Imperial Eyes*, London: Routledge.

Sharp, J. (1996) 'Hegemony, popular culture and geopolitics: *Reader's Digest* and the construction of danger', *Political Geography* 15 (6/7): 557–70.

Steakley, J. (1993) 'Iconography of a scandal', 233–63 in M. Duberman, M. Vicinus and G. Chauncy (eds) *Hidden from History: Reclaiming the Gay and Lesbian Past*, New York: New American Library.

Webb, P. (1994) *A Buchan Companion*, Dover N.H.: Sutton.

Winks, R.W. (1988) 'John Buchan, stalking the wilder game', v-xxii in J. Buchan *The Four Adventures of Richard Hannay*, Boston: Grodine.

الفصل الرابع

الجيوبوليتيكا اليابانية فى ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين

كايشى تاكيوشى



فى عام ١٩٢٥عرفت اليابان مصطلح الجيوبوليتك بفضل تشيكاو فوجيساوا Chi-kao Fujisawa الذى قدم فى الدورية اليابانية للقانون الدولى والدبلوماسى عرضا لكتاب سويد رودلف كيلين Kgellen الذى ظهر فى عام ١٩١٦ Kgellen 1916, Fujisawa (1925 أشار فوجيساوا بدقة إلى أن منهج كيلين يفتح آفاقاً جديدة فى الدراسة الحقيقية لظاهرة الدولة متخلصا من المنهج القديم ذى الطبيعة الاختزالية والنظرية والتقليدية. وربما لم يكن فوجيساوا على دراية بالحركة الجيوبوليتيكة فى ألمانيا والتى تأسست فى ميونخ نتيجة مبادرة من كارل هوسهوفر. وبعد ذلك بأشهر قام تارو تسوجيمورا Taro Tsugimura والذى شغل آنذاك رئيس قسم الجغرافيا الذى كان قد أنشئ للتو فى جامعة طوكيو الإمبراطورية - بمناقشة مصطلح الجيوبوليتك خلال مراجعته لكتاب أوتو مول Otto Maull (Maull1925)

وقد اعتبر تسوجيمورا وغيره من الجغرافيين - الذين صادف وان أشاروا إلى الجيوبوليتك خلال عشرينيات القرن العشرين - أن الجيوبوليتك مجرد تطبيق للجغرافيا فى عالم الممارسات السياسية الفعلية. وكان هؤلاء الجغرافيون ذوو وجهات نظر نقدية، اعتبرت الجيوبوليتك إما فرعا من فروع الجغرافيا السياسية أو تطويرا لها Tsugimura (1925) كما اعتقدوا أن الجغرافيا السياسية قامت بشكل أساسى على إدراك تلك العلاقة المترابطة بين الدولة ومظاهر السطح الطبيعية والثقافية. وقد قام كل من تاكوجى أوجاو (Ogawa1930) وجورو إشيباشى (Ishibashi 1927) وهما من الجغرافيين الرواد فى جامعة كيوتو الإمبراطورية - بتقديم نقد للجيوبوليتك لافتقادها لموضوع دراسى محدد بدقة. وإن لم يلمس نقدهم مطلقا الصفة الأساسية للجيوبوليتك، أى رؤيتها العضوية للدولة.

كان هيكو سابورو ساساكى Hihosaburo Sasaki استثناء فى ذلك، حيث قدم نقدا للجيوبوليتك الألمانى نتيجة تبعيته لمبدأ الحتم البيئى، وربطه السيئ والمباشر بين السياسة دون الأخذ فى الاعتبار الآليات الاقتصادية الوسيطة بين العاملين السابقين

(Sasaki 1927) وبناء على هذا، عرفت هذه الفترة عددا محدودا من الجغرافيين الذين طبقوا بشكل عملى هذا المنهج الجديد من العلوم السياسية على السياسات الدولية اليابانية.

وفى تلك الأثناء كان نوبوكو ليموتو Nobuyuki Limoto أحد المتخصصين الشبان فى الجغرافيا السياسية فى طوكيو وواحد من القلائل الذين أدركوا قيمة الجيوبوليتك فى صناعة السياسة (Limoto 1935 :1-13) وفى عام ١٩٣١ بدأت اليابان غزوها العسكرى لشمالى شرق الصين، واضعة بذلك نقطة البدء لحرب استمرت ١٥ سنة وانتهت بهزيمة اليابان فى نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥, وكان عام ١٩٣١ أيضا بمثابة نقطة تحول فى اليابان بين عقد العشرينات الأكثر تحررا وعقد الثلاثينات الأكثر نزوعا نحو الإمبريالية. ثم قامت اليابان فى عام ١٩٣٢ بتنصيب حكومة صورية فى مانشوكو، وفى ١٩٣٣ ـ وكنتيجة لتبنى عصبة الأمم تقرير ليتون Lytton عن منشوريا الذى انتقد بشدة الممارسات العسكرية اليابانية العدوانية فى منشوريا ـ انسحبت اليابان من عصبة الأمم. وأدى انعزال اليابان عن المجال السياسى الدولى الجديد إلى زيادة الاهتمام بالجيوبوليتيك. ورجع ذلك فى معظمه إلى زيادة قوة العلاقة بين اليابان وألمانيا وما ترتب على ذلك من تشكيل تحالف دول المحور. وكان وصول الحزب النازى إلى السلطة فى ألمانيا قد دعم الروابط بين السلطة ومدرسة الجيوبوليتك التى تأسست فى ميونخ . وخلال عشرينيات القرن العشرين تمت ترجمة مصطلح الجيوبوليتك الألمانى إلى نظيره اليابانى "تشيسيجيجياكو Chiseijigaku والذى يعنى حرفيا " السياسات الجغرافية " لكن فى عقد الثلاثينات تراجع استخدام هذا المصطلح لصالح مصطلح جديد هو تشيسيجاكو Chiseigaku وكان الانتقال نتيجة الجمع بين ثلاثة أيديولوجيات فى كلمة واحدة بحيث تعكس بشكل أفضل مصطلح الجيوبوليتك وليس السياسات الجغرافية.

التراث الجيوبوليتيكى فى اليابان قبل وصول الجيوبوليتيك الألمانى

لم يكن ازدهار الجيوبوليتك فى اليابان مدعوما فقط بالموقع الدولى المنعزل لليابان فى ثلاثينيات القرن العشرين. فمن أجل الحصول على صورة أوضح للظروف التى أدت إلى تأسيس الجيوبوليتيك على الطراز الألمانى من الضرورى مراجعة خلفيات أو موروثات الفكر الجيوبوليتيكى والاستراتيجى فى اليابان الحديثة.

فمنذ بداية سبعينيات القرن ١٩ توسعت اليابان شمالا نحو شبه الجزيرة الكورية، ففى عام ١٨٧٥ أرسلت اليابان طوربيدا مسلحا لجزيرة كانغوادو Kanghwado لإجبار كوريا على إقامة علاقات دبلوماسية مع اليابان، وهى ذات الطريقة التى أجبرت الولايات المتحدة من خلالها اليابان على إقامة علاقات معها قبل عقدين من ذلك التاريخ.

وبعد الهجوم العسكرى على جزيرة كانغوادو أرسلت اليابان إلى كوريا كيوتاكا كورودا Kiyotaka Kuroda كمبعوث دبلوماسى لتوقيع اتفاقية صداقة بين البلدين. وكان ذلك علامة البدء للتدخل اليابانى فى القارة الآسيوية وهو الأمر الذى وصل ذروته فى الصراع مع الصين (١٨٩٤-١٨٩٥) ومع روسيا (١٩٠٤ـ ١٩٠٥) وما تلا ذلك مما عرف بحرب "الخمسة عشرة سنه"مع الصين .

ومع زيادة التغلغل فى الأقاليم المجاورة عسكريا واقتصاديا بدأ عدد كبير من اليابانيين السفر فى مهمات استطلاعية إلى الصين وروسيا. وقد كان من بين هؤلاء أطياف متنوعة من شخصيات سياسية ودبلوماسية ومفتشين عسكريين وعملاء مخابرات (Nagasawa 1973)، ورغم تباين خلفياتهم كان يجمعهم الاعتقاد فى أن الظروف الجيوستراتيجية والجيوسياسية باتت مواتية للتوغل اليابانى نحو الشمال وهو التوجه الذى عرف اصطلاحا باسم "هوكوشين Hokushin ويبدو انه نتيجة الطبيعة السرية لبعض المهام، فقد حجب كثير من نتائج الرحلات عن النشر. ويجب أن نلاحظ أن نتائج هذه الرحلات، سواء ما تم منها بشكل سرى أو علنى، قد أثر فى حينه على

اتخاذ القرار اليابانى على المستوى الحكومى والعسكرى. وإضافة إلى ما سبق قام عدد كبير من الشخصيات البارزة فى هذه الرحلات بإلقاء محاضرات وبشكل دورى على الجمهور الأكاديمى وعامة الجمهور، وهو ما أسهم فى التكوين التدريجى لكل من الجيوبوليتيك والفكر الاستراتيجى لدى الشعب اليابانى. وتبرز من بين نتائج هذه الرحلات أو مخطوطات المحاضرات العامة إسهامات كل من بيو إنوموتو Buyo Eno-moto والذى أرسلته اليابان فى مهمة دبلوماسية إلى روسيا، وكيوتاكا كوردا الدبلوماسى والسياسى البارز، وياسوماسا فوكشيما الذى عمل ملحقا عسكريا برفقة مندوب اليابان فى برلين. وبفضل إسهامات هؤلاء صار بوسعنا الوقوف على فهم وجهات نظرهم ومواقفهم الجيوبوليتيكية (Takeuchi 1998)

كان التوسع اليابانى قاصرا على الشمال، وذلك حتى سبعينيات القرن ١٩ حين كان اهتمام اليابان موجها بشكل أساسى نحو جنوب شرق آسيا والمحيط الهندى. وفى تلك الأثناء من ثمانينيات القرن ١٩ ومع زيادة التأثير الألمانى فى ميكرونيزيا وماليزيا بدأت فى الظهور مطبوعات تقف إلى جانب التوسع نحو الجنوب (وهو ما عرف اصطلاحا فى اليابان باسم نانشينرون (Nannshinron) وفى ثمانينات وتسعينات القرن ١٩ـ حين لم تكن هناك بعد درجات علمية عليا فى الجغرافيا Taken-chi 1974) ظهر إلى النور عدد من الكتب فى الجغرافيا السياسية الموجهة بشكل أساسى إلى القارئ العام. ومن الشخصيات المهمة فى هذا الصدد كانزو أوتشيمورا Kanzo Uchimora خريج كلية سابورو Sapporo للزراعة، والذى قدم عددا من الدراسات فى علوم البحار والمصائد بعد نحو ثلاث سنوات أمضاها فى الولايات المتحدة. وفيما بعد، نشر أوتشيمورا بحثا جغرافيا بعنوان "اعتبارات جغرافية "-Uchi) mora1899) وفى مقدمة هذا البحث يراجع أوتشيمورا الموقع الجغرافى لليابان قبالة الولايات المتحدة وعبر المحيط الهادئ، وقد أدى ذلك به إلى التأكيد على حاجة اليابان لعقد علاقات صداقة مع الولايات المتحدة.

أما شيجيتكا شيجا Shiga، وهو أيضا خريج كلية سابورو للزراعة، فقد حصل فى عام ١٨٨٦ على فرصة سفر على متن سفينة تدريب بحرية وزار خلالها جزر المحيط الهادئ الجنوبى والاقيانوسية. وقد دفعه ذلك إلى الإلحاح على أن تقدم اليابان نحو الجنوب أمر ضرورى سواء من وجهة النظر العسكرية أو الاقتصادية، وذهب إلى القول بأن هذه الخطوة كانت مناسبة نظرا لموقع اليابان الجغرافى الذى يسمح لها بسهولة الوصول إلى مناطق آسيا الجنوبية، وجنوب المحيط الهادئ (Shiga 1887) وبينما كان أوتشيمورا محبا للسلام ودفعته قناعاته البروتستانتية للوقوف ضد التوجهات "الشمولية" لليابان فى عهد أسرة ميج، ومعارضته العلنية لاندلاع الحرب الصينية - اليابانية فى عام ١٨٩٤، كان شيجا يشدد على جهود بناء الأمة فى عهد ميج، ورغم أنه اعترف بذلك إلا أنه لم يكن فى أى فترة متعصبا لرأيه. Takeuchi 1988, 1994b, Mina- moto 1984, Yamamoto and Ueda 1997). ورغم الاختلافات الأيديولوجية بينهما إلا أنهما طالبا خلال دراستيهما بحسن إدراك أهمية الظروف الجغرافية. لم يكن أى منهما جغرافى أكاديمى، فكل ما قدماه لم يزد عن كونه ملاحظات تعليقية حول المشهد الدولى على أساس خبرتهما المباشرة للموقع الجغرافى لليابان. ويجب أن نلاحظ أيضا أن استراتيجية التوسع الجنوبى لليابان مثلت مصالح القطاع الخاص ورجال الأعمال وشؤون الهجرة، ولم يتحول ذلك إلى اهتمام حكومى مدعوما بطموحات الأسطول اليابانى إلا فى النصف الثانى من ثلاثينات القرن العشرين.

وإضافة إلى الاهتمامات السابقة، شهدت اليابان مثلها مثل بقية الدول، خلال فترة ما بين الحربين التأثير الألمانى للجيوبوليتيك. وحتى نتمكن من تحليل التأثير التالى لهوسهوفر على الفكر الجيوبوليتيكى اليابانى من الواجب أن نأخذ فى الاعتبار علاقة هوسهوفر الشخصية باليابان، فخلال فترة إقامته فى اليابان منذ نهاية عام ١٩٠٨ وحتى صيف ١٩١٠، تمكن من التعرف على الشخصيات السياسية والعسكرية البارزة فى اليابان، والتبحر فى تقاليد وثقافة الدولة. وبعد أن أصبح جغرافيا وجيوبوليتيكيا متخصصا، لم يقم هوسهوفر بنشر كتابة الشهير عن جيوبوليتيكا المحيط الهادئ

فحسب (Haushfer 1925) بل أشار مرارا إلى الشؤون اليابانية Jacobsen 1979 (86_112: لقد احتفظت اليابان لدى هوسهوفر وربما لدى أسرته بمعنى خاص، ففى منزله فى ميونخ حملت الجدران ولا تزال عديدا من الصور واللوحات عن اليابان. وقد كان الابن الأكبر لألبرت هوسهوفر جيمورفولوجيا وضابطا فى الجيش الألمانى (وكان طفلا حين عاشت أسرته فى اليابان). وقد أعدمه النازيون عام ١٩٤٥ وذلك فى الأيام الأخيرة للنازية فى برلين، وعقب اعتقاله لمشاركته فى محاولة فاشلة لاغتيال هتلر. وحين تم اعتقاله عثر فى جيبه على عدد من القصائد، اثنان منهما كانا يحملان عناوين يابانية وهما كامى وإتسوكوشيما Kami & Itsukushima

ومع هذا لم ينشأ الجيوبوليتيك اليابانى من النسخة الألمانية وأفكار هوسهوفر فحسب، فقد كانت هناك عدة توجهات للفكر والحركات الجيوبوليتيكية فى اليابان. ويسعى الفصل الذى بين أيدينا إلى تقديم إطار عام لبعض هذه التوجهات، فمن البداية كانت هناك مدرسة الجيوبوليتك التابعة لجامعة كيوتو الإمبراطورية، والتى كان يديرها سانيشيج كوماكى Saneshige Komaki، وثانيا كان هناك مجموعة من التابعين المخلصين لهوسهوفر شكلوا مدرسة الجيوبوليتيك على النمط الألمانى، وثالثا كانت هناك الرابطة اليابانية للجيوبوليتيك (Nihon chiseigaku kyokai) و Takeuchi 1980,1994a) وفى النهاية كان هناك أعضاء مجموعة "مستودع العقول" والتى ترأسها هيداماروكونو Hidamaro Konoe (Fukushima 1997)

ورغم أن كل المدارس والمجموعات السابقة لم تعتنق مبادئ هوسهوفر الفكرية، فإن أفكاره تركت تأثيرا بالغا عليهم وساهمت فى تطويرهم ونجاحهم. ولم يأت هذا نتيجة أن هوسهوفر كان مطلعا بشكل جيد على الأوضاع اليابانية فحسب بل لأن الوضع الجغرافى لليابان كان قابلا بشدة لاستيعاب أفكاره المتعلقة بتجميع الأقاليم ووحدتها (Abdel-Almalek 1977) وبالنسبة لبعض الأكاديميين اليابانيين ممن شعروا أنهم غير قادرين على توظيف إنجازاتهم العلمية فى ظل صعوبة الأوضاع التى واجهتها

اليابان خلال تلك الفترة، بدت الحركة السياسية الألمانية نموذجا أصيلا يمكن اتباعه والاسترشاد به فى صياغة تفكيرهم (Yamaguchi 1993 :230_237) وبالنسبة إلى عدد آخر من السياسيين والأكاديميين الذين شعروا بالنفور تجاه الغوغائية اللامنطقية والأنانية والقومية المتطرفة التى عرفتها اليابان آنذاك فقد شعروا بارتياح لآلية التفكير الدقيقة التى قدمها هوسهوفر، وتحليله الواقعى والمنطقى. وفى مثل تلك الظروف لم يكن من الصعب فهم سبب نشر ثلاث نسخ يابانية مختلفة لكتاب هوسهوفر (جيوبوليتيكية المحيط الهادئ) فى ثلاثينيات القرن العشرين إضافة إلى نسختين يابانيتين منفصلتين من كتاب (بناء التحالفات فى الجيوبوليتيك) و(المحيطات العالمية والقوى العالمية) ومن خلال مثل هذه المطبوعات انتشر الفكر الجيوبوليتيكى بقوة فى اليابان.

الممارسات الجيوبوليتيكية للجغرافيين اليابانيين قبل منتصف الثلاثينيات

كما اختلفت توجهات الجغرافيين تجاه الجيوبوليتيك باختلاف كل "مدرسه" جيوبوليتيكية، وباختلاف الأفراد العاملين فيها، تباينت بالمثل الأفكار الجيوبوليتيكية فى اليابان. ويمكن تقسيم هذه الأفكار إلى مرحلتين زمنيتين : الأولى تمتد من عشرينات القرن العشرين وحتى مطلع ثلاثينيات ذلك القرن، حين قام جغرافيون من أمثال تسوجيمورا وساساكى Sasaki بنقد أفكار كيلين. أما الفترة الثانية فتمتد من منتصف ثلاثينات القرن العشرين وما بعدها، وذلك حين لقيت الجيوبوليتيك اهتماما واسعا فى الدوائر الإعلامية والسياسية والعسكرية. وإضافة إلى ذلك بدأ بعض الجغرافيين المعاصرين - والذين حافظوا خلال المرحلة الثانية على وجهة نظر نقدية تجاه الجيوبوليتيك - فى التمييز بين المرحلتين (Watanabe 1942) وقد ظهرت فى المرحلة الأولى بعض الدوريات الجغرافية التى التزمت منهجا علميا صارما مثل دورية "تشيرجاكو هيوروم Chirigaku Hyorum ودورية "تشيكيو Chikya ودورية " تشيجاكو زاتشى Zasshi Chigaku وقد هدفت هذه الدوريات إلى مخاطبة طيف واسع من القراء

ويصفة أساسية من المدرسين الساعين إلى الحصول على إجازة فى تدريس الجغرافيا فى المدارس الثانوية. وكانت دورية "تشيرجاكو Chirigaku والتى نشرها كوكن شوين Kokon Shoin ودورية "تشيريكيوكو Chirikyoiku التى أصدرها تشوكومان Chukokan مجرد مثالين للدوريات الرئيسية فى هذا النوع، ويجب ملاحظة أنه خلال المرحلة الأولى كانت المقدمات النقدية للجيوبوليتيك قاصرة فى الأساس على الدوريات العلمية. وحتى بداية ثلاثينيات القرن العشرين كان هناك قدر من حرية الرأى فى اليابان، ومن ثم تعرضت الجيوبوليتيك لقدر من النقد نتيجة دعمها النظام الفاشى فى ألمانيا.

فعلى سبيل المثال استشهد ماساكان كوانيشى Masakan Kawanishi بالنقد الماركسى لآراء كارل هوسهوفر والآراء الجيوبوليتيكية لـ "ويتفوجل" (Wittfogel 1929) معتبرا أن الجيوبوليتيك تغفل فى تفسيراتها الآلية الوسيطة للارتباط بين الظروف الطبيعية المحيطة بالدولة والأنماط السياسية، زد على هذا أن كيشى أوهارا Keishi Ohara نشر عددا من المقالات فى النصف الأول من عقد الثلاثينات والتى ضمها فى النهاية فى كتابه الذى صدر عام ١٩٣٦، وفى هذا الكتاب يقرر بوضوح أنه :

"لا تزال الطريقة الأساسية للمنهج الجيوبوليتيكى مستمرة فى تقديم تفسير لطبيعة الدولة وعملية تطورها السياسى، ولكن ليس من زاوية تطور القوى الاجتماعية الفاعلة أو العوامل الاجتماعية والاقتصادية - مثل السعى إلى الربحية والاقتصاديات الرأسمالية - بل من زاوية أحادية مباشرة معتمدة على الظروف الطبيعية، وهذا النهج يخفى دور العوامل الاجتماعية والاقتصادية الكامنة خلف أنشطة الدولة، ويسوغ مزاعم وممارسات استغلال جزء من الظروف الطبيعية للدولة... وبناء على هذا فقد بنيت الجيوبوليتيك والجغرافيا السياسية اليوم على النظرة العضوية للدولة وعلى المادية الجغرافية للعصور الماضية وقد أدت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية فى ألمانيا اليوم إلى استعادة تلك النظريات التقليدية. فالجغرافيا السياسية فى ألمانيا اليوم هى

انعكاس أيديولوجي لاستعادة الرأسمالية الألمانية وتطورها القومي، وتستغل كأداة علمية لتطور هذه الرأسمالية (Ohara 1939 :335-336)

لم يعتنق كافة الجغرافيين اليابانيين هذا الموضوع من النقد النظرى الأساسى، وان كان كثيرون منهم قد اعتبروا الجيوبوليتيك مجرد تطبيق للجغرافيا السياسية ويخدم استراتيجيا ت الدولة. وقد انعكس ذلك بقدر ما فى الدوريات الجغرافية المعاصرة لتلك الفترة، والتى كانت تخاطب جمهورا واسعا، فلم تظهر مقالة من المقالات عن الجيوبوليتيك باستثناء إشارات عابرة، للحركة الجيوبوليتيكية الألمانية قبل منتصف الثلاثينيات، ومع هذا احتوت تلك الدوريات على عدد كبير من المقالات حول الجغرافيا السياسية، خاصة أنها كانت تضم قراءات إلزامية لمعلمى المدارس الابتدائية المتأهلين للعمل فى المدارس الثانوية.

لم يأت موقف الجغرافيين اليابانيين تجاه إهمال الجيوبوليتك من فرا غ، فالجيوبوليتيك الألمانى خلال عهد جمهورية فايمر Weimar قد أظهرت توجها شوفونيا وقوميا سواء فى ألمانيا أو ما يرتبط بها من مناطق محتلة (المجال الحيوى Lebensraum) والدول الأعداء المحتملة.

لكن فى حالة الدول التى تقع فيما وراء حدود ألمانيا التوسعية فان المعالجة التى اتبعت تجاه تلك الأماكن كان من الصعب تمييزها عن التحليل الجغرافى السياسى. وكدولة منتصرة فى الحرب العالمية ومسيطرة على أملاك استعمارية مثل كوريا وفرموزا وعدد من جزر المحيط الهادئ فان الوضع الجغرافى السياسى لليابان كان مختلفا بشكل جذرى عما عاشته ألمانيا فى عهد جمهورية فايمر حين عانت من قيود معاهدة فرساى، وبناء على ما سبق فان الجغرافيا السياسية التى نتجت خلال عهد جمهورية فايمر فى ألمانيا لم تكن تقبل التطبيق على الحالة اليابانية.

وخلال المرحلة الثانية من تطور الجيوبوليتك فى اليابان، والتى امتدت من منتصف ثلاثينيات القرن العشرين، كان هناك نزوع لدى الجغرافيين اليابانيين نحو

تحليل الوضع الجيوبوليتيكى المرتبط باليابان وأدوارها خلال "حرب الخمسة عشر سنه". وفى نهاية الثلاثينيات حقق النازيون هدفهم بالتحلل من شروط معاهدة فرساى وبدءوا فى رفع شعار جديد ألا وهو " نظام أوربى جديد". وقد حفز هذا بشكل مباشر أو غير مباشر قادة اليابان لاختراع شعار " نظام جديد فى شرق آسيا " والذى تحور لاحقا إلى " مجال الازدهار المشترك للشرق الآسيوى العظيم". والاستثناء بين هؤلاء الجغرافيين، الذين انكبوا على الوضع اليابانى فحسب، نجده لدى جوجى إزاوا Ezawa وهو خريج كلية طوكيو للتجارة، وتعلم فى هذه الكلية اللغة الألمانية فى فترة لاحقة. وقد اهتم إزاوا بشكل حماسى بموضوع الجيوبوليتيك الألمانى فى ثلاثينيات القرن العشرين، وقد بدأ جهوده لتطوير الجغرافيا البشرية والاقتصادية ذات التوجه التقليدى والمعتمد - بحسب رأيه - على منهج العلوم الطبيعية. إلا انه انتقل لاقتراح منهج بديل يعتمد على التحليل المنطقى للتنظيم المكانى، ويهتم بالتدخل البشرى كنقطة مركزية فى التحليل (Ezawa 1939)

وقد زاوج إزاوا بشكل حذر بين التوجه الرومانسى ونظام جديد فى التنظيم المكانى يتسم بالدقة. ولم يكن إزاوا يصنف كجغرافى فى الدوائر الجغرافية اليابانية فى تلك الفترة، لكنه كان مع ذلك جغرافيا تقدميا دافع عن الجيوبوليتيك ونشر الوعى عنها فى الفضاء الصحفى، وقد بقى إزاوا النسخة المقلدة من هوسهوفر على نحو ما يتضح من آخر كتبه عن الجيوبوليتك (Ezawa 1943) فى هذا الكتاب سار إزاوا على نهج اتشجورو أبى Ichigoro Abe وهو اقتصادى سابق نشر فى ١٩٣٣ أول بحث منهجى عن الجيوبوليتيك الألمانى (Abe 1933) ولم يكن الرجلين مصنفين كجغرافيين بين الجغرافيين المتخصصين.

ويكشف تحليل الممارسات الجيوبوليتيكية للجغرافيين خلال نهاية الثلاثينات (من الفترة الثانية) عن عدد من الصعوبات جاءت نتيجة عدة أسباب، كان فى مقدمتها:

أولا : التزم ممارسو الجيوبوليتيك الصمت، وظلوا هكذا حتى فترة حديثة للغاية، تجاه تلك الفترة الزمنية التى عاشوا خلالها أحداث ثلاثينيات القرن العشرين، وذلك

بسب الأساليب التى اتبعتها سلطات قوات الحلفاء فى اليابان عقب نهاية الحرب العالمية الثانية والتى شجبت خلالها الجيوبوليتيك. وتم تشكيل رأى عام سلبى خلال تلك الفترة الثانية .

ثانيا، تم تدمير عدد كبير من الوثائق حرقا بأوامر من سلطات الجيش والحكومة فى أغسطس ١٩٤٥ . وذلك خلال فترة الأسبوعين التى امتدت بين استسلام اليابان ووصول قوات الحلفاء المحتلة إلى أراضى اليابان. ومع أن معظم الوثائق التى نجت من الحريق واستولت عليها قوات الحلفاء قد أعادتها الولايات المتحدة إلى اليابان فى صورة ميكروفيلم وميكرفيتش إلا أن تحليل هذه الوثائق - وما تضمه من ثروة معلوماتية على درجة عالية من الثقة لقضايا الجيوبوليتيك - لم تقطع سوى خطواتها الأولى بعد.

ثالثا، نتيجة لـ" القبضة الحكومية القوية" والرقابة الشديدة على المواد المطبوعة فى تلك الفترة من الزمن شعر كثير من الكتاب انهم مجبرين على تبنى أساليب ملتوية للتعبير عن أفكارهم وذلك من أجل الإفلات من القمع الحكومى.

وعلى هذا كان من النادر العثور على مقالات أو مراجعات للجغرافيين فى الدوريات العلمية خلال الفترة الثانية ,باستثناء دورية "تشيرى توكيزاى "Chiri to keizai عضو الجمعية اليابانية للجغرافيا الاقتصادية والتى نشرت العديد من المقالات حول موضوعات ذات طبيعة إشكالية أخذا فى الاعتبار الملابسات الدولية فى تلك الفترة.

وباستثناء تلك الحالة ,نشر الجزء الأكبر من الموضوعات المتعلقة بالجيوبوليتيك فى الدوريات غير العلمية، وان لم تخل من طبيعة جغرافية، إضافة إلى دوريات ثقافية ذات أهتمامات عامه. وكانت هناك دوريتان تمثلان المصدر الأساسى للمتدربين لنيل إجازة التدريس فى المدارس الثانوية وهما دوريتا

"تشيريكيوكو Chirikyoiku و "تشيرجاكو Chirigaku وقد بدأت كلاتهما فى عام١٩٤١ فى استخدام مصطلح الجيوبويتيك فى عناوين ونصوص مقالاتها. وفى مجلد

عام ١٩٤٢ من دورية "تشيرجاكو "ظهرت أربع أو خمس مقالات شهريا فى العمود الثابت الذى حمل عنوان "جغرافية الشرق الآسيوى العظيم" وكان العدد الرابع من مجلد تلك السنة مخصصا لـ"جيوبوليتكا الشرق الآسيوى العظيم" وضم أوراقا لكبار الشخصيات فى مدرسة كيوتو للجيوبوليتك. وقد بدأت بمقال لكوماكى. وعلى خلاف دورية "تشيرجاكو" تبنت دورية "تشيريكيوكو " – والتى غيرت فى عام ١٩٤٢ اسمها إلى تشيريجاكو كينكويو Chirigaku Kenkyu ـ نهجا أكثر علمية فى التعامل مع قضايا الجيوبوليتيك. وكان معظم الكتاب الذين نشروا أعمالهم فى دورية تشيريجاكو كينكويو (من أمثال أيواتا ١٩٤٢، و واتانابى، ١٩٤٢، ١٩٤١ وواتانوكو١٩٤٢) ذوو توجه نحو نقد الجيوبوليتيك وإن لم يكن جميعهم مضطرا للاعتراف بفائدة الجيوبوليتيك فى بناء الأبعاد الجيوستراتيجية والجيوتيكتيكية خلال المرحلة الحرجة من تاريخ الإمبراطورية اليابانية. وبينما أقر واتانابى بمميزات خطاب الجيوبوليتيك، كتب فى المقابل فى عام ١٩٤٢ أكثر أشكال النقد صراحة بحق الجيوبوليتيك على النحو التالى:

"تبدو الجيوبوليتيك من حيث التعريف تخصصا علميا منهجيا ,وإن كان محتواها لا يتجاوز المناقشات والقضايا السياسية.... ويمكن تلخيص هدفها ومضمونها بشكل أساسى فى:

أولا، تسعى الجيوبوليتيك إلى دعم السياسيين بخطوط إرشادية لتوجيه سياسة الدولة على أساس كل من " التعليل الحدسى" والاعتبارات الجغرافية. ثانيا، تعمل الجيوبوليتيك على تسويغ القرارات السياسية التى تتخذها الدولة. ثالثا، تسعى الجيوبوليتيك إلى إقناع الناس بفاعلية السياسة الخارجية للدولة وإقناعهم بالتعاون مع هذه السياسات على أساس الاقتناع الأخلاقى. وبصفة عامة يعوض الجيوبوليتيكيون جوانب النقص المنطقى من خلال مبدأ المفاجأة التى يتبعها خطابهم.

وعادة ما ينخدع الناس فيصدقون منطق أو نظام التقدم نحو الأمام عبر هذه السياقات الصعبة ,والتى تعد المحفز الأعلى للجيوبوليتيكيين ,أو بعبارة أخرى ,يصدق

الناس الغرض الذى يسعى الجيوبوليتيكون إليه من خلال تأثير شعورى(Watanabe 1942:8-9)

ويمكن الاستنتاج أن واتانابى، باعتباره أستاذا فى الأكاديمية العسكرية وشخصية مميزة,كان قادرا على المضى قدما فى توجيه مثل هذا النوع من النقد. وعلى أية حال,اختفت كافة هذه الدوريات العامة فى عام ١٩٤٤ نتيجة الممارسات التى اتبعتها الحكومة لمواجهة العجز فى الورق الذى نجم عن تدمير مصانع الورق على يد القوات الجوية للحلفاء.كما اضطرت آخر دورية جغرافية وهى "تشيرجاكو هيوروم" - عضو رابطة الجغرافيين اليابانيين - إلى التوقف عن الصدور لأكثر من عام بدءا من ١٩٤٥ . وبدأ بعض الجغرافيين الذين وجهوا نقدا للجيوبوليتيك خلال المرحلة الأولى فى الاعتراف بالفاعلية العلمية والسياسية للجيوبوليتيك، وذلك فى نهاية ثلاثينيات القرن العشرين. وفى بحث موجز عن الجغرافيا السياسية قدم توشيوكو ليموتو فى عام ١٩٤١- والذى كان قد رفض فى عام ١٩٢٨الاعتراف بالجيوبوليتيك كتخصص علمى مستقل - ثلاثة فصول كاملة عن الاعتبارات الإيجابية للجيوبوليتيك(Limoto 1928 ,1935) وحين نراجع التغير فى موقف ليموتو يجب أن نلاحظ أنه قد اصبح الأمين العام لرابطة الجيوبوليتيكيين اليابانيين والتى تأسست فى نهاية عام ١٩٤١. وقبل أسابيع قليلة من الهجوم على بيرل هاربور. وفى ذات الوقت قام كيشيى أوهارا Ohara - الذى شن هجوما نظريا وجوهريا على الجيوبوليتيك خلال المرحلة الأولى - بنشر بحث فى دورية ثقافية رائدة فى عام ١٩٤٠ اعترف خلالها بأهمية الاعتبارات الجيوبوليتيكية فى ظل النظام الاقتصادى الشمولى السائد والمسمى "الاقتصاد المحكوم" (Ohara 1940) وفى عام ١٩٤٢ اضطر أوهارا إلى الاستقالة من وظيفته التدريسية فى المدرسة التجارية العليا فى يوكوهاما. وكان أحد الأسباب التى ذكرت لاستقالته هو نشر كتاب ذى توجه ماركسى نوعا ما وذلك فى عام ١٩٣٦. تحت عنوان Shakaichiri-gaku no Kisomondai وتعرض أوهارا فى ١٩٤٠ لرقابة صارمة من شرطة الأمن العام. ومن هنا فان ما ذهب إليه فى عام ١٩٤٠ بشأن النظام الشمولى يبدو مثالا معبرا عن

المنطق المشوه وأسلوب الكتابة الملتوى الذى ظهر فى ظروف من التقييد على حرية الكلمة. فى المقابل قدم كوجى ليزوكا عددا من المقالات للدوريات العامة خلال تلك الفترة.

وعملت هذه المقالات على الكشف عن المؤامرات التى حاكتها القوى الغربية لتبرير حربها على المحيط الهادئ ,كما قدمت هذه المقالات تحليلا جغرافيا للولايات المتحدة باعتبارها عدو لليابان. وفى ذات الوقت قدم ليزوكا نقدا لاذعا للجيوبوليتيك وذلك فى مطبوعات نشرتها كلية الاقتصاد فى جامعة طوكيو الإمبراطورية وذلك خلال عامى ١٩٤٢ , ١٩٤٣(Lizuka 1942,1943) وقد نقح وأعاد نشر معظم أعماله بعد الحرب العالمية الثانية ,لكنه لم يضم إليها مقالاته التى نشرها من قبل فى دوريات عامة.

وكان سانيشاج كوماكى ثالث أبرز الشخصيات العلمية فى قسم الجغرافيا فى جامعة كيوتو الإمبراطورية. وكان باحثا لامعا فى الجغرافيا التاريخية وجغرافية ما قبل التاريخ. وبصفة خاصة تميزه فى إعادة تصور مظاهر سطح الأرض التاريخية وتفسير اللاندسكيب القديم، وهو التخصص الذى مازال باقيا إلى اليوم.

قام كوماكى (Komaki 1940) بنشر كتاب" بيان الجيوبوليتيك اليابانى Manifesto of Japanese Geopolitics، وإن كانت الملابسات التى أدت إلى تقديمه هذا الكتاب غير واضحة. وقد أشار كوماكى فى هذا العمل إلى ضرورة تطوير الجيوبوليتيك اليابانى الجديد على أساس دراسة جغرافية اليابان من خلال التأكيد على تراث الأبعاد الروحية والعقلية لليابانيين، وفى ذلك يقول :

"من هذا البعد يبدو الجيوبوليتيك اليابانى مختلف عن العديد من جيوبوليتيكيات العالم والمتأثرة بالجيوبوليتيك الألمانى ,سواء الجيوبوليتك الاستعمارى على النمط البريطانى أو على النمط التقليدى للجيوبوليتيك الصينى. لقد اكتسب الجيوبوليتك اليابانى تميزه منذ بداية الأسرة الإمبراطورية وسيستمر فى التطور على خطى ازدهار هذه الأسرة كعلم يابانى حقيقى الإبداع (Komaki 1940: 5) وعلى هذه الأسس أولى

كوماكى عناية خاصة بحاجة اليابان للاعتراف بسياسة قومية صرفة مبنية على التينوية Tennoism (Komaki 1942)وقد ظهر ذلك على ما يبدو كنوع من "الإلهام الإلهى" من جانب كوماكى ,متأثرا ربما فى ذلك بأن عائلته تنتمى إلى طائفة الشينتو ذات التميز الدينى الكبير وذلك فى مقاطعة شيجا .Shiga كما يجب أن نلاحظ أنه فى قسم الجغرافيا فى جامعة كيوتو حظى كتابا فردريك راتزل "الجغرافيا البشرية " "والجغرافيا السياسية" بقراءة واسعة، وكان عدد من تلامذة كوماكى مهتمين للغاية بالفكر الجيوبوليتيكى منذ منتصف القرن العشرين. وكان جيرو يونيكورا Jiro Yonekura مساعدا فى قسم الجغرافيا فى النصف الثانى من ثلاثينيات القرن العشرين ,وقام فى عام ١٩٣٧، إبان الغزو اليابانى للصين، بتقديم عدد من الدراسات الجيواستراتيجية لصالح الجيش اليابانى بناء على التحليل الوثائقى للحروب السابقة على الأرض الصينية. وقد نشرت هذه الدراسات لاحقا (Yonekura 1942) ويبدو مستحيلا تقييم الدوافع التى وقفت خلف تحول كوماكى إلى الجيوبوليتيك. ومن غير المعروف ما إذا كان ذلك نتيجة إلهام إلهى (حدسى) أو كان نبضا معبرا عن التراث الأكاديمى لمدرسة كيوتو الفكرية.

وبغض النظر عن طبيعة هذه المحفزات ,تمكن كوماكى من حشد معظم خريجى قسم الجغرافيا فى كيوتو للبحث فى الموضوعات الجيوبوليتيكة. وقامت دورية "تشيرى رونزو Chiri Rons الصادرة عن قسم الجغرافيا فى كيوتو فى عددها الحادى عشر - الذى خصص لتخليد الذكرى الأسطورية لمرور ٢٦٠٠ سنة على تأسيس اليابان على يد أول زعيم من التينو Tenno - بنشر ٢٥ بحثا متعلقا بالجيوبوليتيك فى مقدمتها أعمال كوماكى.

وتحت إدارة كوماكى توجه عدد من الخريجين الشبان فى قسم الجغرافيا فى كيوتو نحو التخصص فى دراسات حول دول بعينها فى الشرق الآسيوى الكبير ,وقد تم جمع أعمالهم فى مشروع تم تحضيره للنشر فى عدد من الإصدارات ,وإن لم ير النور, وكان توزيعهم على العمل بحسب التخصص على النحو التالى :

أتوشيكو بيكى Bekki فى جنوب شرق آسيا ,جيرو يونيكورا فى الصين ,نوبو موروجا Muroga فى أمريكا الشمالية ,سابورا نوما Noma فى أوربا ,توكويوشى آسا Asa فى جنوب آسيا. ماساتوشى ميكامى Mikami فى سيبيريا ,شونجى وادا Wada فى أستراليا ,يوجيرو توموناجا Tomonaga فى أفريقيا، كيوشى كواكامى Kawakami فى الأقاليم القطبية ,وتسوجيو موراكامى Murakami فى جزر المحيط الهادئ. وفى عام ١٩٤٢ تم إرسال كلا من بيكى وآسا على التوالى كمديرين عسكريين إلى كل من إندونيسيا وبورما ,الواقعتين تحت الاحتلال اليابانى آنذاك .

وفى عدد من الكتابات المنشورة ركز المنهج الجيوبوليتيكى لمدرسة كيوتو على المشكلات الاقتصادية لليابان التى تسببت فيها هيمنة القوى الغربية فى شرق آسيا, كما أولت عناية أيضا للتمييز العرقى ضد اليابانيين ,وهى كتابات كان لها أثر فى إثارة حفيظة الجمهور اليابانى. وفى تلك الفترة أيضا استشعر هؤلاء المؤلفون أن مجرد التعرض للاستعمار الغربى وتوجيه النقد له ليس كافيا لإضفاء الشرعية على السياسات الاستعمارية اليابانية المشابهة .ووجد هؤلاء أيديولوجيا بديلة تمثلت فى بناء مفهوم "الآسيوية" كبناء كوميونى (وحدوى) يضم الشعب الآسيوى معا . وقد كانت هذه الأيديولوجية بمثابة مد لفكرة الدولة الكوميونية التى تتمركز حول عائلة التينو Tenno اليابانية وتضم كافة المجتمعات الآسيوية. ومن أجل تحقيق مديح وثناء على هذه الأيديولوجية الكوميونية استحضر هؤلاء الكتاب أيديولوجية يابانية محلية تؤكد على الروابط العائلية وشبه العائلية باعتبارها أساس التنظيم الاجتماعى. وبالمضى فى هذا المنهج حقق الباحثون فى مدرسة كيوتو تماسكا لمنطق الخطاب المعتمد على فكرة الإلهام أو الوحى الإلهى المستمد من الأساطير اليابانية .الأكثر من هذا تم تطبيق هذا المنطق على الشغف التنافسى الذى تم بين الدول القومية إبان ذروة العصر الاستعمارى.

على هذا النحو ظهر كوماكى كمتعصب وقومى ومركزى فى نزعته العرقية أكثر ما بدا كصاحب توجه آسيوى وحدودى. ومن المفيد العودة إلى مذكرات موراكامى Murakami (Murakami 1993) والتى تحظى بدرجة من الثقة لأن صاحبها بلغ من

العمر ٨٢عام حين أخرجها للنور، ومن ثم لم يكن يقلقه هاجس ردود الأفعال على ما ستكشف عنة مذكراته. يشير موراكامى إلى أن كوماكى ومجموعة كيوتو مارست نفوذا كبيرا على صناعة القرار العسكرى وتكسبوا من الموارد المالية التى وضعها الجيش والسلطات الوزارية تحت تصرفهم. واعتمادا على هذه المذكرات، وعلى عدد من التصريحات المتفرقة التى تركها كوماكى لهذا المؤلف فى ثمانينيات القرن العشرين ,وما قدمه يونيكورا فيما بعد ,فان مجموعة كيوتو الجيوبوليتيكية كانت قد استأجرت مبنى مستقل يقيم عليه حارس خاص، وذلك على مقربة من جامعة كيوتو وعقدت فى هذا المبنى لقاءات دراسية أسبوعية. كما تلقت المجموعة الدراسية عقودا من هيئة الأركان العامة، والتى كانت مهتمة للغاية بالتكتيكات العسكرية فى ضوء الهجوم على سنغافورة عبر شبة جزيرة ماليزيا فى عام ١٩٤١. وعملية نيو غينيا فى ١٩٤٢. وعمليات جنوب الصين فى ١٩٤٣. ثم فى النهاية عمليات ١٩٤٥ التى كانت تتوقع الإنزال البحرى للقوات الأمريكية، إضافة إلى اهتمام هذه الهيئة العسكرية باستراتيجيات الدفاع المتعلقة بجزيرة كيوشو اليابانية. وليس من الواضح إلى أى مدى تبنت المؤسسات العسكرية المقترحات التى قدمتها مجموعة كيوتو الجيوبوليتيكة ,لكن المؤكد أن ضباط رفيعى المستوى كانوا يشاركون فى لقاءات هذه المجموعة فى ذلك المبنى القريب من الجامعة ,ومن ثم فلا يشكك أحد فى أن العلاقة بين الجيش والمجموعة كانت علاقة وثيقة. وقد حصل بعض من الأعضاء الشبان فى هذه المجموعة فيما بعد على رواتب من جامعة كيوتو ,كما واصلوا تجميع عدد من الكتب والأبحاث فى ذلك المبنى المخصص لهم ,قبل أن يتم بيع كل شئ عقب استسلام اليابان مباشرة فى عام ١٩٤٥.

وإلى اليوم لم يتم العثور على الدلائل الأرشيفية التى تربط علاقة مدرسة كيوتو للجيوبوليتيك والمؤسسات الحربية، ولعل اكتشاف مثل هذه المصادر والبحث عن هذه العلاقة والوصول فى النهاية إلى تحليل حول محتويات تلك الوثائق والأوراق، لمهمة تستحق فى حد ذاتها عملا مستقلا.

البعد الاجتماعي في الخطاب الجيوبوليتيكي الياباني

كان لمدرسة كيوتو دون شك بعدا اجتماعيا ,ليس فقط لأن "بيان الجيوبوليتيك الياباني" الذى قدمه كوماكى كان يحظى باطلاع واسع من قبل القراء، على نحو ما شهد كوماكى نفسه على ذلك (Komaki 1944) بل أيضا لأن هذه المدرسة حققت ارتباطا بالمؤسسة العسكرية على نحو ما أشرنا. كما أنه ليس هناك من شك فى وقوع تنافس بين كل من مدرسة كيوتو الجيوبوليتيكة ورابطة الجيوبوليتيكيين فى طوكيو. ففى نوفمبر من عام ١٩٤١ كانت رابطة الجيوبوليتيكيين اليابانيين قد تأسست فى طوكيو ,وبين يناير١٩٤٢ وحتى نوفمبر ١٩٤٤ نشرت هذه الرابطة دورية "تشيرجاكو" الشهرية (صدر منها خمسة أعداد فقط فى ١٩٤٤ نتيجة العجز فى ورق الطباعة). وقد ظهر من بين أسماء المجلس الاستشارى والتحريرى لهذه الدورية عدد من أسماء الجغرافيين والاقتصاديين والمحاميين والسياسيين والصحفيين وبعض المسؤولين العسكريين. كما ضمت الأسماء مترجمين لأعمال هوسهوفر مثل جوجى إزاوا Ezawa إضافة إلى أولئك الذين كانت لديهم وجهات نظر نقدية تجاه الجيوبوليتك الألمانى، مثل هيروشو ساتو Satoوالذى عرّف القراء اليابانيين بأعمال ويتفوجيل .Wittfogel ومن بين أسماء الهيئة الاستشارية لمدرسة كيوتو الجيوبوليتيكة نعثر فقط على اسم جورجو ايشيباشى .Ishibashi كان ايشيباشى أستاذا سابقا لكوماكى ولكنه كان خارج مجموعة كوماكى الجيوبوليتيكة نظرا لحالته الصحية، ونظرا كذلك لاختلافه الأيديولوجى مع كوماكى. ولم تكن دورية مدرسة كيوتو تضم إسهامات من أعضاء المجموعة ,ولم تضم الأوراق العديدة التى نشرتها تلك الدورية - والمؤكدة على ضرورة تأسيس جيوبوليتيكا يابانية - على أية إشارة لكتابات كوماكى ولا كتابات أعضاء مدرسته. والبحث الوحيد الذى نشر فى المجلة ويشير إلى "بيان" كوماكى كان تلك الورقة التى ناقشت النهضة الاقتصادية لجزر أوكى Oki النائية ونشرت فى عام ١٩٤٣ .

ويؤكد الإعلان التأسيسى - المطبوع فى الصفحة الأولى من كل عدد من دورية "تشيرجاكو" الصادرة من طوكيو - على أنه " صار اليوم الدفاع عن أرضنا الأم وخوض حرب من أجل بقاء شعوب الشرق الآسيوى الكبير مهمة ذات أهمية وضرورة

عالمية. فالجيوبوليتيك ,الذى يمثل القاعدة الأساسية لدماء الشعب و أرضه ,تستحق أن تدرس بشكل أكثر عمقا وبإنجاز أعظم (Japan Associataion of Geopolitic 1941 وعلى هذا النحو كانت الأوراق التى ضمتها هذه الدورية تقدم فى معظمها وصفا للجغرافيا السياسية والجغرافيا التاريخية للمناطق التى كانت ذات أهمية استراتيجية خلال الحرب العالمية الثانية. ولم تكن هناك إسهامات ذات نزعة مرتبطة بأساطير الشنتو أو الإلهام الحدسى (الربانى) الذى انتشر بوفرة فى كتابات مدرسة كيوتو الجيوبوليتيكية. على الجانب الآخر ,لم يكن هناك دليل على أن كتّاب هذه الدورية يمارسون أى نفوذ أو تأثير على صناعة القرار فى هيئة الأركان العامة والمؤسسات الحكومية.

ورغم أن رئيس الرابطة كان الأدميرال يوشيتيك يودا Ueda إلا أن الدورية احتوت على عدد قليل للغاية من إسهامات العسكريين. ورغم الإعلان التأسيسى القوى لهذه الرابطة إلا أنه يبدو أن أعضاء الرابطة لم تكن لهم سوى أهمية "هامشية" فى المجتمع (انظر Watanuki 1941).

وتعتبر الكتب المدرسية مثالا لبعض أبرز الوسائل فعالية لتمكين أيديولوجية الدولة وبناء القومية. ويعد هذا مثالا واضحا فى الحالة اليابانية ,التى شهدت منذ عام ١٩٠٣ إعداد الكتب المدرسية تحت إشراف وزارة التعليم (Takenchi 1998) وأنظر كذلك شكل (٦) (١).

ففى الكتب المدرسية الخاصة بالمجتمع المدنى والمواطنة نجد تأكيدا على السمة المميزة للسياسة اليابانية المبنية على التينوية .Tennoismكما أن كتب الجغرافيا التى وضعت فى عام ١٩٣٠-١٩٣١ احتوت وصفا جديدا للأقليات العرقية فى اليابان. حيث جاء فيها "هناك نحو٩٠ مليون نسمة يحملون الجنسية اليابانية 20 ,مليون منهم كوريون, وأربعة ملايين وثلاثمائة ألف نسمة صينيون وأكثر من ١٠٠,٠٠ ذوو أصول فرموزية (تايوانية) وعدد محدود من الإينو Ainu فى هوكايدو وسخالين. ولا يمنع هذا التنوع من أنهم يدينون جميعا بالطاعة لإمبراطور اليابان (من كتاب الصف الخامس, صفحه٢٣).

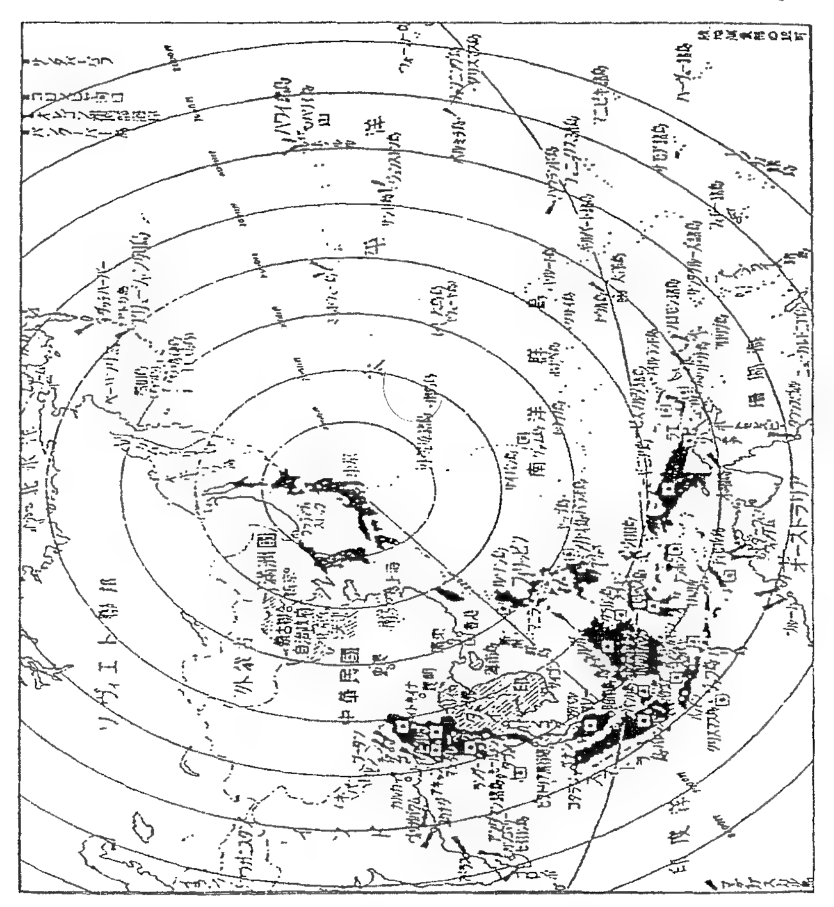
أما كتب الجغرافيا المؤلفة لطلاب المرحلة الابتدائية فى عام١٩٣٨ - ١٩٣٩ فتصور الوضع الجديد الذى ظهر نتيجة الغزو اليابانى لمنشوريا فى ١٩٣٢. وغزو الصين ١٩٣٧, ورغم هذا التصوير والوصف الجديد لم تقدم هذه الكتب تغطية معرفية أوسع للطلاب بقدر ما عكست الاعتراف الفكرى لمواقع جديدة ضمها التوسع الإمبراطورى لليابان. ولم يظهر هذا الشكل الإمبريالى من توظيف الجيوبوليتك بشكل واضح سوى فى طبعة عام ١٩٤٣-١٩٤٤ للكتب المدرسية الجغرافية للصف الخامس والسادس الابتدائى. أما جغرافية الدول الأجنبية فكانت قاصرة على دول شرق وجنوب شرق آسيا وجزر المحيط الهادئ (الإقيانوسية) وهى الدول المكونة لـ" مجال الازدهار المشترك للشرق الآسيوى العظيم". وبدلا من أن يعرض غلاف كتاب الجغرافيا للصف السادس الخريطة المعتادة المصممة حسب مسقط ميركيتور تم اعتماد مسقط آخر يضع اليابان فى مركز نظام الإسقاط. وتم وصف الموقع الجغرافى لليابان على أنه "ملائم لمد اليابان نفوذها شمالا وجنوبا"والى جانب التأكيد على مميزات الموقع الجغرافى لليابان لم يكن هناك تفسيرات بيئية أو عرقية للمستعمرات اليابانية بل تم إطراء المديح بالإنجازات التى حققها اليابانيون فى الأراضى التى استعمروها. ومن اللافت للانتباه أن الخريطة التى ضمت "مجال الازدهار المشترك للشرق الآسيوى العظيم" والذى تتوسطه اليابان، كانت نسخة من خريطة طبعت على الصفحة الأخيرة من كل عدد من أعداد دورية "تشيرجاكو" التى كانت تصدرها رابطة الجيوبوليتيكيين اليابانيين (راجع شكل ٥) .

وقد أحاط السياسيون اليابانيون أنفسهم بعدد من العلماء المرموقيين ,الأمر الذى جعل للخطاب الجيوبوليتيكى تأثيرا كبيرا على السياسة فى اليابان خلال النصف الثانى من ثلاثينيات القرن العشرين. وقبيل بدء أنشطة مدرسة كيوتو للجيوبوليتيك وتأسيس رابطة الجيوبوليتيكيين فى طوكيو فى عام ١٩٣٨ أعلن رئيس الوزراء اليابانى فوميمارو كونويو Konoe عن "نظام سياسى جديد فى شرق آسيا " يسعى إلى إرساء نظام سياسى جديد فى اليابان ومانشوكو والصين ويستدعى الحس "الآسيوى الوحدوى "فى الشعب اليابانى (Hatano 1980)

ووفقا للتحليل الذى خلص إلية ميوا (Miwa 1981) فإنه فى أثناء الفترة التى قدم فيها كونويو فكرته عن "النظام الجديد فى شرق آسيا " كان متأثرا بشدة بمجموعة فكرية عرفت باسم شوا كينكوكاى Showa Kenkenyaukai مجموعة بحثية سرية لدراسة فترة الاستنارة السلمية المعروفة باسم فترة شوا (Showa وكانت الشخصية الرائدة فى هذه المجموعة مساميتشى روياما Royama أستاذ العلوم السياسية فى جامعة طوكيو الإمبراطورية أولا وفى جامعة كيوتو الإمبراطورية فيما بعد. وقد نشر روياما بحثين (Royama 1938,1939) أشار فيهما بشكل دفاعى عن "أن التوسع اليابانى ليس استعمارا بل توسع إقليمى من أجل الدفاع والتنمية". بل اقتبس مفهوم "المجال الحيوى القومى" والذى كان استعارة حرفية من مصطلح المجال الحيوى Lebensraumفى الجيوبوليتيك الألمانى، وكان المجال الحيوى القومى لدى روياما يعنى "مفهوما جيوبوليتيكيا ،وليس مجرد عبارة تنتمى إلى مصطلحات القانون الدولى أو العلوم السياسية ...وفى السياسات الدولية الحقيقية فإننا نجد أن إنجلترا وفرنسا ليس بوسعهما إنكار المطالب الألمانية التى تطورت من خلال هذا المصطلح "(Royama 1938)

وفى بحثه عن الجوانب الثقافية للنظام العالمى الجديد فى الشرق الآسيوى والذى قدمه عام ١٩٤٠ أكد روياما على النسبية أو التعددية فى الثقافة العالمية، وإن كان قد أقر بسيادة الثقافة المادية الغربية. وعلى هذا كان روياما مخالفا للمنهج الشوفونى آنذاك الذى رفع الثقافة اليابانية إلى أعلى مرتبة فى آسيا. وأكد روياما على الحاجة لتحقيق تكاتف وتكامل بين الأمم فى شرق آسيا. وفى مساهمته فى موسوعة العلوم الاجتماعية بمادة معلوماتية عن الجيوبوليتيك عبر روياما عن نفسه بشكل إيجابى معترفا بفائدة المنهج الجيوبوليتيكى فى تحليل واقع العلاقات الدولية حتى وإن كان قد أنكر وجود الجيوبوليتيك كتخصص علمى مستقل. وفى أغسطس ١٩٤٠ أعلن وزير الخارجية يوسوكو ماتسيوكا Matsuokaعن سياسة " مجال الازدهار المشترك للشرق الآسيوى العظيم" كتطوير لمفهوم "النظام الجديد فى الشرق الآسيوى " وتبعا لفوكوشيما ((Fukushima 1997فإنه باستخدام هذا المفهوم تم دفع الجيوبوليتيك إلى المقدمة وذلك من أجل التمهيد للاعتراف بالارتباط الحتمى بين دول جنوب آسيا ودول

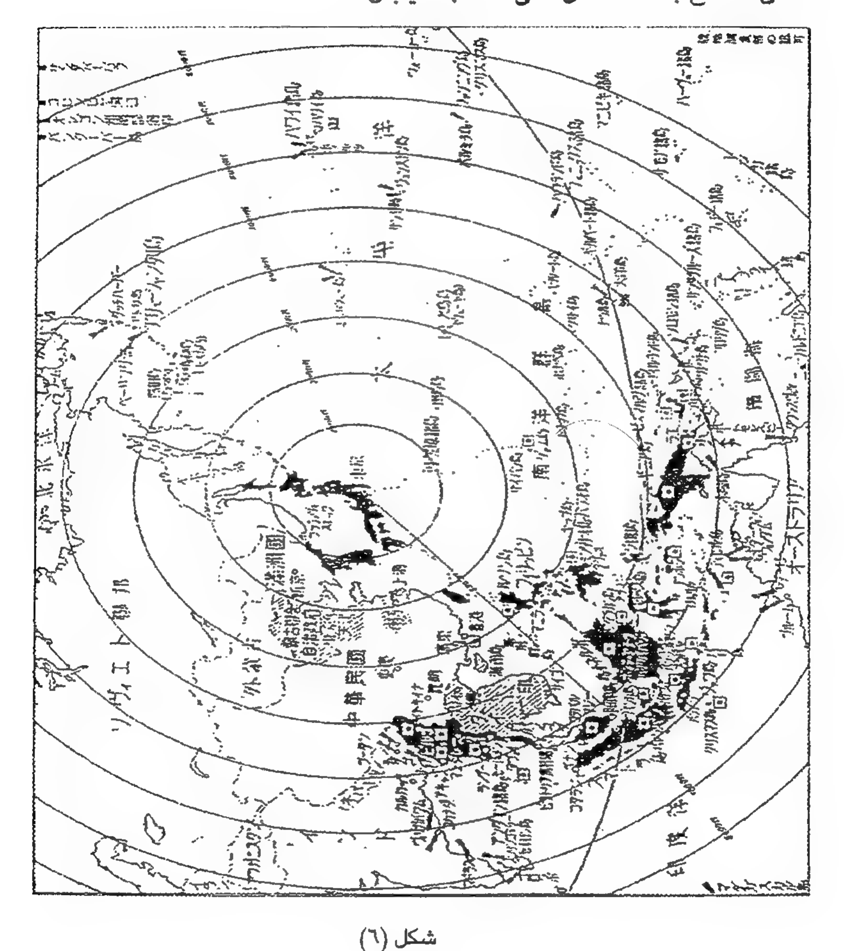
شرق آسيا. وفيما بعد اعتراف مياوا بأن فهم روياما الإقليمى لـ"التجمع الاقتصادى فى شرق آسيا "كان دوما مختلفا عن الفهم العاطفى الآسيوى لما سمى " مجال الازدهار المشترك للشرق الآسيوى العظيم" وذلك لأن الأول بنى على العقلانية الاقتصادية الصرفة (Miwa 1981,Takahashi 1980).



شكل (٥) " مجال الازدهار المشترك للشرق الآسيوى العظيم"

المصدر:"دورية تشيرجاكو" العدد ٢ رقم ٩ .

تشير المناطق المظللة باللون الأسود إلى مناطق استعمرتها اليابان بعد ديسمبر ١٩٤١ . وتعبر الدوائر الحلقية عن التقدم التدريجي بالسنوات. وتعرض هذه الخريطة لأقصى اتساع بلغته المناطق التي ضمتها اليابان.



شكل (٦)

" مجال الازدهار المشترك للشرق الآسيوي العظيم" حيث اليابان في المركز.

المصدر :كتاب الجغرافيا المدرسي للصف السادس، وزارة التعليم ١٩٤٤ .

وحتى تتجنب مدرسة كيوتو الجيوبوليتيكة النقد الذى يمكن أن يوجه إلى اليابان واعتبارها دولة إمبريالية لا تختلف عن القوى الغربية ،تخلت هذه المدرسة عن التبرير المنطقى وهربت إلى ما يمكن فقط أن يوصف بأنه خطاب رومانسى متضمنا مناقشات لتراث اليابان الروحى "الحقيقى" ذى الطبيعة الإلهامية ،وهو ما جعلها تستمد دعما من أصحاب التوجهات القومية المتطرفة فى الجيش . فى المقابل شعر رئيس الوزراء "كونويو" كسياسى بميل لاختبار الطبيعة المتطرفة للمجموعة العسكرية، بينما كانت مجموعة "مستودع العقول" التى تحيط به قد أظهرت تعاطفا مع منهج التسويغ الجيوبوليتيكى ،بل وتبنته فعليا ،وذلك خلال البحث عن عقلانية اقتصادية وسياسية فى مجال العلاقات الدولية على نحو ما وجدنا فى حالة روياما.

وكانت النتيجة التى تحققت لاحقا هى صعوبة تمييز أنفسهم عن الإمبرياليين الغربيين وسياساتهم. وخلال الفترة التى انتهت بالكارثة الختامية التى شهدها عام١٩٤٥ - حين تقدم القوميون المتطرفون اللاعقلانيين إلى الصدارة - سرعان ما فقد هؤلاء المفكرون الأرضية التى يقفون عليها وتم اعتقال أغلب الأعضاء فى مجموعة شوا Showa . وكان هيدمى أوزاكى Ozaki أحد هؤلاء المعتقلين، وتم إعدامه بعد اتهام بضلوعه فى قضية سورج Sorge والتى تضمنت تسريب معلومات إلى موسكو. ويبدو أن السبب الرئيسى الذى أدى إلى فشل أعضاء رابطة الجيوبوليتيكيين اليابانيين والمساهمين فى دورياتها من تحقيق ترابط اجتماعى كممارسين للجيوبوليتيك يتمثل فى منهجهم الذى يجمع بين المتناقضين فى علاج التناقض الأساسى الكامن فى الجيوبوليتيك اليابانى. فمن ناحية ،كانوا مكرهين على الاعتماد على المثل الرومانسية أو الأصولية مع التأكيد من فترة لأخرى على توجه لاعقلانى وقومى متطرف أو آسيوى عاطفى، بينما كانوا من ناحية أخرى مضطرين للعثور على مخرج من الصعوبات السياسية والاقتصادية التى واجهتها اليابان خلال بحثها عن الواقعية. وقبيل نهاية حرب المحيط الهادئ كان البحث عن العقلانية قد أصابته انتكاسة، ووجد الرومانسيون أنفسهم فى ذات الوقت مساقين لصياغة مصيرهم مع اليابان ذات التوجه الحربى.

وتعبر الكوميديا السوداء للجيوبوليتيك اليابانى عن نفسها فى سلوك التفكير البهلوانى الذى اضطرت المناهج الجيوبوليتيكة التابعة أن تسلكه خلال مسار التمييز بين هذين الوضعين ,رغم إنها لم تصل مطلقا إلى قرار نهائى بشأن تلك المفاضلة.

مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية

بعد هزيمة اليابان فى الحرب العالمية الثانية اضطرت الشخصيات الرئيسية فى مدرسة كيوتو للجيوبوليتيك والشخصيات البارزة فى رابطة الجيوبوليتيكيين اليابانيين إلى الاستقالة من مناصبهم أو تعرضوا للفصل الوظيفى بأمر من قوات الحلفاء. واستمر هذا الوضع حتى نهاية الاحتلال فى ١٩٥٢ . ومازال الغموض يكتنف إجراءات الفصل الوظيفى خلال تلك الفترة. لقد كانت سلطات احتلال الحلفاء مهتمة للغاية بالظروف الاجتماعية والسياسية فى المؤسسات والدوائر الأكاديمية، غير أنها نادرا ما اهتمت بأى تقييم علمى للممارسات الجيوبوليتيكة اليابانية. وفى بعض الحالات تمكنت بعض الشخصيات البارزة فى المناصب العسكرية اليابانية ـ ممن كانوا ذوى نفوذ فى مجال عملهم ـ من الاحتفاظ بوظائفهم. وقد اتبعت قوات الحلفاء نظام الحصص فى كل مؤسسة حين كانت تقرر عدد الأشخاص الواجب طردهم. وكان الشخص الذى يفتقر إلى النفوذ الاجتماعى والسياسى يقدم ككبش فداء، ولم يفقد وظيفته فحسب بل وحياته أيضا. وان كانت الدراما الحقيقية للجيوبوليتيك اليابانى قد تمثلت فى أن الملابسات التى تشكلت عقب الحرب العالمية الثانية قد أدت بالجيوبوليتيك لأن يصبح فى بؤرة المحرم والمغلق (التابو). وبالتالى لم تشهد اليابان نقدا جادا للنظريات الجيوبوليتيكية ولا تحليلا فعليا للممارسات الجيوبوليتيكة التى جربت فى البلاد خلال ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين .(Uno 1981) وكان الانطباع الغالب فى المحيط الثقافى هو أن الجيوبوليتيك قد لفظت أنفاسها. وحين كان يتم الإشارة إلى "الشؤون الجيوبوليتيكه"كان يفهم من ذلك أحداث قاصرة على الماضى. بل إن دراسات الجغرافيا السياسية على العموم قد تعرضت للإهمال لدرجة الانكسار والذبول، وهو ما توازى مع الانطباع بموت الجيوبوليتيك بشكل عام.

ومع نهاية احتلال الحلفاء لليابان فى ١٩٥٢ ، وجد معظم الشخصيات الجيوبوليتيكية وظائف فى الجامعات والمعاهد التى أنشئت حديثا ،واستمروا يمارسون نفوذهم على المستوى الاجتماعى والأكاديمى. لكن ستارًا من الصمت قد أسدل على مساهماتهم الجيوبوليتيكية الماضية. ولم يكتب أى منهم تقريبا شيئا أو أسهم بالحوار فى شئ يتعلق بالممارسات الجيوبوليتيكية خلال ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين. وبدلا من ذلك جرت محاولات سرية لعرقلة تأليف أو نشر أية بحوث نظرية أو نقدية عن الجيوبوليتيك اليابانى ،على نحو ما جرى مع الجيوبوليتيك الألمانى (انظر على سبيل المثال Troll 1947). ومع ذلك ترك الجيوبوليتيك اليابانى أثاره على الأنشطة الخاصة والعامة التى قام بها المساهمون السابقون فى هذا الحقل. فقد حصل كوماكى على درجة الأستاذية وصار رئيسا لجامعة شيجا الوطنية ،ولكنه مع ذلك لم يقدم سوى إسهامات فكرية محدودة ،باستثناء ما كتبه عن الخصائص الجغرافية والتاريخية المحلية لمقاطعة شيجا وذلك قبيل وفاته فى ١٩٩٠ . وقام كثير من تلاميذه السابقين - ممن خصص لهم كوماكى مناطق دراسية تطبيقيه - باستعادة أعمالهم الجغرافية فى الدول الأجنبية، وحققوا مناصب رفيعة فى المجالات الدراسية التى عملوا فيها ،لكن دون العزف على النغمة الجيوبوليتيكية القديمة. ونذكر منهم بيكى Bekki فى جنوب شرق آسيا ،وميكامى فى الاتحاد السوفيتى ويونيكور الذى غير منطقة دراسته من الصين إلى الهند نتيجة الصعوبات التى تعلقت بإجراء الدراسات الحقلية فى الصين. أما إزاوا - الذى كان مترجما لأعمال هوسهوفر ومؤلفا للعديد من الأوراق البحثية فى دورية "تشيرجاكو" - فقد استمر مجسدا لمفهوم التناقض فى الجيوبوليتيك اليابانى حيث جمع بين الأساطير الشامانية الوثنية من ناحية، والمفهوم العقلانى فى التحليل المكانى الذى قدمه استشر Escher من ناحية ثانية. وبعد استعادة إزاوا لمكانته حصل على درجة الأستاذية فى الجغرافيا الاقتصادية فى جامعة خاصة ،واصبح مسئولا عن البحث العلمى الإقليمى فى اليابان. وقد انتخب فيما بعد رئيسا لرابطة الجغرافيين الاقتصاديين اليابانيين وأكمل بالتالى تحوله الفكرى من الجيوبوليتيك إلى الجغرافيا

السياسية. أما بعض الشخصيات الأخرى الممثلة للجيوبوليتيك اليابانى مثل هيروشو ساتو Sato ونوبيوتى ليموتو Limoto فقد نجت من الفصل لأسباب غير معروفة، ولكنهم لم ينشروا أية أوراق بحثية فى الجيوبوليتيك أو فى الجغرافيا السياسية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية .

وفى عام ١٩٥٧عقد فى اليابان المؤتمر الإقليمى للاتحاد الجغرافى الدولى، وكان ذلك أول حدث من نوعه ينظمه الجغرافيون اليابانيون بعد عقدين كاملين من الانعزال الثقافى. كان انعقاد الاتحاد الجغرافى الدولى حدثا كبيرا دعم من التطور الذى ستشهده الدراسات الجغرافية فى اليابان خلال العقود التالية. وقد ضمت قائمة المتحدثين والمنظمين للمؤتمر والقائمين على الرحلات الميدانية أسماء عديدة ومعروفة بدورها فى "الشئون الجيوبوليتيكية" فضلا عن ممارسى الجغرافيا الذين عملوا خلال حرب الخمسة عشرة سنة ,وفى مقدمتهم فوميو تادا Tada، والذى كان آنذاك نائبا لرئيس الاتحاد الجغرافى الدولى ,وشارك فى بعثات علمية عديدة فى القارة الآسيوية وخاصة فى منغوليا الداخلية. وكان هناك أيضا روزيرو إيسدا Isida وتاييجى يازاوا Yazawa واللذين كانا المحركان الأساسيان للمؤتمر، وشغل كل منهما على التوالى عضوية اللجنة البحثية التى توجهت إلى سنغافورة، التابعة آنذاك لليابان ,وكذلك حصلا على رتبة ضابط فى القوات البحرية وذلك فى أعمال الحديد والصلب فى كل من اليابان وجنوب شرق آسيا. ومن الأسماء أيضا سوكى ياماموتو Yamamoto المتخصص فى الهيدرولوجيا فى قسم الأبحاث فى شركة سكة حديد منشوريا الجنوبية.

وقد شارك بأوراق بحثية فى هذا المؤتمر عديد من الجغرافيين الذين استعادوا مكانتهم، مثل جيرو يونيكورا Yonekura الذى قاد بعد انتهاء المؤتمر رحلة علمية اتجهت إلى مختلف أرجاء اليابان. وقد مثل هذا الحدث للجغرافيين اليابانيين ـ المهتمين بالممارسات الجيوبوليتيكية والخبرات السابقة فى المستعمرات اليابانيه ـ حدثا مهما لتطوير التواصل الوجدانى مع نظرائهم على المستوى الدولى.

وفى منتصف الخمسينيات نجح الاقتصاد اليابانى فى استعادة عافيته والوصول إلى معدلات ما قبل الحرب ,واعتبر العقد التالى خلال ستينيات القرن العشرين بمثابة فترة النمو الاقتصادى السريع حيث تضاعف إجمالى الناتج المحلى. وقد تحقق هذا النمو الاقتصادى من خلال تدعيم التوجه اليابانى نحو التصدير عبر القارة الآسيوية. وقد حققت اليابان فى ربع القرن الذى أعقب نهاية الحرب العالمية الثانية توسعا اقتصاديا لم يكن بوسع اليابان الإمبريالية تحقيقه بالوسائل العسكرية. وفى عام ١٩٦٢ تم تأسيس معهد الاقتصاد النامى كمؤسسة متفرعة عن وزارة التجارة الدولية والصناعة. وقد ضم هذا المعهد عددا من الجغرافيين ولعب دورا فى البحث الاجتماعى والاقتصادى فى الدول الأجنبية خاصة فى دول العالم الثالث. ولم تكن أبحاث هذا المعهد مرتبطة بشكل مباشر بالتوسع الاقتصادى اليابانى ,ولم يقدم هذا المعهد دعما مباشرا لنظام التوسع الاقتصادى لليابان وان كان من الضرورى الإقرار بأن الدراسات الإقليمية التى قام بها الجغرافيون اليابانيون فى الدول النامية قد تأثرت بعلاقة الاقتصاد اليابانى بهذه الدول، كما ارتبطت أبحاث هذا المعهد والدور الذى لعبه بنظام الحصص المقتطعة فى توزيع المنح المالية العامة والخاصة التى قدمتها الحكومة اليابانية للدول النامية.

وعلى نحو ما ناقشنا سابقا فانه فى ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين كان هناك عدد كبير من الجغرافيين ذوى مواقف نقدية أو على الأقل يرغبون فى التعاون مع الممارسات الجيوبوليتيكية التى تخدم مصالح اليابان الاستعمارية والعسكرية. لكن مع ذلك وجد هؤلاء أنفسهم لاحقا مجبرين على الاستسلام لهذه المصالح ,ومن أجل الحفاظ على مظهر خارجى من النقد الفكرى لجأوا إلى منهج تفكير بهلوانى كالذى أشرنا إليه من قبل. وخلال نصف القرن الماضى تخلت الأيديولوجيا السائدة فى الدولة - والتى تمحورت حول فكرة المصالح الاقتصادية العليا المتوقفة على مصالح المؤسسات التجارية الكبرى - عن السعى نحو المنهج المتعصب أو القومى المتطرف أو الجمود العقائدى العسكرى الذى عرفته اليابان الاستعمارية، وذلك بعد ما تعيشه اليابان اليوم

من حرية للكلمة ويقوم فيها نظام سياسى ديموقراطى. ورغم هذه الظروف السانحة لم يقدم نقد من قبل الجغرافيين اليابانيين لصياغة معالم الرأسمالية فى اليابان والنظام الاقتصادى الجديد الذى جلبه المارد الاقتصادى الذى تمثله اليابان اليوم.

ويعوزنا اليوم تحليل ونقد بناء للآليات المختبئة لهذا النظام الاقتصادى الجديد والتى ينفذها أولئك الذين تدربوا على نشر ذلك النظام أو أولئك الذين تقوم وظائفهم على تقديمه ودعمه.

وتبقى هناك رغبة كبيرة لدراسة نقدية للاتجاهات والسياقات التى اتخذتها الجيوبوليتيك فى اليابان خلال ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين، ولسوء الحظ يعانى كثير من الجغرافيين من الوقوع فى فخ الانشغال والتورط فى جيوبوليتيكيات تحمل أسماء جديدة متعلقة بالنظام الاقتصادى الجديد. ولابد من رغبة عبقرية ودرجة ما من الشجاعة للقيام بتحليل نقدى موضوعى وأمين. ولا يبقى سوى أن تستحضر القول المأثور "من ذا الذى سيلقى بالحجر الأول".

الهوامش

(١) رغم تدنى درجة وضوح شكلى ٤،١٥ و٦ إلا أننا عرضناهما هنا كى نعطى مؤشرا حول توجهات التعليم والفكر الجيوبوليتيكى اليابانى فى ذلك الوقت.

قائمة المراجع

Abdel-Malek, A. (1977) 'Geopolitics and national movements: an essay on the dialectics o imperialism', *Antipode* 9 (1) : 28–36.

Abe, I. (1933) *Chiseigaku nyumon*, Tokyo: Kokon-Shoin.

Ezawa, J. (1938) *Keizai chirigaku no kisoriron; shizen, gijutsu, keizai*, Tokyo: Nankosha.

——— (1943) *Kokudo no seishin*, Tokyo: Shinchosha.

Fujisawa, C. (1925) 'Rudolf Kjellén no kokka ni kansuru gakusetsu', *Kokusaiho Gaiko Zassh* 24:155-175.

Fukushima, Y. (1997) 'Japanese geopolitics and its background: what is the real legacy o the past?', *Political Geography* 16: 407–21.

Hatano, S. (1980) 'Toa shinchitsujo to chiseigaku', in K. Miwa (ed.) *Nihon no 1930nendai* Tokyo: Saikokusha.

Haushofer, K. (1925) *Geopolitik des pazifischen Ozeans. Studien über die Wechselbeziehunge zwischen Geographie und Geschichte*, Berlin: Kurt Vowinckel Verlag.

Iimoto, N. (1928) 'Iwayuru chiseigaku no gainen', *Chirigaku Hyoron* 4: 76–99.

——— (1935) *Seijichirigaku kenkyu*, Tokyo: Kokon-Shoin.

——— (1941) *Seijichirigaku kenkyu*, Tokyo: Chukokan.

Iizuka, K. (1942/43) 'Geopolitik no kihonteki seikaku(1),(2), (3)', *Keizai Ronso* 12 816–44, 13: 288–314, 486–96.

Ishibashi, G. (1927) 'Seiji chirigaku to chiseigaku', *Chigaku Zasshi* 500: 611–14.

Iwata, K. (1942) 'Chiseigaku to senso', *Chirigaku Kenkyu* 1 (1): 1–15.

Jacobsen, H.-A. (1979) *Karl Haushofer: Leben und Werk, Band I Lebensweg 1869–1946 und aus gewählte Texte zur Geopolitik*, Boppard am Rhein: Boldt.

Japan Association of Geopoliticals (1941) 'Sengen', *Chiseigaku* 1 (1): 1.

Kjellén, R. (1916) *Staten som Lifsform*, Stockholm: H. Geber.

Komaki, S. (1940a) 'Nihon chiseigaku no shucho', *Chiri Ronso* 11: 3–6.

——— (1940b) *Nihon chiseigaku sengen*, Kyoto: Kobundo.

——— (1942) 'Daitowa no chiseigakuteki gaikan', *Chirigaku* 10 (4): 1–8.

——— (1944) *Nihon chiseigaku oboegaki*, Tokyo: Akitaya.

Maull, O. (1925) *Politische Geographie*, Berlin: Gebrüder Borntraeger.

Minamoto, S. (1984) 'Shiga Shigetaka, 1863–1927', *Geographers: Bibliographical Studies* 8 95- 105.

Miwa, K. (1981) '"Towa shinchitsujo" sengen to "Daitowa kyoeiken" Koso danso', in K Miwa (ed.) *Saiko Taiheiyo senso zenya. Nihon no 1930nendai-ron to shite*, Tokyo: Soseiki.

Murakami, T. (1993) *Kaiso wa tsuzuku*, Kobe: private publication.

Nagasawa, K. (1973) *Nihonjin no boken to tanken*, Tokyo: Hakusuisha.

Ogawa, T. (1930) 'Jimmon chirigaku no ikka to shite no seiji chirigaku', *Chikyu* 9 : 239-47

Ohara, K. (1936) *Shakaichirigaku no kisomondai*, Tokyo: Kokon-Shoin.

——— (1940) 'Geopolitik no hatten to sono gendaiteki kadai', *Shiso* 221: 391–404.

Royama, M. (1938) 'Towa kyodotai no riron', *Kaizo* 11: 6–27.

—— (1939) 'Sekai shinchitsujo no tenbo', *Kaizo* 11: 4–24.

—— (1940a) 'Toa shinchitsujo to shinbunka no sozo', 120–42 in *Kigen 2600nen kinen shin Toa kensetsu. Tokyo kondankai tokubetsu ronbunshu*, Tokyo: Tokyo Shiyakusho.

—— (1940b) 'Chiseigaku', 52–60 in I. Nakayama, K. Miki and K. Nagata (eds) *Shakaikagaku Shinjiten II*, Tokyo: Kawade Shobo.

Sasaki, H. (1927) 'Geopolitik to economic geography', *Chirigaku Hyoron* 3: 361–3.

Shiga, S. (1887) *Nanyo jiji*, in Shiga Shigetaka Kankokai (ed.) *Shiga Shigetaka zenshu*, Tokyo: Maruzen.

Takahashi, H. (1980) '"Toa kyodo tai-ron": Royama Masamichi, Ozaki Hidemi, Kada Tetsuji no baai', 50–79 in K. Miwa (ed.) *Nihon no 1930nendai*, Tokyo: Saikosha.

Takeuchi, K. (1974) 'The origins of human geography in Japan', *Hitotsubashi Journal of Arts and Sciences* 15: 1–13.

Takeuchi, K. (1980) 'Geopolitics and geography in Japan: re-examined', *Hitotsubashi Journal of Social Studies*, 12: 14–24.

Takeuchi, K. (1988) 'Paysage, langage et nationalisme au Japon du Meiji', 172–84 in G. Zanetto, (ed.) *Les langages des représentations géographiques. L'acte du colloque international tenu à Venise, 15 et 16 octobre 1987, vol.II*, Venice: Université de Venice.

Takeuchi, K. (1994a) 'The impact of the Japanese imperial tradition and Western imperialism on modern Japanese geography', 188–206 in A. Godlewska and N. Smith (eds) *Geography and Empire: Critical Studies in the History of Geography*, Oxford: Blackwell.

—— (1994b) 'Nationalism and geography in modern Japan: with special attention to the period between the 1880s–1920s', in D. Hooson (ed.) *Geography and National Identity*, Oxford: Blackwell.

—— (in press) 'The formation of geographical images of the outside world in imperialist Japan (Mid-1880s to 1945)', in A. Buttimer, S. Brunn and U. Wardenga (eds) *Text and Image: Construction of Regional Knowledges*, Leipzig: *Institut für Länderkunde*.

Troll, C. (1947) 'Die Geographische Wissenschaft in Deutschland in den Jahren 1933 bis 1945. Eine Kritik und eine Rechtfertigung', *Erdkunde* 1: 3–47.

Tsujimura, T. (1925) 'Seiji chirigaku, Otto Maull', *Chirigaku Hyoron* 1: 814–23.

Uchimura, K. (1894) 'Chirigaku-ko in Uchimura Kanzo shinko-chosaku zenshu', under the title of *Chijinron* 4: 5–105.

Uno, S. (1981) '1930nendai ni okeru Nitchu no shinkinkan to sokoku; "Towa shinchitsujo seimei zengo', in K. Miwa (ed.) *Saiko Taiheiyo senso zenya: Nihon no 1930nendai-ron to shite*, Tokyo: Soseiki.

Watanabe A. (1942) 'Chiseigaku no naiyo ni tsuite', *Chirigaku Kenkyu* 10: 1–14.

Watanuki, J. (1941) 'Geopolitik no kaibo', *Chirigaku* 9 (8): 1–15.

—— (1942) 'Chiseigaku no tenkaisei', *Chirigaku Kenkyu*, 11: 1–8.

Wittfogel, K. A. (1929) 'Geopolitik, geographischen Materialismus und Marxismus', *Unter dem Banner des Marxismus*, 3: 26–64.
Yamaguchi, S. (1943) *Nihon o chushin to suru hankin chirigaku hattatsushi*, Tokyo: Seibido.
Yamamoto, N. and Ueda, Y. (1997) *Fukei no seiritsu: Shiga Shigetaka to Nihon fukeiron*, Osaka: Kaifusha.
Yonekura, J. (1947) *Towa chiseigaku josetsu*, Tokyo: Seikatsusha.



الفصل الخامس

التطورات الجيوبوليتيكية فى إيطاليا الحديثة

ديفيد أتكنسون



تقديم

عادة ما يبدأ المؤرخون تحليلهم للتاريخ الايطالى بمناقشة الجغرافيا أولا، فكثيرا مـا يقـرءون تطور الأمـة الإيطاليـة على أنهـا "رهينة الجـيـوبوليـتـيك" (Bosworth 1996:3,serrs,1989) . فعلى سبيل المثال،افتتح دينيس ماك سميث دراستة المرجعية عن التاريخ الايطالى بمناقشة مبدئية لـ "التعبير الجغرافى "الذى يرى من خلاله أنه"حتى ستينيات القرن التاسع عشر كانت كلمة إيطاليا لا تستخدم للإشارة بالدرجة الأولى إلى أمة بقدر ما كانت تشير إلى شبة جزيرة،كما كتب المستشار النمساوى ميترينخ منتقدا هذا "التعبير الجغرافى". فالتاريخ الايطالى كان محكوما فى بدءه بجغرافيتها. وكثيرا ما كان اللوم يوجه إلى الفقر والتخلف السياسى كعوامل مسؤولة عن سوء إدارة البلاد والاستغلال الأجنبى لها أكثر ما يكون المسؤول عن ذلك العوامل المناخية أو نقص الموارد الطبيعية. ولا نريد الذهاب بعيدا فى الاعتقاد بان أقدار الأمة تتشكل جميعها من خلال ثروتها وموقعها الجغرافى... لكن هذه الخصائص تحدد مع ذلك مجال وحدود الأمة داخل أطر بعينها.

لقد كان مهما على المستوى التاريخى أن جبال الأبناين Apennines تقسم إيطاليا من أعلاها إلى أسفلها (من الشمال إلى الجنوب)كم أن جبال الألب تفصلها عن بقية أوربا ,ولا يمكن إزالة الجبال، ولو بالإيمان"(Mack Smith 1959 :1).

وبشكل مشابة بدأ كريستوفر دوجان Duggan فى دراسته الحديثة عن "مختصر تاريخ إيطاليا"بفصل يحمل عنوان " المحددات الجغرافية للتفكك السياسى" مستهلا هذا الفـصل بالتـقـرير بأن "تاريخ إيطاليـا يرتبط بشكل وثيق بموقـعـهـا الجغرافى"(Duggan،١٩٩٤:٩). وبعد هذا يبدأ دوجان فى تناول الجغرافية الأساسية لشبة جزيرة إيطاليا على النحو التالى:

خط الساحل،الطبوغرافيا و التربة، المناخ، قطع الغابات، الموارد المعدنية، وهى تلك العوامل التى تعزز من السيادة السياسية. ثم يعرج الكاتب على الزراعة والتصنيع والخصائص الديموغرافية. وإضافة إلى ما سبق يعرض كل من سميث وبوجان (وان كانا لا يفسران) ما أسمياه الأهمية "الجيوبوليتيكية " لموقع إيطاليا على البحر المتوسط. وحتى الأعمال الأحدث والتى تعترف بأن الأفكار المتعلقة بإيطاليا هى أفكار اجتماعية المصدر تبدأ مع ذلك بقسم يحمل عنوان" جغرافية إيطاليا"Forgaces and Dickie 1996 ،Lumley 1996). ولو صدقنا ما يقوله المؤرخون ،فان ما هو"جغرافى " و"جيوبوليتيكى" يقدم نظرة ثاقبة على تاريخ إيطاليا. وفى المقابل ومنذ تكوين الدولة الحديثة فى ستينيات القرن التاسع عشر ،ظلت الجغرافيا تخصصا علميا لا تنشغل به سوى الأقلية. ولعل المعارف الجيوبوليتيكية الرسمية التى ينشغل بها الكتاب الذى بين أيدينا لم تلق الاهتمام الكاف حتى الآن. ولذلك سيعطى الفصل الذى أقدمه هنا عرضا مختصرا لحالتين، تمكنت الجيوبوليتيكا من التعبير عن نفسها من خلالهما فى إيطاليا خلال القرن العشرين ،وتمكن الإيطاليون فى تلك الفترة من تطوير تصورات جيوبوليتيكية خاصة بهم. وسأناقش فى هذا الفصل دراسة حالة لدورية "جيوبوليتيكا" Geopolitica والتى نشرت فيما بين ١٩٣٩و١٩٤٢) كما سأعرض بشكل مختصر لدورية لايمس Limes والتى صدرت منذ عام ١٩٩٣). وتعتمد كلتا الدوريتين على الجيوبوليتيكا كطريقة لتفسير العالم من حولنا ،وسعت كلتاهما إلى تطوير فضاء تحليلى (Rose 1995) داخل المجالات الأكاديمية والتعليمية ،وبصفة خاصة داخل المجال الشعبى ،حيث يكون الهدف هو تعليم المواطنين الإيطاليين كيفيه رسم صورة عن جيوبوليتيكيات العالم. إضافة إلى ذلك، تعرض كل دورية قدرا من الأفكار العامة التى سيتناولها الكتاب الذى بين أيدينا. ونظرا للمساحة المحدودة المتاحة لتقديم هذا الفصل، فإن ما سأقدمه سيكون نسخة مختصرة للتراث الجيوبوليتيكى الإيطالى(Antonshich 1997 a, Atkinson 1995, 1996, Vinci 1990)

وخلافا للنهج الذى يتبعه المؤرخون فى دراستهم للجيوبوليتيك كتفسير للتاريخ الإيطالى، سيقدم هذا الفصل الملامح العامة لتطور الجيوبوليتيك فى التاريخ الإيطالى.

الجغرافيات الأساسية فى إيطاليا

ترى مجموعة من الفصول التى يضمها كتابنا هذا أن الفكر الجيوبوليتيكى قد وجد تعبيرات مختلفة وعديدة فى أماكن مختلفة واستمر ذلك عبر الزمن مع إعادة تدوير هذه الأفكار فى كل موقع على حدة. وتعرض الحالة الإيطالية لهذه السمة بشكل مفيد. فعلى الرغم من أن القرن العشرين قد شهد أشكالا مختلفة من الجيوبوليتيك الإيطالى، إلا أن هذه الجيوبوليتيكيات ارتبطت غالبا بالجدل الدولى الأوسع الذى أحاط بالأفكار الجيوبوليتيكية بشكل عام. وكانت هذه الأنماط بمثابة دلالة على ظهور جغرافيه سياسية حديثة فى إيطاليا. ففى ١٩٠٣ قام أورينتو مارينيللى - وهو شخصية رائدة فى تطور الجغرافية الإيطالية - بمناقشة كتاب فردريك راتزل " الجغرافية السياسية" معرفا أهمية هذه الجغرافية وتحليلها المكانى للدولة.كان مارينيللى حذرا تجاه النزعة القومية فى أعمال راتزل، كما صوب نقده لأعمال الجغرافى الفرنسى بول فيدال دى لابلاش. وبدا هذا الفهم الانعكاسى (فى صورة رد فعل) - والذى تناول الأبعاد الذاتية السياسية والثقافية والممتزج فى إنتاج المعارف - مقبولا فى دولة كانت تعتمد غالبا على التراث الجغرافى المستقر على مدار الزمن، والذى أنتجته أمم أخرى وذلك من أجل إبداع ثقافى جديد.

وبالتأكيد فإنه بينما بدأ الجغرافيون الإيطاليون مناقشة الجغرافيا السياسية، فإنهم فعلوا ذلك بوعى يقظ للذاتية القومية لدى المؤلفين الذين عادوا إليهم. وجلبت الحرب العالمية الأولى وما بعدها ضرورة ملحة لهذه العملية. وأدرك بعض الجغرافيين الإيطاليين السياق الذى تحركت منة الجغرافيا بفعل القوى المقارنة الأخرى وسعت إلى تقديم تحليل إيطإلى للحرب وتقديم المطالب الإيطالية فى أحقيتها فى بعض المناطق الجغرافية (Revelli;1916,1918,1919). وتحالف هؤلاء الجغرافيين من أجل جغرافيا سياسية إيطالية تكون لديها القدرة على دعم قضيتهم فى مؤتمر السلم (Barratta 1918,1919. Ricchieri 1920) بل وتقدم أحد الجغرافيين الإيطاليين للحديث أمام الجمعية الملكية فى لندن طاعنا فى الخرائط العرقية التى أعدها جون سفيك Johan

Cvijic لمؤتمر فرساى(Roncagli 1919، (Wilkinosn 1951). وبينما صارت المعارف الجغرافية عبر أوربا مسيسة بشكل مفرط خلال تلك السنوات (Heffernan 1995, 1996, Sander and Rossler 1944) وجدت الجغرافيا السياسية قبولا فى الساحة الإيطالية لأنها كانت تقدم تحليلا واعدا وشاملا لتغير الحدود وظهور الدول حديثة الولادة فى أوربا بعد الحرب العالمية الأولى (Gambi 1994)

وعلى مدى عقد العشرينات من القرن العشرين ,انخرط الجغرافيون الإيطاليون بشكل متزايد فى الجدال الأوربى حول قضايا الحدود، وذلك فى محاولة منهم لتطوير جغرافيا سياسية إيطالية خاصة (Ricchieri 1921,Filippo de Magistris 1923) واهتم الجغرافيون الإيطاليون بشكل كبير بالإنتاج الفكرى الجيوبوليتيكى الفرنسى والألمانى، ووصلوا، مرة أخرى، بحاسة فطرية إلى وضع علامات استفهام حول مكانه البعد الذاتى القومى فى المعارف الأكاديمية (Toniolo 1923 Almagia 1926) وسجل بعضهم تحفظات واضحة على المؤلفين الفرنسيين والبريطانيين والأمريكيين الذين حللوا الجغرافيا السياسية من منظورهم القومى الخارجى، وخاصة فى وقت كان العالم يمر فيه بتوتر دولى (De Marchi 1929) فى وسط الجدل الذى دار بشأن ذلك فى إيطاليا (Migliorini 1930,Tuniolo 1930)، رفض الجغرافيين الإيطاليون الجغرافيا الحتمية الألمانية غير المؤهلة للتفسير والتحليل (De Marchi 1929)

وفى ثلاثينيات القرن العشرين كان موضوع الدولة مقبولا كمادة للبحث والتحليل الجغرافى (AlMagia 19231936 De Mach 1929 Toschi 1937) ومن المهم ملاحظة أن هذه التطورات ارتبطت وتفاعلت مع الجدل السياسى العالمى وفى وسط هذه الأجواء تم استيراد هذه الأفكار الجيوبوليتيكية إلى إيطاليا و أعادة الجغرافيون الإيطاليون تداولها بحسب السياقات الخاصة بهم.

دورية "جيوبوليتيكا" ومفاهيم ما بين الحربين

بشكل متوازى مع ظهور دورية جيوبوليتك الألمانية Zeitschrift Fur Geopolitik، ظهرت الدورية الإيطالية "جيوبوليتيكيا Geopolitica"وصدرت شهريا بين يناير ١٩٣٩

وديسمبر ,١٩٤٢ وكانت تضم أكبر وأبرز الكتابات الجيوبوليتيكية فى فترة ما بين الحربين وفترة الحرب العالمية الثانية التى شهدتها أوربا. لم يكن فى إيطاليا احتكار للفكر الجيوبوليتيكى. فقد نظر بعض الجغرافيين إلى الجيوبوليتيك نظرة شك بينما هاجمها جغرافيون آخرون (Atkinson 1996,Vinci 1990) ومع ذلك تمتعت دورية "جيوبوليتيكيا" بدعم من نظام موسولينى الفاشى، وكانت أكثر مصادر الجيوبوليتيك قوة وتميزا فى زمن إيطاليا الفاشية.

وسأعرض فى الجزء التالى أصول وتطور هذه الدورية سواء فى إقليم تريستا أو فى عموم إيطاليا. وسأعطى بعض الأمثلة لرؤاها الجيوبوليتيكية خلال الحرب العالمية الثانية. وأهدف من وراء ذلك إلى رسم صور عن تطور منهج هذه الدورية من بين معايير مفككة اتسم بها الجدال الجيوبوليتيكى الأوربى، دون إهمال لتأثير السياقات والثقافات التى عاشتها إيطاليا الفاشية. ويساعدنا العرض المتصل فى الفكر الجيوبوليتيكى والتصورات والتفاسير التى ضمتها صفحات تلك الدورية إلى الوصول لفهم أكثر شمولية عن تواريخ الفكر الجيوبوليتيكى فى القارة الأوربية.

أصول الجيوبوليتيكا فى إقليم تريستا

تعود أصول دورية "جيوبوليتيكا" إلى مدينة وميناء تريستا. تقع تريستا على البحر الإدرياتى فى شمال شرق إيطاليا. ورغم أنها دخلت القرن العشرين كميناء رئيسى لإمبراطورية النمسا ـ المجر ,إلا أنها ضمنت أغلبية السكان الإيطاليين. بقيت تريستا لفترة طويلة مثار قلق إيطالى لا ينقطع سعيا وراء إعادتها إلى السيادة الإيطالية. (Millo1987). كانت تريستا واحدة من البلدات الرئيسية التى طالبت إيطاليا بضمها إلى سيادتها خلال مؤتمر السلام الذى عقد فى أعقاب الحرب العالمية الأولى، ووضعت المدينة تحت الإشراف القانونى لروما فى ١٩١٩\(Burgwyn 1993,Goddi 1984). ورغم الاحتفالات الإيطالية الواسعة بـ"استرداد" تريستا ,إلا أن الميناء حين عاد إلى إيطاليا

كان قد فقد فعليا وظائفه الاقتصادية وفقد ظهيرة البرى الداخلى، ودخلت المدينة خلال عقد العشرينات حالة من التدهور المضطرد.

ونتيجة لذلك لقى الأكاديميون فى جامعة تريستا ـ المنشأة حديثا آنذاك ـ دعما من نخبة من رجال الأعمال والنخبة السياسية لتحليل المشكلات الاقتصادية التى تعانيها المدينة. ولأجل هذه الغاية، تم تخصيص وظائف جديدة فى الجامعة فى كل من القانون الدولى والجغرافيا الاقتصادية وهى الموضوعات التى كان ينتظر منها أن تقدم تحليلا وتوجد حلولا لهذه المشكلات (Vinci1990)

وشغل كرسى الجغرافيا الاقتصادية لأجل هذا الغرض جيورجى روليتو Giorgio Roletto الأكاديمى البارز الذى نهل من التراث الجغرافى الفرنسى فى مدينة جرينوبل Grenobele وكتب أعمالا كثيرة عن المجتمعات البشرية فى جبال الألب. وكان روليتو واحدا من المؤسسين للجيوبوليتيك الايطالى (Bonetti 1967,Valussi1965). وقد حظى بهذه السمعة أيضا أرنستو ماسى Massi تلميذه وزميلة فى جامعة تريستا

فيما بعد (Lo Monaco 1987) وفى مقابل خلفية روليتو المستمدة من المناطق الألبية البحرية الناطقة بالفرنسية، كان ماسى من مواليد تريستا ونشأ فى أسرة تتحدث الإيطالية والألمانية. ورغم أن ماسى اعتبر نفسه إيطاليا إلا أنه كان مواطنا نمساويا وتلقى تعليمه بالألمانية على نحو حددت سلطات فيينسيا(Vinci 1990) .

وبطلاقتهما فى اللغتين الفرنسية والألمانية كان روليتو وماسى مسلحين بالأدوات اللازمة للانخراط فى الإنتاج الفكرى الجغرافى السائد خلال فترة ما بين الحربين فى أوربا. وعلى وجه الخصوص وجد روليتو وماسى فى تريستا مدينة إيطالية جديدة كانت مرتعا للفاشية، وعملا معا فى جامعة كان هدفها اقتراح حلول للمشكلات الاقتصادية المتنامية فى الإقليم. كانت تريستا على هذا النحو سياقا تداخل فيه تأثير المكان والسياسية والرؤى الفردية والتراث الجيوبوليتيكى، وكل هذه العوامل هى التى أدت إلى إصدار دورية "جيوبوليتيكا".

في ظل هذه الظروف كان روليتو وماسي قوميان ومتحمسان وفاشيان مخلصان، وصار كل منهما شخصية بارزة على مستوى التنظيمات الفاشية المحلية والقومية. أضف إلى ذلك أنهما كانا جغرافيان مشهود لهما بالحرية والحماسة المتقدة لعلم كان تخصص الأقلية فى الوسط الأكاديمى الايطالى (Atkinsin1996) وإضافة إلى ما سبق أظهر كلا الرجلين اعتقادا راسخا فى أهمية الرؤى والمعارف الجغرافية للدولة وحكومتها.

وبناء على ذلك وفى سبيل مواجهة المشكلات التى تعانيها تريستا طور كلاهما طريقة راديكالية خاصة فى التحليل اعتبرت بمثابة اللون الايطالى الخاص بإرساء الأسس النظرية للجيوبوليتيك التى شهدتها أوربا فى فترة ما بين الحربين. ويعود الفضل لماسى الذى كان أول من تعرف على الجيوبوليتيك الألمانى عبر دورية الجيوبوليتيك وذلك فى عام ١٩٣٠ (Massi1939 a) وكان ماسى منذ البداية شكوكيا. وكغيرة من الجغرافيين الإيطاليين أبدى ماسى حساسية تجاه النزعة الذاتية فى المعرفة وانتقد منذ البداية دورية الجيوبوليتيك الألمانية نتيجة ما وجده فيها من نزوع منحرف تجاه الأولويات القومية الألمانية (Massi 1931) بل قلل من قيمة الجيوبوليتيك واعتبرها فرعا من العلوم السياسية أكثر من كونها عنصرا جغرافيا(Massi 1931, Roletto and massi 1931)

وفى نفس الوقت ازدادت بشكل طردى اهتمامات ماسى بالقضايا الأعم والمتعلقة بـ"الجغرافيا السياسية" مع اكتشافه لنافذة جديدة أطل منها على المشكلات المادية للجغرافيا والسياسة التى واجهت لإقليم تريستا. وفى مطلع ثلاثينيات القرن العشرين اطلع كل من روليتو وماسى بشكل واسع على الإنتاج الفكرى للجغرافيا السياسية الذى ظهر فى فرنسا وألمانيا وبدرجة ما فى إنجلترا (Massi 1930,Roletto and massi 1931)

وبين خضم الجدال الفكرى الذى حوته تلك القراءات، طور كلاهما لونهما الخاص الذى أسمياه "الجغرافيا السياسية الديناميكية " (Roletto and Massi 1931) وهذا الشكل المتميز من الجغرافيا السياسية لا يركز فقط على الحقائق الثابتة المتعلقة بالأمة

و الدولة والإقليم الجغرافى بل يعتنى أيضا بالأنماط المتغيرة والمستمرة من الشؤون السياسية الدولية. ويهتم هذا النوع من الدراسة بالإمبريالية وحركة التجارة والتوترات القومية والإثنية وغيرها من القضايا الجغرافية والسياسية التى تزايدت بشدة خلال فترة ما بين الحربين العالميتين" (Roletto and Massi 1931)

وقد عرف روليتو وماسى جغرافيتهم السياسية الديناميكية بأنها تجمع بين عناصر مختلفة وتضمها معا فى حدود ومجالات معالجتها من أجل تقديم رؤى فريدة عن العالم. وبمرور الوقت كشف الإيطاليان عن اهتمام متناقض، وإن كان متزايدا، بالمفاهيم التى ضمتها الجيوبوليتيك (Massi 1931) وبدأ الإيطاليان (أى روليتو وماسى) فى التعرف على أوجه الشبه بين "جغرافيتهم السياسية والديناميكية " والجيوبوليتيك الألمانى، وذلك فى سلسلة من المقالات. ففى عام ١٩٣١ أقر روليتو وماسى أن " الجيوبوليتيك تقترب بشكل كبير - ولا يعنى ذلك تطابقها فى التعريف بشكل مباشر - مع ما أسميناه الجغرافية السياسية الديناميكية" " (Roletto and Massi1931:23) وفى نفس الوقت تقريبا دلل ماسى على أن خصوصية الجيوبوليتيك - وإن لم يكن لها الانتشار خارج ألمانيا الفايميرية Weimer بحسب رأيه - يجب أن تؤخذ بقدر كبير من الجدية كمذهب معرفى (Massi 1931) وأقر ماسى بحذر بوجود كثير من التشابه بينها وبين "جغرافيته السياسية الديناميكية "وفى نهاية ١٩٣٢ دعم ماسى المفاهيم التى وصل إليها، حتى إذا جاء عام ١٩٣٣ذهب كل من ماسى و روليتو - فى ضوء ظهور مصطلح الجيوبوليتيك على يد هوسهوفر - إلى تعريف أعمالهم بأنها دراسات وأراء جيوبوليتيكية .(Atkinson 1996)

وكانت النسخة الجيوبوليتيكية التى ظهرت فى تريستا نسخة مهجنة من الأوضاع المحلية للظروف الجيوبوليتيكية الإيطالية ومعتمدة فى ذات الوقت على مراجعة الأعمال الفكرية الأوربية حول الجيوبوليتيك. وبينما درس ماسى الحتم الجغرافى فى الجيوبوليتيك الألمانى، أسهم روليتو بقراءته فى النقد الفرنسى للجيوبوليتيك الألمانى وركز على أهمية العامل البشرى للمنظور الايطالى الجديد. وفى عام ١٩٣١ كتب ماسى

بوضوح عن تميز الجغرافيا الإيطالية باعتبارها "النسخة المطورة الأخيرة "التى بوسعها الاستعانة بـ "المدارس الجغرافية الأوربية الراسخة فى هذا المجال (Massi 1931).

ولم يكن مدهشا حينئذ أن الجيوبوليتيك الذى ظهر فى إيطاليا كان متأثرا بكل من النسخ السابقة للجيوبوليتيك الألمانى والفرنسى، لكن الأهم أن الجيوبوليتيك الايطالى كان مميزا عن كليهما. وبهذه الطريقة فان الطفل الجيوبوليتيكى الأوربى صارت لدية القدرة لإنجاب مولود مختلف من الجيوبوليتيك، وان كان هذا المولود الجديد حكمت خطواته الأولى السياقات الخاصة بكل من تريستا وإيطاليا الفاشية.

دعم الجيوبوليتيك فى إيطاليا الفاشية

بمجرد أن قبل الجغرافيون فى جامعة تريستا الجيوبوليتيكا كتخصص علمى شرعوا بقوة فى دعم رؤيتهم الجديدة. وعلى مدار ثلاثينيات القرن العشرين، ظهرت مجموعة من المقالات والدراسات تبنت النهج الجيوبوليتيكى فى تفسير العالم. وعلى أية حال لم يكن الجمهور الأكاديمى يشبع رغبة روليتو وماسى، فسعوا أيضا إلى ممارسة نفوذ أوسع داخل المجتمع الإيطالى.

وفى محاولاتهم لنشر الوعى الجيوبوليتيكى والجغرافى - اللذين يمثلان لديهما ضرورة جوهرية لحكم فعال فى الدولة الحديثة - طرق روليتو وماسى أبوابا جديدة وحملوا رسالتهم إلى منظمات ومؤسسات النظام الفاشى. كما أنهما فرقا بدرجة ما بين الترتيب الهرمى للنظام وغيره من المجالات المجتمعية مثل دوائر رجال الأعمال والسياسة التعليمية والثقافات الشعبية اليومية فى المجتمع الإيطالى (Massi 1940,Roletto 1940 a,1946 b)

وكانت أهدافهم ترسيخ الجغرافيا والتصورات الجيوبوليتيكية فى كافة مستويات المجتمع الإيطالى.ولتحقيق هذه الغايات كانت هناك منظمة مفيدة على وجه الخصوص وتمثلت فى المعهد الاستعمارى الفاشى.كان المعهد فى أصله جماعة ضغط استعمارية

من أعضاء دبلوماسيين وسياسيين وعديد من الشخصيات من دوائر السياسة الخارجية الإيطالية. وتم صبغ المعهد بالصبغة الفاشية فى ثلاثينيات القرن العشرين وذلك من أجل دعم الاستعمار وتشجيعه داخل المجتمع الإيطالى(Gambi 1994,Londo 1993) ، وقد قيد روليتو و ماسى نفسيهما ومشروعهما الجيوبوليتيكى بهذا المعهد.

كما نشر روليتو وماسى عملا جيوبوليتيكيا فى الصحف التابعة لهذا المعهد وفى سلسلة من نشراته الدورية (Massi 1937 b) كما حظيا بوظائف داخل هذا المعهد. فقد صار روليتو رئيسا لفرع المعهد فى تريستا، وهو فرع مؤثر ذو نفوذ ,وكان ماسى العضو البارز فى هذا الفرع حيث أوكل إلية تنظيم الفصول الليلية وترتيب المعارض العامة، والعروض الفيلمية (عروض الشرائح المصورة) وذلك من أجل إقناع سكان إقليم تريستا بالأهمية البالغة للمناطق الاستعمارية لإيطاليا.

وفى عام ١٩٣٥، حين انتقل ماسى إلى مراتب وظيفية أخرى فى جامعة بافيا Pavia وميلان Milan، صار ماسى منخرطا أكبر فى التنظيمات الفاشية فى قلب النظام الحاكم(Atkinson 1996) وقد صار شخصية رائدة فى الحزب الفاشى المحلى وفى "اللجنة الثقافية" لمعهد الاستعمار. كما أصبح منخرطا فى "المدرسة الفاشية السرية "ذات التوجه المتطرف(Marchesini 1976) واستخدام هذه العلاقات القوية لدعم الجغرافية والدفاع عن الجيوبوليتيك.

وامتدت حماسة هذين الإيطاليين إلى الشبكة الدولية النامية التى ربطت بين المفكرين الجيوبوليتيكين. وبدأ ماسى فى عقد علاقات مع هوسهوفر وغيره من الجيوبوليتيكين الأوربيين، واقترح منح رودلف هيس Rudolf hess درجة شرفيه فى الجيوبوليتيك من جامعة بافيا. وشارك لمرة الأولى فى وفد المفاوضات الفاشى إلى ألمانيا النازية، وذلك حين عقد الاحتفال بالذكرى المئوية للجمعية الجغرافية الفرانكفورتية فى ١٩٣٥, وكانت الثانية فى عام ١٩٣٦ فى مقر وزارة الرايخ الاستعمارية حيث ألقى هناك الكلمة الرسمية عن "مفاهيم الجيوبوليتيك" (Atkinson 1996) وبشكل متواز سعى

ماسى إلى تحقيق نفوذ أكبر بين المؤسسات الفاشية فى إيطاليا. واستفاد من رحلاته مع الوزراء الإيطاليين عبر القارة الأوربية للإلحاح على الرؤى الثاقبة التى يمكن أن تحققها الجيوبوليتيكا للدولة. ورغم العداء الذى قابلة من بعض الجغرافيين تمكن ماسى فى النهاية من أن يحصل على فرصة لقاء مع جيوسيب بوتاى Giuseppe Bottai وزير التعليم فى إيطاليا الفاشية (Atkinson 1996)

شغل بوتاى أطول فترة زمنية يشغلها وزير فى حكومة موسولينى. كان مفكرا وناقدا مكنة تفكيره المثمر الأصيل من أن يبقى فى منصبة على مقربة من قلب النظام. احتفظ بوتاى برية متجانسة وثاقبة لمستقبل طوباوى للمجتمع الفاشى (De grand 1978، . (Guerri 1976) كان بوتاى أكثر من أى زعيم فاشى آخر معترفا بأهمية الثقافة فى إعادة ترتيب المجتمع الإيطالى. يتذكره المؤرخون فى المقام الأول لمبادراته الثقافية المتعددة (Malgeri 1980) ومن بين ذلك تشجيعه للمعارف الجغرافية فى إيطاليا. وقدم بوتاى خلال وزارته للتعليم، فيما بين ١٩٣٦و١٩٤٣، رعاية متواصلة للجغرافيا فى الجامعات والمدارس وفى الثقافة اليومية، وأخذ على عاتقة توسعة أفق الإيطاليين لتطوير تصوراتهم المحلية والتقليدية والإقليمية، كما سعى إلى تنمية " التصورات الجغرافية "الأوسع لدى الشعب الايطالى (Atkinson 1995) فالوعى بالأماكن الأخرى سيفيد - على نحو ما يدلل بوتاى - إيطاليا على "المستوى الإمبريالى"وهى تعود من جديد إلى صفة الدولة الإمبراطورية بعد غزوها للحبشة فى ١٩٣٦

وفى ظل هذه المعطيات اقترب ماسى من بوتاى مقدما له أفكاره عن الجيوبوليتيك. وبعد لقاء آخر تأثر الوزير بماسى لدرجة دعته إلى تشكيل صندوق دعم حكومى وناشر يتكفل بدورية الجيوبوليتيكا وبوضع اسم بوتاى راعيا للمجلة، صارت دورية الجيوبوليتيكا ضمن الحقيبة الوزارية لمبادرات بوتاى الثقافية، ووضعت فى قلب الدعم الحكومى للجغرافيا. ومن جانبهما قام ماسى وروليتو بتأسيس منتدى منتظم يهدف إلى إعلام وتعليم الجمهور الايطالى وصنا ع القرار السياسى برؤيتهم الجيوبوليتيكية

الراديكالية الجديدة. وظهرت تحليلاتهما وتفسيراتهما عن مكانه إيطاليا فى عالم متغير بشكل شهرى ولمدة أربع سنوات فى مجلة الجيوبوليتيك.

مجلة الجيوبوليتيك

ظهر العدد الأول من دورية الجيوبوليتيك فى يناير ١٩٣٩ ومنذ بدايتها اتضحت مكانه الدورية كتعبير إيطإلى عن الجدل الجيوبوليتيكى الدولى. فقد نظم روليتو وماسى مجلس تحرير للمجلة ضم فى عام ١٩٤٢كارل هوسهوفر فى ألمانيا، وجيم فيفس من أسبانيا، وممثلين من رومانيا وألبانيا، فضلا عن عدد من الشخصيات الإيطالية. وقد شمل العدد الأول أيضا تعليق كتبه هوسهوفر يتمنى فيه النجاح لما اسماه الدورية "الشقيقة"لدورية الجيوبوليتيك الألمانية (Haushover 1939) ومع ذلك لم تكن دورية الجيوبوليتيك الإيطالية دورية مانعة تحبس نفسها فى السياق الايطالى فحسب بل ضمنت الحوار العالمى الأوسع عن الجيوبوليتيك الذى دار فى فترة ما بين الحربين.

وكان التصريح الرسمى من الدولة واضحا فى الدورية من خلال كلمة المقدمة التى كتبها بوتاى مؤكدا فيها على رؤيته لمركزية الجغرافية بالنسبة للدولة الحديثة (Bottai 1939) وقد دلل بوتاى على مفهوم جديد للجيوبوليتيك يتجاوز المفهوم الكلاسيكى الراكد للجغرافيا السياسية. ورأى بوتاى أنه كى تتجنب الجغرافيا الركود الأكاديمى فعليها أن ترقى بنفسها إلى فهم سياسى للعالم والقوانين التى تحكمه وتشغله (Bottai 1939:4) ومضى بوتاى بالقول أن الجيوبوليتيك يجب أن تنسجم مع الشؤون السياسية كى تقدم للأمة وعيا جغرافيا وسياسيا يمكن تسميته بالتصورات الجغرافية (Bottai 1939)

وبدورهما، قام روليتو و ماسى بوصف أصول جيوبوليتيكيتهم الإيطالية، وقدموا عرضا لميزاتها ومقترحاتها للإسهام فى الدولة الفاشية(Roletto and Massi 1939) ومن بين العلاقات الجديدة التى ربطت بين العلم والسياسة فى الدولة الفاشية ,رأى

روليتو وماسى أن"أمام الجغرافية الإيطالية مهام جديدة يتوجب عليها القيام بها" (Roletto and massi 1939 :5)

ويرى روليتو وماسى أنه اخذ فى الاعتبار زيادة تعقيد وتشابك العالم المعاصر، فإن الجغرافيا تتميز بقدرة فريدة على التوليف بين العناصر المتفاوتة. ويرى كلاهما أنه بدلا من تعريض الإيطاليين للنهج الذاتى لمفكرى الجيوبوليتيك الفرنسيين والألمان، فان إيطاليا لابد أن يكون لديها رؤيتها الجيوبوليتيكية الخاصة، رؤية تمهد الطريق بشكل واع للربط بين هذه المناهج الأجنبية المتنافسة (Roletto and Massi 1939)

ثم يعطى المحرران إطارا عاما للرؤية الجديدة المتكاملة التى طرحوها لدوريتهم. ويشير العنوان الواعى لمجلة الجيوبوليتيك إلى أن هذه الدورية متخصصة فى الجغرافيا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاستعمارية، ويقوم المحرران بعرض معظم التغطية التى تناولتها المجلة (Roletto and Massi 1939) وقد دلل روليتو وماسى على أن دورية جيوبوليتيكا ستشمل ظاهرات تقع خارج مجال الجغرافيا السياسية التقليدية مثل التحالفات السياسية والاستعمار والمقاومة والتوسع.

ولم يكن ممكنا مناقشة أى من هذه العناصر قبل ظهور الجيوبوليتيك ولذلك كتبا يقولان " إن دورية جيوبوليتيكا تهدف إلى دراسة الظروف المناخية للحياة، وتطور الدول، و الأسس الجغرافية للمشكلات السياسية التى تظهر من العلاقات القائمة بين هذه الدول وبعضها البعض. وبهذه الطريقة تم تمهيد القارئ قبل الدخول كلية إلى المجال الذى تغطية دورية جيوبوليتيكا (Roletto and Massi 1939 :8)

و لفترة محدودة كانت الجغرافية تقيس أهمية الدول وترتيبها الهرمى...أما الجيوبوليتك فتمد هذا التحليل إلى أساس أوسع يأخذ فى اعتباره أيضا العوامل الثقافية والروحية والرغبة والإرادة فى الحكموالاستعمار(Roletto and Massi 1939:10)

وفى النهاية،فان هذا الفهم الذى ينظر إلى العالم نظرة راديكالية وعلوية سوف يمهد الطريق للجيوبوليتيك الايطالى، حيث يجب أن يعبر المبدأ الجغرافى للإمبراطورية بأكثر الطرق وضوحا عن الوعى الجغرافى والسياسى والامبريإلى للشعب الايطالى

(Roletto and Massi 1939:11) وكان لدى هذا دورية الجيوبوليتيك أمل فى أن ما تتمتع به من فهم مميز لسياسات واقتصاديات وجغرافيات النظام العالمى سيساعدها فى تقديم هذه النظرة الجديدة للشعب الايطالى فضلا عن تعليم الايطاليين المزيد من جغرافيات العالم المعاصر. لقد كان الجيوبوليتيك الايطالى بمثابة محاولة لتعيين وترشيح فضاء معرفى يستطيع الايطاليون من خلاله الوصول إلى طريقة جديدة لصياغة وفهم العالم. وسنعرض فى الجزء التالى بعض نماذج هذه الرؤية الجيوبوليتيكيه.

دورية "جيوبوليتيكا "وتمثيل العالم

إضافة إلى سعيهم الدوب لدمج الجغرافيا فى مكون الحياة الايطالية، قام المحررون فى دورية جيوبوليتيكا بنشر مجموعة مختارة من المقالات التى تعبر عن مختلف الموضوعات الدولية التى تتناولها الدورية.

وقد ارتبطت الإسهامات بشكل عام بقضايا المكان، والإقليم، والجغرافيا، والسياسة، هذا على الرغم من أن هذه الموضوعات كانت تتمشى مع خط المفاهيم الأساسى لأجندة الدورية، إلا أن هذه الموضوعات درست عادة كعمليات ديناميكية متدفقة أكثر من كونها ظواهر ساكنة. ولا يسعنا المقام هنا لعرض كافة المناهج النظرية للدورية بشكل كامل (Antonisch 1997 a, Atkinson 1995, 1996, Vinci1990) ولكن لاينبع هذا من أن نقدم إطلالة على بعض هذه الموضوعات والمناقشات التى أثارتها ونماذجها وشكل التغطية فى المقبل من الصفحات.

لقد تمحورت معظم القضايا والأفكار التى شغلت الدورية حول موقع إيطاليا فى النظام العالمى خلال نهاية الثلاثينيات ومطلع الأربعينيات من القرن العشرين، وعلى المستوى الإقليمى كانت هناك تغطية للبحر الأدرياتى والذى طالبت ايطاليا بسيادة كلية عليه، وحظى هذا الموضوع بعناية خاصة، لما كانت مناطق مثل ساحل دالماشيا وإقليم البلقان مناطق خاصة بالمثل، أخذا فى الاعتبار الطموحات الايطالية للهيمنة على هذا

الإقليم، وان كان القلق الايطالى بشأن النوايا الألمانية تجاه حوض الدانوب شكل أيضا قدرا من الاهتمام الايطالى (Vinci 1990) وعلى المدى الأوسع حظيت جيوبوليتيكا البحر المتوسط، والذى كانت تتنازع عليه إيطاليا والمملكة المتحدة وفرنسا واسبانيا، باهتمام متكرر (Knox 1982) وفى ذات الوقت لقيت المستعمرات الايطالية فى شمال وشرق أفريقيا وبحر إيجة اهتماما وعناية من المجلة أخذا فى الاعتبار التطورات المستقبلية التى كانت هذه المناطق ستشهدها والاحتمالات المتوقعة للتوسع الاستعمارى(Atkinson 1995)

وواصلت الدورية تقييمها وحواراتها وأضفت الشرعية على الاهتمامات الايطالية فى تلك الفترة على المستوى الاستراتيجى والاقتصادى والسياسى. وبشكل منتظم تمت مراجعة الطموحات الايطالية طويلة الأمد على صفحات الدورية. ووجهت دورية جيوبوليتيكا نظرتها العميقة أيضا إلى المجال العالمى الأوسع، فقد حوت صفحاتها بشكل دورى تحليلات لأقاليم مختلفة عبر العالم. وكانت هناك اهتمامات خاصة بقضايا الموارد الطبيعية، من حيث الاستخدام والسيطرة، فضلا عن الاعتناء بسياسات وجغرافيات طرق التجارة التى تربط تلك الموارد بمناطق التصنيع والأسواق.

وبالمثل أولت الدورية عناية للمناطق الاستعمارية وما تضمه من ثروات. وكان الدافع وراء هذا التوجه الاقتصادى الحالة المتراجعة اقتصاديا لإقليم تريستا من ناحية، والاهتمامات الايطالية بأزمتها الاقتصادية الحادة خلال نهاية ثلاثينيات القرن العشرين من ناحية ثانية. ورغم أن الركود الاقتصادى العالمى خلال فترة مابين الحربين لم يضرب إيطاليا بشكل عنيف بمثل ما أصاب عددا من الدول الصناعية، إلا أن المشكلات الاقتصادية ظلت تسبب مشكلات أضرت المجتمع الايطالى ككل.

كما أولت المجلة عناية خاصة لاهتمام الايطاليين بالوصول إلى موارد الثروات الطبيعية والعمل من أجل السيطرة على الاقتصاد العالمى. وقد جاء ذلك نتيجة عاملين، الأول أن كثيرا من الايطاليين اعتقدوا أن مؤتمر السلام فى فرساى قد فشل فى

تعويض إيطاليا بشكل مناسب عن تضحياتها خلال الحرب. فالمطالب الايطالية التى لم تثمر شيئا فى الحصول على مستعمرات فى إفريقيا والشرق الأوسط كانت محط تذمر وشكوى دائمة. أما العامل الثانى فقد تمثل فى أن غزو ايطاليا للحبشة عام ١٩٣٥ قد دعم من فرض عقوبات فورية على ايطاليا من قبل عصبة الأمم. ولان إيطاليا آنذاك كانت دولة فقيرة فى موارد الثروة ,فقد زعم النظام الفاشى أن المجتمع الدولى، - والذى كانت تقوده آنذاك بريطانيا وفرنسا - كان متأهبا لاستبعاد ايطاليا من الحصول على حقوقها كقوة استعمارية كبرى. وقد فسر الفاشيون ذلك بافتراض بأن هناك تآمرا دوليا ضد ايطاليا، واستجاب الايطاليون بسياسة الكفاية الذاتية القومية، وهو ما كان موضوعا متكررا فى ثنايا دورية "جيوبوليتكيا". وفى حقيقة الأمر أولت المجلة لمثل هذه المشكلات الجغرافية والسياسية درجة عالية من الاهتمام. وسأناقش فى الصفحات المقبلة مثالين للرؤية الدولية لهذه الدورية وذلك من خلال تحليل وتفسير المجلة للعالم وطرح ذلك التفسير والتحليل على القراء الايطاليين.

الديموقراطية والمستعمرات والمواد الخام

ظهر الاهتمام الايطالى بتوزيع الأقاليم الاستعمارية والموارد الطبيعية من خلال مقالة مسهبة حملت عنوان "الديموقراطية، والمستعمرات والمواد الخام " كتبها أرنستو ماسى (Massi 1939 6) وقد مثلت هذه المشكلات المزمنة لكاتب المقال ظاهرة ديناميكية جلية (Massi 1937 a, 1937b, 1938) كما تطلبت هذه المشكلات بالمثل " محتوى جيوبوليتيكى بالغ التميز " وترتب على ذلك دخول هذه المشكلة إلى حيز اهتمامات دورية "جيوبوليتيكا" (Massi 1939b:17) وفى ذلك يقول ماسى:

توجهت كافة "سياسات الديموقراطيات الكبرى" فى فترة ما بعد الحرب نحو تدعيم سياستها وعرقلة أى تغيير فى ميزان القوى وأيضا عرقلة أى تغيير فى الحدود الاستعمارية. وقد كرست عصبة الأمم من هذه الهيمنة وحيدت كل القوى والحركات

المبدعة. ويبدو أن الإنسانية ستستمر مجزأة بين شعوب غنية ممن لديهم وفرة هائلة فى المواد الخام والسيطرة على مستعمرات الأقاليم المدارية وإمكانات صناعية عالية ومستوى معيشى مرتفع، وشعوب فقيرة تعانى من ضغوط ديموغرافيه صعبة وندرة فى المواد الخام ومستوى معيشى متدن .(Massi 1939 b : 1819)

وقد وصف ماسى تقسيما ثنائيا للعالم، وجد فيه أن الشعوب "الغنية" من " الديموقراطيات الكبرى"(خاصة بريطانيا وفرنسا) تتحكم فى الموارد، بينما الشعوب "الفقيرة" ومن بينها إيطاليا لا تحصل على حصتها فى تلك الموارد. وبينما يزداد الأغنياء ثراء لا يحصل الفقراء سوى على القليل من جهود قوتهم العاملة. وبحسب ماسى فقد تم تكريس هذا النمط من التوزيع الظالم للمواد الخام وأضفيت عليه الشرعية من خلال الدول القوية الحاكمة للنظام العالمى وفقا لمبادئها الديموقراطية (Massi 1936) وعلى هذا النحو كان التحليل الذى قدمته دورية "جيوبوليتيكا "فى عام ١٩٣٩ للاقتصاد السياسى العالمى.

وقد دعى ماسى لنظام عالمى جديد أكثر عدلا فى توزيع الثروات العالمية. ونادى بأن تتم موازنة الشعوب الجديدة والأمم المسلوبة بمعايير "روحيه" مثل التراث التاريخى والوعى القومى والسمو الثقافى والدينى إضافة إلى معيار "إدارة القوة والاستعمار".

وبناء على هذه العوامل يمكن للمرء أن يضع معايير المقارنة الجيوبوليتيكية بين الدول (Massi 1939b :19) وفى هذا التحليل كان يقصد بـ "الأمم الجديدة " تلك القوى التى سلبتها معاهدة فرساى بعض الحقوق، كما كان يقصد بها أيضا الحركات القومية الأخرى التى عارضت تأسيس نظام عالمى أوربى ـ استعمارى. وقد طالب ماسى بنظام عالمى جديد لا تتحكم فيه بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة على تدفق السلع والبضائع، بحيث يتم فى هذا النظام الجديد إعادة توزيع الموارد الاستعمارية واعتماد منهج تعاونى تجاه استغلال تلك الموارد. وقد أوضح ماسى فى دعوته أن إعادة التوزيع ستجنب العالم صراع مستقبلى بين القوى "المسلوبة " والقوى "الديموقراطية ". كما سيحد ذلك من عدم الاستقرار المحتمل وقوعه نتيجة عدم العدالة فى توزيع الاقتصاد العالمى (Massi 1939b)

ورغم شكواه من عدم عدالة توزيع الموارد فى النظام العالمى، لم يتعرض ماسى للنظام الاستعمارى نفسه، بل طالب ببساطة بحصة "عادلة" لايطاليا فى كعكة الثروة الاستعمارية (Massi 1937 a، 1939 b). وفى حقيقة الأمر كان النظام الاستعمارى سيبدو بحسب هذه النظرة نظاما مقوما ومحسنا ويؤدى دوره بفاعلية فى عالم المستعمرات بمجرد أن تتحقق مطالب إيطاليا الإقليمية. ومن ثم فلم يكن لهذه النظرة الجديدة للعالم الاستعمارى من هدف سوى استغلال موارد المستعمرات بشكل يحقق مكاسب عادلة للدول الاستعمارية.

وقد خلص ماسى (Massi 1939 b) فى تحليله إلى أن العوامل السياسية، مثل التحالف والمستعمرات ،هى المسئولة بشكل أساسى عن فهم الاقتصاد العالمى. وقد سمح له ذلك بالتأكيد على أنه بتحليل هذه الظواهر الديناميكية حققت دورية جيوبوليتيكا ميزة نسبية خاصة فى مجال التصور الجيوبوليتيكى فى تلك الفترة. فالجغرافيا السياسية قد تحدد موارد دولة بعينها، وحجم سكانها، وطاقتها الصناعية وغير ذلك من الظواهر الاستاتيكية، أما دورية جيوبوليتيكا فبوسعها فى المقابل تطوير هذه القاعدة من المعلومات الأساسية ثم تحديد القوة العسكرية والسياسية للإمبراطورية والأقاليم الخاصة للانتداب وإشراف المعاهدات الدولية.ومثل هذه الظواهر ذات طبيعة وقتية وديناميكية انشغلت بها دورية جيوبوليتيكا وساهمت فى تطوير استيعابها الفكرى.

الكفاية الذاتية فى الولايات المتحدة

المثال الآخر الذى نضربه هنا للرؤية الجيوبوليتيكية العالمية نجده فى مقال إليسيو بونيتى Bonetti وحمل عنوان " المشكلة الجغرافية للكفاية الذاتية فى الولايات المتحدة" (Bonetti 1940) كان بونيتى كاتبا مرموقا أقام فى تريستا وأسهم بشكل منتظم فى دورية "جيوبوليتيكا". وظهرت مقالته المشار إليها فى عدد يونيو- يوليو ١٩٤٠ . واستحقت المقالة الانتباه لعدة أسباب. فأولا، تظهر هذه المقالة مرة أخرى الاهتمام الايطالى بالموقع و المواد الخام والسيطرة عليها ومسارات تدفقها، تلك الموارد التى تعد ضرورية للأمم الصناعية. وهذا موضوع وثيق الصلة بالإطار التحليلى للجيوبوليتيك.

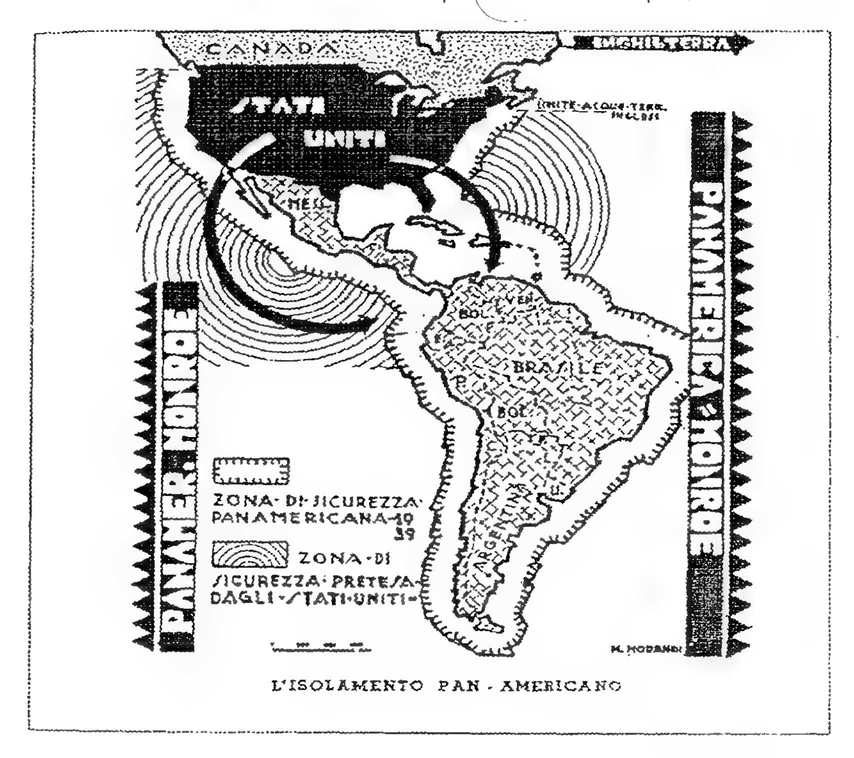
وثانيا كان موضوع تلك المقالة قد أظهر المجال العالمى للنظرة الفاحصة لدورية "جيوبوليتيكا" وأخيرا تأتى أهمية هذه المقالة من أن موضوعها كان محط دراسة واهتمام من مقالة ظهرت فى مجلد عام ١٩٤٠ لدورية "جيوجرافيكال ريفيو" وحملت عنوان " العجز فى المواد الخام الأمريكية والتبعية الإقليمية " (Hull 1940) وقد أظهرت المعالجة التى قدمها بونيتى لهذه القضايا للقراء الايطاليين درجة تداول هذه الأفكار فيما بين " الجيوبوليتيكيين" من مختلف دول العالم[١]. وبالمثل استدعت المقالة من التراث الجيوبوليتيكى الأوربى بعض المفاهيم خاصة احتواءها على خريطتين جيوبوليتيكيتين (وهو الأسلوب الذى ابتدعته دورية الجيوبوليتيك الألمانية) وكانت إحدى الخريطتين (شكل ٧) تشير إلى مفهوم " الأقاليم المتحدة" الذى نشأ فى الأصل بين الجيوبوليتيكين الألمان.

غطت مقلة بونيتى ما أسماه " التداعيات الجيوبوليتيكيه" لمتطلبات الولايات المتحدة من المواد الخام. وقد عدد بونيتى السلع السبعة عشر التى اعتبرتها الحكومة الأمريكية سلعا ذات أهمية إستراتيجية. وقد تناول بونيتى توزيع هذه السلع الجغرافى فى أوقات السلم والحرب، وناقش المناطق التى تشملها التجارة الأمريكية، واعتبر انه إذا أخذنا فى الاعتبار الإمكانات المتوفرة من المواد الخام فى الأمريكتين فان الموقع الوحيد الثانى المتميز بمواد خام وفيرة ولا غنى عنه للولايات المتحدة فى زمن الأزمات يمثله إقليم جنوب شرق آسيا (Bonetti 1940)

وكانت حجة بونيتى فى ذلك أن الولايات المتحدة يتوجب عليها الإبقاء على جنوب شرق آسيا ضمن مجال نفوذها وهو ما يمثل بحسب بونيتى فى ذلك " أمرا بالغ الإثارة من وجهة النظر الجيوبوليتيكية أخذا فى الاعتبار أن الطموحات التوسعية لليابان تتقاطع مع نظيرتها الأمريكية فى هذه المنطقة (Bonetti 1940 : 302)

ومن بين الخريطتين اللتين ظهرتا مع هذا المقال يتبين من شكل (٧) كيف أن دورية جيوبوليتيكا قد تبنت مفاهيم " الكارتوغرافيا المقترحة" والأقاليم الكلية المقترحة التى قدمتها من قبل دورية "جيوبوليتيكا " الألمانية (Herb 1987) وقد وضع نموذج الأقاليم المتحدة العالم مقسما إلى ثلاثة أقاليم كبرى مقسمة بدورها بحسب خطوط الطول إلى: أوروأفريقيا، وآسيا، والأمريكتين. وقد تأثر ماريو موراندى (رسام الخرائط

فى دورية "جيوبوليتيكا" الايطالية) بالأسلوب الكارتوجرافى فى دورية "جيوبوليتيكا" الألمانية وخاصا اعتماد أساليب التهشير فى تظليل المساحات على هذه الخرائط. ثم أضاف إلى فكرة الأقاليم المجمعة إحاطة هذه الأقاليم ذات الاكتفاء الذاتى باثنين من الخطوط السوداء العريضة التى تعين حدود نصف الكرة الغربى بناء على خطوط الطول، وقد أكمل هذه الخطوط برموز متعرجة تمثل "الواجهة المعادية". ومن تم تعزيز العلاقة السياسية بين الشمال والجنوب فى هذا " الإقليم المجمع" وكذلك تم استبعاد أى قوة أخرى من الإقليم الذى يعبر عن الرسم الكارتوجرافى.



شكل (٧) انعزالية الإقليم الأمريكى المجمع

المصدر : Binetti 1940 : 299.

وداخل الإقليم الانعزالى لأمريكا المجمعة، تظهر الخريطة أهمية أمريكا الجنوبية للولايات المتحدة. فالخطوط السوداء التى تحيط بأمريكا الجنوبية تدعمها الكتلة السوداء التى تمثلها الولايات المتحدة وذلك حتى يحصل القارئ على انطباع بانغلاق دول أمريكا اللاتينية كلها ـ رغم اختلافها السياسى ـ وتظليلها بلون فاتح موحد، وهو ما يعطى انطباع من أن الولايات المتحدة تهيمن على هذه الدول، ويدعم من هذا الانطباع سهمان أسودان يخرجان من الولايات المتحدة تجاه أمريكا اللاتينية، وهو ما يشير إلى هذه الهيمنة بطريقة رمزية. كما يوحى الشكل القوى لهذين السهمين بالحركة الديناميكية بحيث تطوق حركتها " الكلابيه" أمريكا الوسطى.

وبينما تبدو الأراضى الكندية فى الشمال عن الولايات المتحدة، لم تكن الخريطة موفقة فى تمييز الممتلكات البريطانية الأخرى فى أمريكا الجنوبية وخاصة الأرجنتين الثرية وما تضمه من جالية إيطالية مهاجرة كبيرة الحجم. ويجمع كل ما سبق انطباعا بأن الهيمنة الأمريكية على أمريكا اللاتينية صارت غير قابلة للتحدى أو الاعتراض من القوى الأخرى، وأن القارة بأسرها صارت بلا استثناء منطقة غنية بثروات وضعت الولايات المتحدة أعينها عليها. وبالطبع كان لذلك صدى للسعى الايطالى لإعادة توزيع المناطق الاستعمارية. وبالرغم من أن مقالة بونيتى كانت مسهبة نسبيا، إلا أن الخرائط المرفقة كانت مبسطة عمدا من أجل توصيل رسالة بصرية مباشرة (Atkinson 1995, Herb 1987) وكانت الرسالة التى يحملها كل من النص والخريطة معا تهدف إلى عرض "واقع" الأمريكيين بعيون دورية "جيوبوليتيكا" الايطالية. وبدورة كان من المفترض أن يسهم هذا الإدراك فى تحقيق توجيه وإرشاد وتعليم للتصورات الجيوبوليتيكية لايطاليا الفاشية.

وفى الجغرافيا البشرية الانجلوأمريكية الحديثة، حددت الجيوبوليتيكا النقدية مرارا أهمية وجود رؤية للتصورات الجيوبوليتيكية (O Tuathail 1994, 1996) وهى رؤية مميزة يتداخل فيها ما تم "ملاحظته " مع ما تم " إدراكه" من قبل الافتراضات التى

يقدمها الجيوبوليتيكيون. ويقوم الجيوبوليتيكيون هنا بتصوير انتقالهم من الجغرافيا السياسية التقليدية إلى تحليل جيوبوليتيكى أكثر ديناميكية وشمولا يسمح لهم برؤية إضافية تمكنهم من قراءة العالم بطريق أفضل.

وهناك افتراضات ذكورية وعنصرية تعزز من تلك النظرة الجيوبوليتيكية الفاحصة ووصولها السلس إلى "الواقع" والتناسخ العريض للترتيب الهرمى العرقى وتصنيف أشكال الاستعمار. وتأتى الجغرافيا فى هذا المنهج بشكل عرضى أيضا. وقد عملت دورية جيوبوليتيكا فى أغلب الأحوال على الحد من التعقيد لصالح نقاش سلس، وذلك لتوصيل رسالة يفهمها القراء بشكل صحيح. ومن أجل ذلك كان لابد من إضفاء صفة من التناغم على كل الأقاليم حتى تبدو مبسطة، فتم التغاضى عن الاختلافات وأجريت عمليات تعميم (تسطيح معرفى) جغرافى من قبل السلطة، والمفتى يفترض اضطلاعها بخلق تصور جيوبوليتيكى لدى الجمهور الإيطالى(Atkinson 1995, O Tuathail 1996) وبينما ليس فى مقدورنا الجزم بحجم التأثير الذى تركته تلك التمثيلات فى إيطاليا إلا أن التصورات الجيوبوليتكية التى كان لدى الدورية أمل كبير فى إثارتها لدى الإيطاليين حققت نجاحا جزئيا دون شك.

نهاية دورية "جيوبوليتكا" الإيطالية

مع انهيار المجهود الحربى الإيطالى وسقوط النظام الفاشى فى نهاية ديسمبر ١٩٤٢ كانت دورية جيوبوليتيكا تصدر عددها الأخير (Vinci 1990) حققت الدورية استجابة للحاجة لفهم العوامل الجغرافية والسياسية التى كانت تدمر اقتصاد إقليم تريستا، وظهر نوع من التحليل وجد تطبيقا واسعا ورعاية حكومية لمواجهة التردى الناجم من عدم الاستقرار فى فترة مابين الحربين. وكانت النسخ المطبوعة من الدورية تصل وقت الذروة إلى ١٠٠٠ نسخة (Atkinson 1996) ومرة أخرى نجد أنه فى الإمكان تعيين الأهمية السياسية والثقافية التى مثلتها دورية جيوبوليتيكا. ومع هذا فإن قصة

هذه الدورية زادت من درجة إدراكنا لطبيعة الأفكار الجيوبوليتكية فى فترة مابين الحربين فى أوربا.

وتعد دورية جيوبوليتيكا على درجة كبيرة من الأهمية نظرا لما قدمته من طبوغرافيا جيوبوليتكية للعالم الحديث، لكن ربما كان أكثر ماتركته أثرا تلك المحاولات التى قامت بها من أجل دعم الوعى الجيوبوليتكى لدى الشعب الايطالى وفتح أفق فكرى يمكن للتحليل الجيوبوليتكى الإيطالى التطور من خلاله.

ما بعد دورية جيوبوليتكا

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى نادرا ما كانت تأتى قصة دورية "الجيوبوليتك" الإيطالى فى الإنتاج العلمى المطبوع. فعلى نحو ما تم من الربط بين دورية الجيوبوليتك الألمانية والامبريالية النازية (Bassin 1987,Heske1987,Jacubsen 1979) أسدل الستار على الجيوبوليتك والجغرافيا السياسية فى إيطاليا كغيرها من بقية الدول فى تلك الفترة.

ونأى الجغرافيون الإيطاليون بأنفسهم عن الجيوبوليتيك وذلك من خلال استراتيجيات متوقعة. ففى السنوات التى أعقبت الحرب العالمية الأولى لم تأت تقريبا أية إشارة حول الجيوبوليتيك (Nice1943,Toschi 1949، Almagia1946, Migliorini1946) وكان مؤرخو الجغرافيا ميالين غالبا إلى مراجعة الفترة الفاشية ككل دون أن يمسوا قضية السمعة السيئة التى اشتهرت بها دورية الجيوبوليتك (Bonura 1987)

وكان الإغفال ونسيان الجيوبوليتك شبه كامل حتى أن اثنين من المسوح الموسوعية لتاريخ وتطور وتوجه الجغرافيا السياسية والتى قام بها ماريو أرتولانى - والذى كتب بالفعل لدورية الجيوبوليتك الإيطالية فى الأربعينيات - قد أسقط ذكر الدورية تماما، رغم أنه كتب باستفاضة عن جيوبوليتيكيات الدول الأخرى (Ortulani 1956,1976) ولم يتغير الموقف سوى فى ثمانينيات القرن العشرين، حين بدأ الجغرافيون يقدمون إشارات مختصرة عن دورية الجيوبوليتك الإيطالية وذلك ضمن عرض عام للجغرافيا السياسية أو تناول تاريخ الجغرافيا الإيطالية (Caraci 1987, Pagnini 1987)

وفى الحالات النادرة التى كان يشار فيها إلى دورية جيوبوليتك، كان التركيز يوجه إلى منطقة تريستا باعتبارها الأصل الذى نشأت فيه الدورية، وإلى التمييز بين الدورية الإيطالية وبين نظيرتها الألمانية خاصة أن الدورية الإيطالية تجنبت الأخذ بمبدأ الحتم البيئى والمنهج النظرى العنصرى المكشوف (Carci 1987,Pagnini 1987) بل إن أرنستو ماسى نفسه قد كتب فى النهاية عن دورية جيوبوليتك ومكانتها فى تاريخ تطور علم الجيوبوليتك.

* وميز ماسى بدوره بين هذه الدورية ونظيرتها الألمانية، وإن كان ما قدمه قد جاء بشكل عام كمحاولة غير اعتذارية لتطبيع الموقف تجاه دوريته داخل تاريخ المعرفة الجغرافية وارتباط هذه الدورية بالسياسة (Massi 1986)

ودللت التعليقات التى قدمت كرد فعل على ذكريات ماسى على أن الجيوبوليتك لايزال مصطلح ذو طبيعة إشكالية فى إيطاليا(٢). وربما تأتى هذه الطبيعة الإشكالية فى جزء منها نتيجة استمرار السمعة السيئة للجيوبوليتيك لدرجة أن المحاولة الأولى التى تمت لإعادة إرساء الفكر الجيوبوليتكى فى إيطاليا قد باءت بفشل ذريع، ونقصد بذلك مصير الدورية التى حملت اسم هيرودوت - ايطاليا ونشرت سنويا بين عامى ١٩٨٤ - ١٩٧٨ . وقد جاء نشر هذه الدورية بتشجيع من دورية هيرودت الفرنسية ذات التوجه اليسارى، والتى أسسها ييفز لاكوست فى ١٩٧٦ (راجع فى هذا الكتاب Antonsich 1997a). وكانت رسالتها تقديم رؤى دورية هيرودوت إلى إيطاليا وإعادة صبغ الجغرافيا الايطالية بالصبغة الثورية (الراديكالية). وكان محرر الدورية فى ايطاليا، ماسيمو كياينى Quaini جغرافى ماركسى انصبت اهتماماته على العلاقة بين الجغرافيا والنظريات الماركسية. ومثل دورية هيرودوت الأصلية، دللت النسخة الايطالية على الاعتراف بان الجغرافيا كانت معرفة مسيسة. كما دللت أيضا على أنه يجب على الجغرافيين أن يسعوا إلى دور نشط فى تغيير المجتمع. كما عكست النسخة الإيطالية من هيرودوت اهتمامنا بالتحليل المتكامل بين التخصصات المعرفية كما أولت عناية بالتعليم الجغرافى فى المدارس (Desfarges 1998)

ورغم تغيير النسخة الإيطالية عن الأصل الفرنسى فى المحرر والاسم والذى أصبح ايرودوتو Erodoto، خاضت الدورية الإيطالية صراعا من أجل تحقيق واردات

عبر الاشتراكات واضطرت للتوقف عبر الحدود فى ١٩٨٤ (Antonsich1997a) وعلى عكس ما ذهبت النسخة الفرنسية، تخلت هيرودوت الإيطالية عن استخدام مصطلح الجيوبوليتيك فى عنوانها الفرعى، وربما كان ذلك مصطلحا بالغ الحساسية للماركسيين والجغرافيين الإيطاليين فى سبعينيات القرن العشرين. وقد حاولت هيرودوت الإيطالية إعادة تقديم قضايا الجيوبوليتيك والسلطة والسياسة فى إيطاليا كما عكست بعضا من جهود دورية هيرودوت لإعادة معالجة التحليل الجيوبوليتكى فى فرنسا. وإضافة إلى ذلك، فان النسخة الإيطالية من هيرودوت كانت تشبه سابقتها "جيوبوليتيكا" فى تطويرها نسخة إيطالية ذات وعى ذاتى وليس فقط نقل الشكل الأجنبى من الجغرافيا السياسية. ومن المحتمل أنه على نحو ما يعلق بول كلافال فى الكتاب الذى بين أيدينا فإن هذه المحاولة من بعث الموضوعات الجيوبوليتكية من خلال النسخة الإيطالية من هيرودوت قد ظهرت حين لم يكن الإيطاليون على استعداد للمشاركة من جديد فى التراث الجيوبوليتيكى العالمى.

دورية لايمس والنهضة الجيوبوليتكية

بدء الموقف فى التغير فى تسعينيات القرن العشرين. فمع تأكد ملامح نهاية الحرب الباردة، وتفكك النظام السياسى الايطالى الذى نشأ منذ ما بعد الحرب العالمية، وخاصة فيما بين عامى ١٩٩٢و١٩٩٤ (Gundleand Parker 1996) ظهرت دورية جديدة كرست نفسها للجيوبوليتيكا وزعمت أن لديها مقدرة خاصة لـ" فهم العالم على حقيقته" (شكل ٨). وكسبت دورية لايمس الجديدة شعبية كبيرة لما أظهرته من تحليل عميق لخيارات السياسة الخارجية فى إيطاليا المعاصرة.

وتعنى كلمة لايمس " التخوم " وعادة ما تستخدم هذه الكلمة فى الإشارة إلى الحدود القديمة للإمبراطورية الرومانية. ومنذ ١٩٩٣ بدا الاسم يرتبط بهذه الدورية التى صدرت ربع سنوية وحددت مهمتها فى إعادة إطلاق الفكر الجيوبوليتكى فى إيطاليا (Antonsch 1997 a,Pfetsh 1993) وقد وضعت لايمس لنفسها عنوانا فرعيا هو "مراجعة جيوبوليتكية إيطالية " وصارت دورية شهيرة تعالج الشؤون الخارجية والعلاقات الدولية. أسس كل من لوسيو كاراسيولو Caracciolo هذه الدورية وهو صحفى إيطالى متعاونا

مع ميشيل كورينمان المؤرخ الفرنسى للجيوبوليتيك وعضو فريق العمل الذى أصدر دورية هيرودوت. وتدعم ارتباط لايمس بدورية هيرودوت من خلال الدور الذى لعبه ييفز لاكوست والذى عمل "مستشارا تحريرا خاصا " لدورة لايمس. وكانت النية معقودة على إنشاء مجلس فكرى يناقش ويطور سياسة خارجية تتناسب مع طبيعة العالم المتغير.

وقد هدفت الرؤية التحريرية للمجلة أن تصبح هذه السياسة الجديدة مسئولية إيطاليا خلال عقد التسعينيات، وذلك فى عالم مابعد الحرب الباردة (Editoriale 1993) لكن من أجل سياسات جديدة فان الإيطاليين فى حاجة أولا ليدركوا بدقة "واقع" القضايا الدولية، وعليهم أن يفهموا العالم كما هو عليه فى الواقع، ذلك العالم المتخم بقضايا القومية والعرقية ومشكلات التخوم والقضايا المكانية، وهى موضوعات تشملها مناهج العلاقات الدولية التقليدية. ولتحقيق ذلك كان لابد من رؤية أوسع ومنهج وتعليل جيوبوليتيكى (Editoriale 1993)



Figure 6.2 Limes — an Italian geopolitical review, 'for understanding the world as it is'
Source: Bollettino della Società Geografica Italiana 1993: 176

(شكل ٨) غلاف دورية لا يمس، مجلة جيوبوليتيكية إيطالية تهدف إلى "فهم العالم كما هو"

المصدر : Bollettion della Societa Italiana 1993: 176

وقد بدا من الكلمة التحريرية الافتتاحية لمجلة لايمس تأكيدا على هذا النوع من فهم الجيوبوليتيكيات حيث جاء فيها "إن الجيوبوليتيك - أكثر من كونها علم - هى "معرفة" بحسب مفهوم فوكو، بل إنها نوع من التعليل المعرفى " (Editoreal 1993 :9) وعلى هذا فإنه بالإضافة إلى دراسة ظواهر مثل القومية والعرقية يبدى التعليل الجيوبوليتيكى عناية خاصة بقضايا المدى المكانى والمحليات، وتفسح المجال لكافة الأصوات لتجد مكانا فى النقاش، وتلقى الضوء على المشكلات بالاستعانة بالأساليب الكارتوجرافية (Editoriale 1993)

وستؤسس لايمس لرؤية مستقلة وواعية قائمة على "تعليل دقيق سيسمح لها بنظرة ثاقبة على مشكلات السياسة الخارجية. كانت هذه هى الرؤية والتعليل الذى زعمت لايمس تقديمه بشكل "جيوبوليتيكى " وهو ما استمرت فى تطبيقه على عالم عقد التسعينيات. عالج العدد الأول من دورية لايمس أزمة البلقان فى مطلع التسعينيات وراجعت الدورية مختلف الآراء القومية والعرقية المحيطة بالصراع وذلك بسلسلة من المقالات لعدد من الكتاب كان فى مقدمتهم الرئيس الكرواتى تودمان Tudmanوالرئيس البوسنى عزت بيجوفيتش Izetbegovic (1993)وإلى جانب هذه الأصوات كان هناك قسم كامل مخصص لاعتبارات المصالح الايطالية فى الإقليم والرؤى المستقبلية لإقليمى تريستا وإيستريا على وجه الخصوص (Segatti1993, Pagnini and Falli1993,Sema1993.Ferraris 1993)

وبهذه الطريقة خططت الدورية لتحديد المصالح والأولويات الإيطالية فى إقليم البلقان. وتقديرا منها لتداخل وتكامل التخصصات ضمت لايمس كتاب ينتمون لروافد متعددة كأعضاء مجالس الأمن القومى والمؤرخين والدبلوماسيين والصحفيين والاجتماعيين والجغرافيين. كان من أبرزهم برونو بوتاى الذى شغل منصب الأمين الدائم لوزارة الخارجية الإيطالية وهو ابن جيوسيب بوتاى، الداعم الأول لدورية جيوبوليتيكا فى الثلاثينيات وبالإضافة إلى التبرعات التى قدمها رجال الأعمال فى

فينسيا وتريستا (الذين ازدهرت تجارتهم باندلاع الحرب فى يوغسلافيا) قدم بوتاى الإبن دعما ماليا حكوميا لتغطية نفقات مؤتمر فينسيا فى عام ١٩٩٣ والذى شهد انطلاق الدورية. واختتم المؤتمر وزير الخارجية الايطالى آنذاك إميليو كولومبو، وتبعة مؤتمر لاحق عقد فى روما نجح فى جذب رئيس الوزراء جيوليو أماتو Amato والذى كان قد استقال للتو بسبب الأزمة السياسية المحلية فى الداخل الايطالى. وقد حظيت دورية لايمس خلال جهودها لصياغة سياسة خارجية جديدة لإيطاليا بدعم نافذ من الحكومة.

وإضافة إلى ما سبق، كان لدى دورية لايمس علاقات متواصلة مع الإنتاج الفكرى الجيوبوليتيكى فى إيطاليا وفرنسا. ورغم أن الدورية قد أنكرت فى دورتها الافتتاحية أن تكون استمرارا لأفكار فردريك راتزل وجيوبوليتيكيات القرن التاسع عشر، إلا أنه كان من الواضح أن لايمس فى بعض الجوانب كانت تستمد وتعيد إنتاج التراث الجيوبوليتيكى لغرض السياق المعاصر الذى تعيشه.

وكان أبرز الدلائل على ذلك تبنيها لمصطلح "الجيوبوليتيك"وعلاقتها بدورية هيرودوت. ولكن إذا سلمنا بأن الارتباط بعائلة بوتاى وبمدينة تريستا كان مصادفة، فان خط المقالات التى ناقشت نظريات وتواريخ الجيوبوليتيك لم تأت هى الأخرى مصادفة (Ciampi ،Ceretti 1997 ،Bottai 1997،Antonsich 1997 6,Bonate 1997) .(1997 وبالمثل كان إعادة طباعة أعمال الجيوبوليتيكيين السابقين يدل على أن لايمس لديها قدر من خط التواصل مع دوريتها الأم السابقة (Haushofer 1995) وأخيرا عقد فى عام ١٩٩٣ مؤتمر فى الجمعية الجغرافية الإيطالية فى روما لمناقشة قضايا جيوبوليتيكية، وتحدث فى هذا المؤتمر كاراسيولو عن دورية لايمس وذلك قبيل مشاركة العجوز أرنستو ماسى بخواطر من ذكرياته عن دورية "جيوبوليتيكيا" (Lucchesi 1993)

وسواء جاء ذلك مصادفة، أو ضمنيا، أو مقنعا، أو مكشوفا، فإن لايمس احتفظت بخط تواصل مع التغيرات الجيوبوليتيكية السابقة فى إيطاليا، ومن ثم فقد شكلت دون شك مرحلة جديدة من مراحل التراث غير المنظم للجيوبوليتيكا الإيطالية. وقد وجه

بعض النقاد لومهم لهذا التوجه لإعادة إحياء الجيوبوليتيك فأعرب سانتوروSantoro)
(1996 على سبيل المثال عن قلقه من أن المنهج "البراجماتى" أو "الواقعى" الذى تتبعه لايمس يؤدى إلى تسطيح التاريخ المعقد لما أسماه التراث الجيوبوليتيكى. كما وجه رافشتاين وليبرينو وباستير فى عام ١٩٩٥ نقدا لـ "المشروع القومى لدورية لا يمس " وإصرارها على البحث عن مجال حيوى (إيطالى) خارج الحدود (الإيطالية). وفى النسخة الإنجليزية من دورية لايمس تم التعبير بشكل واضح للغاية عن الطموحات الإيطالية فى البلقان (Caracciolo and Korinmen 1998) وذكرتنا هذه التعبيرات الصريحة بشكل هائج بالخطاب القديم لدورية جيوبوليتيكيا، ونصل إلى نفس النتيجة حين نقرأ افتراض دورية لايمس بأن المنظور الجيوبوليتيكى يقدم نافذة فريدة وواسعة على "الحقيقة"(٣). وكاستجابة لهذا النقد أشار المحررون فى لايمس وغيرهم إلا أنه رغم أن إيطاليا كانت مدرجة ضمن "التحالف الغربى" خلال فترة الحرب الباردة إلا أنها نادرا ماطورت سياسة خارجية خاصة بها. وبناء على ذلك ظهر على صفحات المجلة جدال إيطالى حول السياسات الخارجية الإيطالية(Editoriale 1993, Sfrecola 1997) وبالتأكيد فان الجدال الأقوى الذى يحيط اليوم بالسياسة الخارجية الايطالية ربما يكون استجابة لحالة عدم الاستقرار التى شهدها عقد التسعينيات، وبصفة خاصة بشأن معضلة النزاعات المسلحة على الأراضى والأقاليم القومية فى تلك المناطق المجاورة لإيطاليا. لكن أيا كانت التفسيرات فإن ذلك النقاش قد جاء عبر إطار جيوبوليتيكى أعرب عن نفسه، وبدأ كثيرا من الإيطاليين فى الاهتمام بقضاياه.

وعلى هذا النحو ستقدم دورية لايمس من الوهلة الأولى خلاصة متناسقة لهذا الفصل. فقد استخدمت لايمس مصطلح الجيوبوليتيك وأحيانا عبرت عن رؤيتها من خلال الخرائط. كانت الدورية محاولة لتفسير عدم الاستقرار فى العالم الحديث، والوصول بالقارئ إلى "الواقع " من خلال العودة إلى الرؤية الجيوبوليتيكية التى تشتمل على ظواهر أغفلتها من قبل التخصصات التقليدية. فى بعض الأحيان تنادى لايمس برؤية جزئية غير مكتملة، لكن فى أحيان أخرى تدعم السياسة الخارجية الإيطالية. وفى النهاية فان لايمس هى دورية ذات دعم حكومى أسسها رجل يسمى بوتاى.

ولعل فى ذلك كله دليلا على مفارقة تاريخية لافتة لا تتفق مع النجاح الباهر وغير المتوقع لهذه الدورية. فالعدد الأول طبع منه ١٤,٠٠٠ نسخة زادت إلى ٢٤,٠٠٠ فى الطبعة الثانية فى يونيو ١٩٩٣، وقد نفذت جميعها بمجرد طرحها فى الأسواق. وتبيع لايمس الآن نحو ٣٠,٠٠٠ نسخة فى عددها الذى يصدر ٤ مرات فى السنة، وإن كان عدد حديث عن أزمة كوسوفو قد باع ١٠٠,٠٠٠ نسخة. وقد ظهرت الترجمة الفرنسية للدورية، وستتبعها الترجمة الألمانية كما أن نشرة دورية باللغة الإنجليزية يخطط لصدورها. وهكذا فإنه على خلاف دورية جيوبوليتيكيا ودورية هيرودوت (فى نسختها الإيطالية) قدمت لايمس لقرائها بما لا يحتاج إلى دليل مزاقاً أصيلا لـ " التعليل الجيوبوليتيكى"

الخلاصة

يستخدم المؤرخون مصطلح الجيوبوليتيك كمرادف مختصر للجغرافيات التى تقف خلف التاريخ الايطالى. لكن على عكس هذا المفهوم، قدم الفصل الذى بين أيدينا عرضا لأهم مثالين فى الفكر الجيوبوليتيكى فى التاريخ الإيطالى الحديث. وتمثل هاتان الدوريتان المحاولات المستمرة من قبل الايطاليين لفهم العالم المتغير وذلك من خلال تطبيق الرؤى الجيوبوليتيكية. ولسوء الحظ فإن ما أتيح لى فى هذا الفصل لم يسمح سوى بعرض موجز، وخاصة دورية لايمس التى تستحق عناية أكبر. وإن كنت قد أوضحت أن الجيوبوليتيك الإيطالى لم يتطور بشكل منعزل بل كان توفيقا إيطاليا واعيا للنقاش الدولى الأوسع.

وفى هذا الصدد، فإن الدوريتين اللتين أشرت إليهما قد استمدتا، وأسهمتا بالمثل، فى التراث الفكرى الجيوبوليتيكى. وقد ادعت كل دورية، "جيوبوليتيكا" و "لايمس" امتلاكها المطلق لـ "حقيقة " الشؤون الدولية، وكانت لدى كلتيهما شغف لتوظيف الجيوبوليتيك لخدمة الدولة. وسعت كل منهما أيضا نحو تعزيز رؤاها بين الجمهور الايطالى، ومن ثم شجعت تطوير التصورات الجيوبوليتيكية لدى السكان بشكل واسع.

وفى النهاية فإن "جيوبوليتيكا " و"لايمس" ظهرتا للوجود فى فترة من الاضطراب الدولى، حين كانت إيطاليا مضطرة لإعادة صياغة سياستها الخارجية فى مواجهة خطرين رئيسيين، الأول: التدهور الذى شهده العالم خلال ثلاثينيات القرن العشرين وفترة الركود الاقتصادى العالمى، والثانى انتهاء تخوم الحرب الباردة والأزمة اليوجسلافية. وفى كلتا الحالتين، طور الإيطاليون أشكالا من "التعليل الجيوبوليتيكى"من أجل مساعدة أنفسهم لفهم السياقات المحيطة، وربما كانت هذه الفترات الزمنية ذاتها هى التى شهدت تدفقا وقلقا هدف فى النهاية إلى تحقيق صياغة نظرية للجيوبوليتيك.

شكر وتقدير

استهل هذا الفصل من رسالة ماجستير تم دعمها من قبل منحة قدمتها جامعة لوبورو Loughborough بالمملكة المتحدة، وأنا مدين لها بالفضل.كما أعرب عن شكرى أيضا لدينيس كوسجروف ومايك هيفرنان لتوجيهاتهما الدائمة.

الهوامش

(١) قدم بونيتى فى ١٩٤١ لقراء دورية "جيوبوليتيكا" عرضا لكتاب هرتشهورن "طبيعة الجغرافيا"(Bonetti 1941)وفى الستينيات كان بونيتى أيضا ـ الذى كان لا يزال يعمل فى تريستا ـ هو الذى قدم من النسخة الألمانية قراءة لأطروحة كريستيللر عن المكان المركزى، وقدم للجغرافيا الإيطالية نظرية كريستيللر وعناصر البحث الكمى. وهكذا عملت تريستا مرة ثانية كبوابة للإطلالة على النقاش والأفكار الخارجية وتقديمها للقارئ الإيطالى.

(٢) تلقى ماسى دعوة للحديث عن دورية جيوبوليتيكا فى المؤتمر الجغرافى الإيطالى الرابع والعشرين والذى عقد فى تورين فى ، ١٩٨٥ وفى الجلسة التى نظمها جيوسيب ديماتيس Dematteis قدم كلود رافشتاين وفرانكو فارينيللى نقدا للجيوبوليتيك(Raffestin and Farinelli 1986)، لكن ماسى ـ والذى صار حينئذ أستاذا فى الجغرافيا فى جامعة روما ـ سعى إلى تطبيع الموقف تجاه دوريته. وحين رفض ديماتيس نشر مداخلة ماسى فى كتاب أعمال المؤتمر استخدم ماسى نفوذه كرئيس للجمعية الجغرافية الإيطالية ونشر المداخلة فى دورية الجمعية المعروفة باسم "بوليتينو Bollettino " ذات السمعة المرموقة أدبيا (Massi 1986)

(٣) هذا على الرغم من أن أحد المعلقين قارن بين قدرة لايمس على الوصول إلى "الواقع الجيوبوليتيكى" وقدرة الجغرافيين الإيطاليين الذين لا تسمح مناهجهم بامتلاك هذه الرؤية (Antonsich 1997a)



قائمة المراجع

Almagià, R. (1923) 'La geografia politica. Considerazioni methodiche sul concetto e sul campo di studi di questa scienza', *L'Universo* 4: 751–68.

——— (1926) 'Una nuova opera di geografia politica', *L'Universo* 7: 353–60.

——— (1936) *Elementi di geografia economica e politica*, Milan: Giuffré.

——— (1946) 'I compiti attiali della Geografia e il Consiglio Nazionale delle Ricerche', *Ricerca Scientifica e Ricostruzione* 16: 3–11.

Antonsich, M. (1997a) 'La geopolitica Italiana nelle Rivista "Geopolitica", "Hérodote/Italia" ("Erodoto"),"Limes"', *Bollettino della Società Geografica Italiana* 12, 2: 411–18.

———. (1997b) 'Eurafrica, dottrina Monroe del fascismo', *Limes* 1997, 3: 261–6.

Atkinson, D. (1995) 'Geopolitics, cartography and geographical knowledge: envisioning Africa from Fascist Italy', 265–97 in M. Bell, R. A. Butlin and M. Heffernan (eds) *Geography and Imperialism, 1820–1940*, Manchester: Manchester University Press.

———. (1996) *Geopolitics and the Geographical Imagination in Fascist Italy*, unpublished Ph.D. thesis, University of Loughborough.

Baratta, M. (1918) *Confine orientale d'Italia*, Novara: Agostino.

——— (1919) 'Giuseppe Mazzini e il confine orientale d'Italia', *Istituto Geografico de Agostini Quaderni Geografici* 7: 1–30.

Bassin, M. (1987) 'Race contra space: the conflict between German *Geopolitik* and National Socialism', *Political Geography Quarterly* 6: 115–34.

Bollettino della Società Geografica Italiana (1993) 11, 10: 176.

Bonetti, E. (1940) 'Il problema geografico dell'autosufficienza negli Stati Uniti d' America', *Geopolitica* 2: 296–9, 302.

——— (1941) 'Attraverso la storia della geografia', *Geopolitica* 3: 423–7 and 430–3.

——— (1967) 'Giorgio Roletto (1995–1967)', *Rivista Geografica Italiana* 74: 251–4.

Bononate, L. (1997) 'Qualche argomento contro l'interessa nazionale', *Limes* 1997, 2: 303–13.

Bonora, P. (1987) 'Umberto Toschi, 1897–1966', *Geographers Biobibliographical Studies* 11: 155–64.

Bosworth, R. B. (1996) *Italy and the Wider World, 1860–1960*, London: Routledge.

Bottai, G. (1939) 'Giuseppe Bottai alla Geopolitica', *Geopolitica* 1: 3–4.

Bottai, B. (1993) 'Vivere senza Jugoslavia', *Limes* 1993, 1: 143–50.

——— (1997) 'Jean Monnet visto da vicino', *Limes* 1997, 2: 149–56.

Burgwyn, H. J. (1993) *The Legend of the Mutilated Victory: Italy, the Great War and the Paris Peace Conference, 1915–19*, Westport: University of Connecticut Press.

Caraci, I. L. (1987) 'Storia delle geografia in Italia dall secolo scorso ad oggi', 47–94 in G. Corna-Pellegrini (ed.) *Aspetti e problemi di geografia*, vol. 1, Milano: Mondadori.

Caracciolo, L. and Korinman, M. (eds) (1998) *Italy and the Balkans*, Washington: Center for Strategic and International Studies.

Cerreti, C. (1997) 'San Giuliano e la non geopolitica dei geografi', *Limes* 1997, 3: 249–60.

Ciampi, G. (1997) 'A che servono I geografi', *Limes* 1997, 2: 295–301.

De Grand, A. (1978) *Bottai e la cultura fascista*, Bari: Laterza.

De Marchi, L. (1929) *Fondamenti di geografia politica*, Pàdua: Cedam.

Desfarges, M. (1996) *Introduzione alla geopolitica*, Bologna, Il Mulino.

Dickie, J. (1996) 'Imagined Italies', in D. Forgacs and R. Lumley (eds) *Italian Cultural Studies. An Introduction*, Oxford: Oxford University Press.

Duggan, C. (1994) *A Concise History of Italy*, Cambridge: Cambridge University Press.

Editoriale (1993) 'La Responsibilità Italiana', *Limes* 1993, 1: 7–11.

Ferraris, L. V. (1993) 'Dal Tevere al Danubio: l'Italia scopre la geopolitica da tavolino', *Limes* 1993, 1: 213–25.

Filippo de Magistris, L. (1923) 'Geografia e politica', *Gerarchia* 2: 1033–9.

Forgacs, D. and Lumley, R. (eds) (1996) *Italian Cultural Studies. An Introduction*, Oxford: Oxford University Press.

Gambi, L. (1994) 'Geography and imperialism in Italy: from the unity of the nation to the "New" Roman Empire', 74–91 in A. Godlewska and N. Smith (eds) *Geography and Empire*, Oxford: Blackwells.

Goddi, E. (1984) *Trieste*, Bari: Laterza.

Guerri, G-B. (1976) *Giuseppe Bottai: un fascista critico*, Milan: Feltrinelli.

Gundle, S. and Parker, S. (1996) *The New Italian Republic. From the Fall of the Berlin Wall to Berlusconi*, London: Routledge.

Haushofer, A. (1995) 'Che cosa é un corridoio?', *Limes* 1995, 3: 177–96.

Haushofer, K. (1939) 'Der Italienischen "Geopolitik" als Dank und Gruss!', *Geopolitica* 1: 12–16.

Heffernan, M. J. (1995) 'The spoils of war: the Société de Géographie de Paris and the French empire, 1914–1919',221–64 in M. Bell, R. A. Butlin and M. Heffernan (eds) *Geography and Imperialism, 1820–1940*, Manchester: Manchester University Press.

—— (1996) 'Geography, cartography and military intelligence: the Royal Geographical Society and the First World War', *Transactions of the Institute of British Geographers* 21: 504–33.

Herb, G. (1989) 'Persuasive cartography in *Geopolitik* and National Socialism', *Political Geography Quarterly* 8: 289–303.

Heske, H. (1987) 'Karl Haushofer: his role in German geopolitics and Nazi politics', *Political Geography Quarterly* 6: 135–44.

Hull, R. B. (1940) 'American raw material deficiencies and regional dependence', *The Geographical Review* 30: 147–62.

Izetbegovic, A. (1993) 'Dichiarazione islamica', *Limes* 1993, 1: 259–74.

Jacobsen, K-A.(1979) *Karl Haushofer: Leben und werk*, vols. I and II, Boppard am Rhein: Boldt.

Knox, M. (1982) *Mussolini Unleashed, 1940–1. Politics and Strategy in Fascist Italy's last war*, Cambridge: Cambridge University Press.

Lando, F. (1993) 'Geografi di casa altrui: l'Africa negli studi geografici italiani durante il ventennio fascista', *Terre d'Africa*: 73–124.

Lo Monaco, M. (1987) 'Ernesto Massi: mezzo secolo di analisi geografiche per la sintesi economica', in Dipartimento di Studi Geoeconomici, Statistici e Storici per l'analisi Regionale, Università di Roma, *Scritti in onore di Ernesto Massi*, Bologna: Zanicelli.

Lucchesi, F. (1993) 'Due Giorni si studio sul tema "Dalla Geografia Politica alla Geopolitica"', *Rivista Geografica Italiana* 100: 816–19.

Mack Smith, D. (1959) *Italy. A Modern History*, Ann Arbor: University of Michigan Press.

Malgeri, F. (1980) 'Giuseppe Bottai e "Critica Fascista"', 1–100 in G. De Rosa and F. Malgeri (eds) *Antologia di 'Critica Fascista', 1923–43*, Rome: Landi.

Marchesini, D. (1976) 'Romanità e Scuola di mistica fascista', *Quaderni di Storia* 4: 55–73.

Marinelli, O. (1903) 'Frederico Ratzel e la sua opera geografica', *Rivista Geografica Italiana* 10: 272–7.

Massi, E. (1930) 'Geografia politica e geopolitica', *La Coltura Geografica* 2: 137–45.

—— (1931) 'Geografia politica e geogiurisprudenza', *La Coltura Geografica* 2: 81–2.

—— (1932) 'Lo stato quale oggetto geografico', *Rivista di Geografia* 12: 169–76.

—— (1935) 'Aspetti geopolitici dell'Europa Danubiana', *Rassegna di politica internazionale* 6: 15–24.

—— (1937a) 'Il problema coloniale in Germania', *Vita e Pensiero* Febbraio: 3–12.

—— (1937b) *La partecipazione delle colonie alla produzione delle materie prime*, Milan: Istituto Coloniale Fascista.

—— (1938) 'Il valore economico dei "Mandati" Africani', *Africa* 56: 1–62.

—— (1939a) 'Römische und italienische Mittelmeer-Geopolitik', *Zeitschrift für Geopolitik* 16: 551–66.

—— (1939b) 'Democrazia, colonie e materie prime', *Geopolitica* 1: 17–35.

—— (1940) 'L'ora della geopolitica', *Critica Fascista* 18: 334–6.

—— (1986) 'Geopolitica: dalla teoria originaria ai nuovi orientamenti', *Bollettino della Società Geografica Italiana* 11, 3: 3–45.

Migliorini, E. (1930) 'Recensione e annunzi bibliografica', *Bollettino della Società Geografica Italiana* 6, 6: 620–2.

—— (1946) *La Terre e gli Stati, Geografia politica*, 2nd edition, Naples: Loffredo.

Millo, A. (1987) 'L'elite del potere a Trieste: dall'irredentismo al Fascismo', *Società e Storia* 36: 333–74.

Nice, B. (1943) 'Rassegna, Geografia politica', *Rivista Geografica Italiana*, 50: 48–162.

O'Loughlin, J. and van der Wusten, H. (1990) 'The political geography of pan-regions', *Geographical Review* 80: 1–20.

Ortolani, M. (1956) 'Orientamenti della geografia politica', *Il Politico, Rivista di Scienza Politiche* 21: 263–77.

Ó Tuathail, G. (1993) 'The effacement of Place: US Foreign Policy and the spatiality of the Gulf Crisis', *Antipode* 25: 4–11.

—— (1994) 'Problematising geopolitics: survey, statesmanship and strategy', *Transactions of the Institute of British Geographers* 19: 259–72.

—— (1996) *Critical Geopolitics*, London: Routledge.

Pagnini, M-P. (1987) 'La storia delle geografia politica', 409–42 in G. Corna-Pellegrini (ed.) *La storia della Geografia in Italia*, Milano: Mandadori.

Pagnini, M-P. and Galli, M. (1993) 'Contesa tra due patrie. l'Istria sceglie il regionalismo', *Limes* 1993, 1: 173–82.

Pfetsch, P. R. (1993) 'Sicherheit als begrift der internationalen Politik', *Geografische Zeitschrift* 81: 210–26.

Raffestin, C. and Farinelli, F. (1986) 'Seminario. "Geopolitica: dalla teoria originaria ai nuovi orientamenti"', in G. Dematteis (ed.), *Atti del 24 Congresso Geografico Italiana*, Turin: Einaudi.

Raffestin, C., Lopreno, D. and Pasteur, Y. (1995) *Géopolitique et Histoire*, Lausanne: Éditions Payot.

Ratzel, F. (1897) *Politische Geographie*, Munich and Leipzig: Oldenbourg.

Revelli, P. (1916) 'Una questione di geografia politica, L'Adriatico e il dominio del Mediterraneo Orientale', *Rivista Geografica Italiana* 23: 91–112.

—— (1918) 'Le origini italiane della geografia politica', *Bollettino della Società Geografica Italiana* 58: 394–416, 623–36 and 728–59.

—— (1919) 'Le origini italiane della geografia politica', *Bollettino della Società Geografico Italiana* 59: 230–43, 279–308 and 395–422.

Ricchieri, R. (1920) 'La geografia alla conferenza per la pace a Parigi, nel 1919', *Rivista Geografica Italiana* 27: 103–9.

—— (1921) 'L'elemento geografico nella grandezza delle Nazioni secondo il Prof. Giuseppe Ricchierri', *Rivista Geografica Italiana* 28: 125–6.

Roletto, G. (1933) *Lezioni di geografia politico-economico*, Padua: Cedam.

—— (1937) *Le tendenze geopolitiche continentali e l'asse Eurafrica*, Milan: Mondadori.

—— (1938) 'Per una geopolitica italiana', *Politica Sociale* 11: 44–5.

—— (1940a) 'La geoeconomica al servizio dell'espansione commerciale', *Commercio* 1: 17–18;

—— (1940b) 'Funzione geopolitica di Roma', *Commercio* 5–6: 8–10.

Roletto, G. and Massi, E. (1931) *Lineamenti di Geografia Politica*, Trieste: Università di Trieste.

—— (1939) 'Per una geopolitica italiana', *Geopolitica* 1: 5–11.

Roncagli, G. (1919) 'Physical and strategic geography of the Adriatic', *The Geographical Journal* 53: 209–28.

Rose, G. (1995) 'Tradition and paternity: same difference?', *Transactions of the Institute of British Geographers* 20: 414–6.

Sandner, G. and Rössler, M. (1994) 'Geography and empire in Germany, 1871–1945', 115–27 in A. Godlewska and N. Smith (eds) *Geography and Empire*, Oxford: Blackwell.

Santoro, C. M. (1996) 'L'ambiguità di *Limes* e la vera geopolitica: elogio della teoria', *Limes* 1996, 4: 307–13.

Segatti, P. (1993) 'Trieste, un buco nero nella coscienza della nazione', *Limes* 1993, 1: 159–71.

Sema, A. (1993) 'Il triangolo strategico Trieste-Fiume-Capodistria', *Limes* 1993, 1: 183–95.

Serra, E. (1984) *La Diplomazia in Italia*, Milan: Mondadori.

Sfrecola, A. (1997) 'Il pensiero geopolitico italiano', 61–79 in P. Lorot (ed.) *Storia della geopolitica*, Trieste: Asterios.

Toniolo, A. R. (1923) 'I moderni concetti di geografia sociale e politica', *L'Universo* 4: 203–12.

—— (1930) 'Politica e Geografia', *Il giornale di politica e letteratura* 6: 303–24.

Toscano, M. (1937) 'Il problema coloniale italiano alla conferenza della pace', *Rivista di studi politici internazionale* 4: 263–96.

Toschi, U. (1937) *Appunti di geografia politica*, Bari: Macri.

—— (1949) 'L'oggetto centrale di studio della geografia politica', *Rivista Geografica Italiana* 56: 81–9.

Tudman, F. (1993) 'Deriva della verità storica', *Limes* 1993, 1: 247–57.

Valussi, G. (1965) 'L'Opera scientific di Giorgio Roletto', *Bollettino della Società Geografica Italiana* 9, 6: 313–26.

Vidal de la Blache, P. (1898) 'La Géographie politique, à propos des écrits de M. Frédéric Ratzel', *Annales de Géographie* 7: 97–111.

Vinci, A. (1990) '"Geopolitica" e balcani: l'esperienza di un gruppo d'intellettuali in un ateneo di confine', *Società e Storia* 47: 87–127.

Wilkinson, H. R. (1951) *Maps and Politics: A Review of the Ethnographic Cartography of Macedonia*, Liverpool: Liverpool University Press.



الفصل السادس

الجيوبوليتيكا الأيبيرية

جيمس سيداواي



مقدمة

يعتبر الشيوعى الإيطالى أنطونيو جرامشى من أوائل من قدموا إشارات عابرة لظهور الخطاب الجيوبوليتيكى. وقد وقعت أعين جرامشى على مثل هذه الأشياء رغم - وربما بسبب - سجنه الطويل فى سجن فاشى فيما بين ١٩٢٧ و ١٩٣٥Gramsci) (1949:221 ورغم هذه الإشارات العابرة، ورغم الاهتمام بتأسيس "جيوبوليتيكا ماركسية أو بروليتارية" فى كتابات عدد محدود من الألمان والمجريين (انظر فى ذلك Bassin 1996) إلا أن أندرس ستيفنسون Anders Stephansen (1989:137) ذهب إلى القول بقدر من الثقة إن "الجيوبوليتيكا لم تجد أبدا مكانا مناسبا فى التقليد الماركسى، فضلا عن أن تحظى بتنظير جيد[١] .

و نظرا لأن الجيوبوليتيك أيديولوجية الطابع وتنتمى لطيف واسع المدى من الخطاب الفكرى فإن الإشارات والثقافات جعلت منها موضوعا خصبا لتحليل حديث لمرحلة ما بعد البنيوية[٢]. وعلى نحو ما أوضح تطور الجيوبوليتيكا النقدية، فإنه ما إن يتم الاعتراف بأن الجيوبوليتيكا تعمل كخطاب، وكتسجيل للعالم، وكقوة وكمعرفة عملية، فإن ذلك سيجعلها متاحة لصياغة المفاهيم والتحليل وإعادة التركيب. وفى ضوء هذه المعانى يحاول هذا الفصل تناول التقاليد الجيوبوليتيكية الأيبيرية. أى الأسبانية والبرتغالية (أو بالتحديد القطالونية والقشتالية). ويعتبر هذا التحليل مبدئيا، ولذلك لابد من إجراء دراسة أطول وأعمق وأدق، لما تستحقه هذه التقاليد. حيث يصف هذا الفصل مقطعا عرضيا مختارا من الخطابات الجيوبوليتيكية البرتغالية والأسبانية. ويرجع جزء من هذا الاختيار إلى طريقة تدخلها وتكوينها لجزء من البيان الأوسع للأنظمة السلطوية اليمينية التى سيطرت على البلدين لمعظم القرن العشرين. ومع ذلك، نجد أنه بالرغم من

أنها تدخل فى السياسة الاستعمارية والقومية الأوسع ,إلا أن الخطابات الجيوبوليتيكية الواعية- مثل التقاليد الألمانية والبريطانية والفرنسية والأمريكية- يمكن تحديدها فى البلدين. وبدون الادعاء بتقديم الوصف الممثل الكامل، يتتبع هذا الفصل بعض المسارات الرئيسة فى كل منهما ويحدد بعض أنماطها الأساسية. وسوف نترك الموضوع المعقد الخاص بالعلاقات بين البرتغال واسبانيا جانبا.

حيث شهد البلدان دعوات للوحدة الأيبيرية، خاصة فى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر والسنوات الأولى من القرن العشرين. وبعد ذلك، كان لدى فرانكو وحزب "الكتائب" اتجاه سلبى نحو البرتغال فى أوائل الأربعينيات، وبالرغم من إبرام اتفاقية "صداقة وتعاون" بين الدولتين فى ١٩٣٩ . إلا أن فرانكو كانت لديه نظرة متشائمة لما كان يعتبره موقفا مؤيدا للحلفاء نوعا ما من جانب البرتغال (ظلت الدولتان رسميا محايدتين طوال معظم الحرب العالمية الثانية، أما فى حالة أسبانيا فكانت الحقيقة تتمثل فى توجه متميز مؤيد للمحور). وبعد ذلك تقاربت الدولتان؛ حيث طلبت البرتغال من الحلفاء دخول أسبانيا إلى الناتو، وذلك بعد انضمام الأولى واستبعاد الثانية عندما تأسس حلف الأطلنطى رسميا فى ١٩٤٩[٢].

ويبدو أن الروايات التاريخية للفكر الجيوبوليتيكى (المكتوبة بالإنجليزية على الأقل) لا تدرك غالبا مدى أهمية الخطاب الجيوبوليتيكى البرتغالى والأسبانى فى القرن العشرين (فضلا عن سوابقها الاستعمارية فى القرن التاسع عشر). ولكن هذا لا يعنى القول إن الخطاب الجيوبوليتيكى البرتغالى والأسبانى لم يكن ملحوظًا على نطاق واسع. فنتيجة لظهور أنظمة ديكتاتورية "مدفوعة جيوبوليتيكيا" فى البرازيل والطرف الجنوبى من أمريكا اللاتينية فى السبعينيات، قدم الكثير من التعليقات على الأهمية التاريخية (والإيكولوجية) الواضحة لجيوبوليتيكا أمريكا الجنوبية، وظهر العديد من التقارير (Child 1985; Dodds 1993; Hecht and Cockburn 1989; Hepple 1992)

ولكن عندما نعود إلى العاصمتين البرتغالية والأسبانية؛ فإننا لا نجد مثل هذه التغطية الواسعة لكتاباتهما الجيوبوليتيكية. إلا أن حقيقة أن الدولتين عانتا من

الدكتاتورية اليمينية حتى منتصف السبعينيات والمظاهر الإمبريالية والفاشية أحيانا لكل من فرانكو و سالازار وزملائهما، قدمت (فى الحالتين) أرضا خصبة نسبيا لتداول وتفسير أشكال خاصة من الجيوبوليتيكا. وتعتبر الحالة البرتغالية الأقل شهرة والأكثر أهمية من حيث نطاق وأهمية الخطاب الجيوبوليتيكى بالنسبة للأيديولوجية الرسمية للنظام[٤]. ولذلك ستكون الموضوع الرئيس للتحليل هنا، ولكننا سنتناول أيضا العناصر الرئيسية للجيوبوليتيكا الاسبانية. ويجب أن نؤكد ثانية أن الدراسة مبدئية، وأنه لابد من إجراء المزيد من العمل لفك تعقيد هذه التقاليد، وفهم علاقاتها، وتناقضاتها، وتضارباتها، وأهميتها، واستعادتها إلى مكانها الصحيح (الأكثر مركزية) فى التاريخ الأوسع للتقاليد الجيوبوليتيكية، نظرا لقيمتها.

"البرتغال ليست دولة صغيرة ! و"أسبانيا: كيان جيوبوليتيكى استثنائى"

لقد شارك المواطنون الأسبان والبرتغاليون فى التداول الأوسع للأفكار التى سادت أوروبا فى فترة ما بين الحربين، بالرغم من أن ذلك كان هامشيا نسبيا بالنسبة إلى التيارات الرئيسة. ففى الحالتين، أصبحت مصطلحات مثل "الأقاليم الاتحادية" و"المجالات الحيوية" و"الجزيرة العالمية" و"قلب الأرض " بارزة فى الحوارات الأوسع للسياسات والثقافات البرتغالية والأسبانية. وبالتحديد، فقد تداخلت الإشارات إلى "الجيوبوليتيكا" مع تخيل مفاهيم الاستعمارية والإمبريالية والتجديد وفكرة "الرسالة" الخاصة للدور الأسبانى (والبرتغالى بالتحديد) أو التفوق والسيادة بين الدول الاستعمارية (باعتبارها أولى الدول الأوروبية العابرة للمحيطات)، بالإضافة إلى أفكار الرسالة المسيحية فى طليعة الجيش المفترض ضد الشرق "غير المتحضر" و"غير المتمدن".

وأصبح ذلك أكثر تفصيلا فى لغة الحرب الباردة؛ حيث كانت أسبانيا "المسيحية - المتحضرة" والبرتغال(خاصة) وإمبراطوريتهم العالمية بمثابة "الحدود الغربية الحيوية

المواجهة للنفوذ والقوى الشيوعية "الشرقية الملحدة غير المتحضرة". وبعبارة أخرى، فإنه عندما نعود إلى الإنتاج الرسمي "للجيوبوليتيكا" فى أسبانيا والبرتغال، سنجد مفاوضات محلية معقدة لتدفقات الأفكار بين الدول على نطاق واسع. وفى اسبانيا على وجه الخصوص، كانت هناك صلات جوهرية مع التراث الجيوبوليتيكى الألمانى الذى أنتجه كتاب عسكريون (وبعض الأكاديميين) ونشر فى أوائل الأربعينيات فى (مجلة الجيش) وأحيانا فى دورية "الدراسات الجغرافية"(٥).

وبالإضافة إلى ذلك، تطورت الجيوبوليتيكا فى أسبانيا فى أعمال المؤرخ القطالونى جيم فيسنس فيفس (Vicens Vives 1940) الذى نشر دراسة

ضخمة (Vicens Vives 1940) مليئة بعشرات الخرائط عنوانها "أسبانيا: جيوبوليتيكا الدولة والإمبراطورية" وبعدها بعشر سنوات (Vicens Vives 1950) نشر "رسالة فى الجيوبوليتيكا". ويرجع اهتمامه هذا جزئيا إلى قراءته "مجلة الجيوبوليتيكا" الألمانية فى الثلاثينات، حيث نشر مقالا فيها بعد ذلك عن "إسبانيا وجيوبوليتيكا النظام العالمى الجديد" (Vicens Vives 1941) وهكذا انتشرت الإشارات إلى الجيوبوليتيكا و"الخرائط الجيوبوليتيكية" فى كتاباته التاريخية والصحفية الأوسع التى أنتجها طوال الخمسينات والستينات. ومع ذلك، فباستثناء كتابات فيسنس فيفس والكتابات التاريخية المتأخرة المماثلة عن التراث التقليدى (Beneyt0 1972)، نجد أن النصوص الجيوبوليتيكية العسكرية والأكاديمية الأسبانية فى الأربعينات لم تراجع جيدا فى العقود التالية. وبدلا من ذلك، انتقل الخطاب الجيوبوليتيكى إلى النصوص الجغرافية فى المدارس الثانوية برعاية رسمية (Andrés Zapatero 1950) ووجدت صدى لها فى بعض أفكار فرانكو عن الأهمية الجيوبوليتيكية لأسبانيا بالنسبة لأمن "الغرب" بعد اتفاقية القواعد مع الولايات المتحدة فى١٩٥٣ ، وتنشيط عقلية "الحملة ضد الشيوعية"(٦). فبالنسبة لفرانكو كانت الاتفاقية مع الولايات المتحدة تمثل أساسا لإحياء الدور الحيوى لأسبانيا فى الغرب "المناهض للشيوعية" وهو ما سمح لفرانكو باستعادة مكانته كحليف غربى بعد هزيمة المحور (الفاشى أو النازى) فى ١٩٤٥ (والذى كان قريب الصلة منه خلال الحرب العالمية الثانية).

ومع ذلك، تكشف القراءة النقدية الواسعة للأفكار "الاسبانية" عن وجود جيوبوليتيكي أصيل فى الأدبيات الأساسية وفى الحوارات حول "الهويات الأسبانية"، عقب خسارة معظم ما تبقى من الإمبراطورية، خاصة كوبا والفلبين، فى ١٨٩٨ . وقد أصبحت مسائل علاقة اسبانيا بأوروبا وأيبيريا (الواردة فى الأدبيات البرتغالية والجاليجية والقطالونية) بالإمبراطورية القديمة "المفقودة" حاليا فى الأمريكتين وآسيا، وطبيعة "التخلف" الثقافى والبنيوى الأيبيرى، وآفاق "البعث القومى"، من الموضوعات الرئيسة لمجموعة من المثقفين الذين أصبحوا يعرفون باسم "جيل عام ١٨٩٨"[٧]. وبالإضافة إلى المبادرات الاسبانية غير المتبادلة مع أمريكا اللاتينية، التى تساندها فكرة "الاسبانية" المحافظة المناهضة للشيوعية، فإن أحد جوانب أفكار هذا البعث ارتبط بالمخططات الاسبانية القديمة لإفريقيا من أجل إمبراطورية اسبانية جديدة[٨]، وفى ضوء العلاقة العامة والنشطة بين المعارف الجغرافية وجيوبوليتيكا (بناء الإمبراطورية) قدم Capel (1994) تقريرا أساسيا مؤخرا. ومع ذلك، تقدم أطروحة الدكتوراه التى قدمها Hahs (1980) تقريرا كاملا عما أصبح يعرف باللوبى "الإفريقى"، ووجوده المؤسس فى "جمعية مدريد الجغرافية"، والمنظمات التابعة لها وعلاقتها مع جيل ١٨٩٨فى صورة الشخصية المعقدة (يواكين كوستا) الشخصية البارزة فى الجهتين. وتأييدا لمطالب أخرى بالوحدة، نصح كوستا أيضا بإتباع طريق مختصر للإمبراطورية الاسبانية من خلال ضم البرتغال، حيث كتب فى ١٨٨٢ عن "الاهتمامات الاسبانية والمسألة الإفريقية" قائلا:

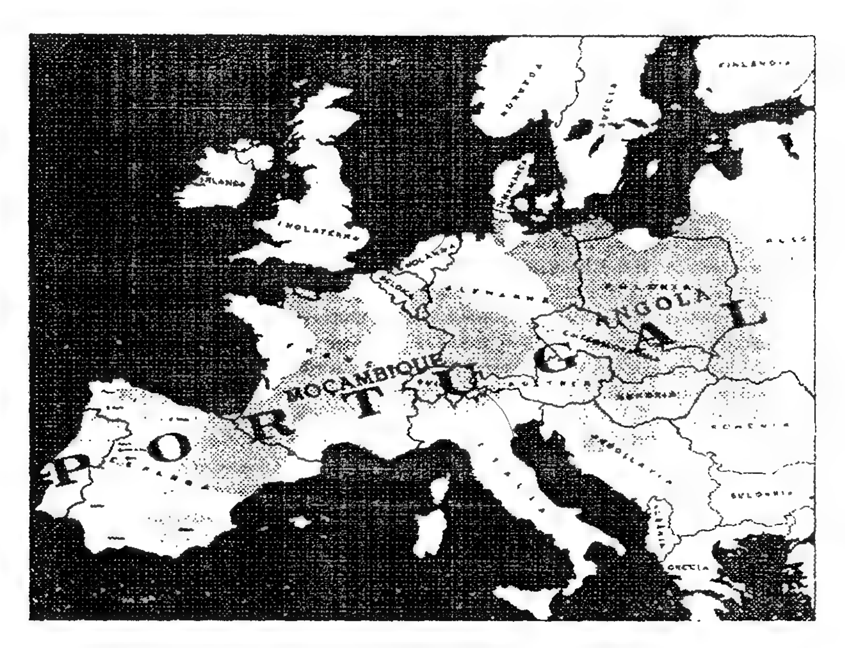
"إن الأراضى البرتغالية – سواء كانت فى أوروبا أو فى أفريقيا– هى أراضى اسبانية، وذلك بنفس الحق ولنفس السبب الذى جعل من فينيسيا وروما مقاطعتين من إيطاليا منذ عشرين سنة أى قبل اندماجهما فى الدولة الإيطالية بفترة طويلة ولذلك لن أمل من تكرار: البرتغال هى إسبانيا، إسبانيا غير المستردة". (مقتبس فى Hahs, 1980:162).

وفى النهاية يختتم هاس قائلا: " إن المتأخرين لم يتخطوا أبدا حدود اللوبى ليصبحوا طليعة جيش الحركة القومية. وبالرغم من أنهم كانوا مأسورين تماما بالزحف (نحو المستعمرات الإفريقية)، إلا أن أسبانيا لم تكن كذلك" (Hahs (1980:303

ولكن اللوبى الامبريالى التعديلى ظل فى اسبانيا واضحا فى تعبيرات فرانكو، خاصة بعد انتصاره فى أواخر الثلاثينيات وفى السنوات الأولى من الحرب العالمية الثانية (Preston 1993 وفى نصوص مثل "الإصلاحات الاسبانية" العظيمة:[٩] (Areilz and Castella (1941) وبعد ١٩٤٥ تقلص كل هذا إلى تصورات متبقية عن الغرب والصحراء الغربية. وفى هذا الصدد، يشير هاس فى وسط سيل من الكتابات والتحليلات الجغرافية إلى أعلى مرحلة من "الأفريقانية" قائلا:

"تؤكد المرحلة العليا من الأفريقانية على أن اسبانيا والمغرب يكونان منطقة جغرافية واحدة (تحدها جبال أطلس وجبال البرانس) ومتميزة عن كل من أفريقيا وأوروبا" (Hahs (1980:12

وكان يجب التعبير عن هذا من خلال خطاب جيوبوليتيكى يتكلم عن "المجال الحيوى" لاسبانيا، الذى يشمل شمال أفريقيا، وعن اسبانيا "ككيان جيوبوليتيكى استثنائى" يبدأ من جبال البرانس ويمتد إلى جبال أطلس، أو عن نطاق لحدود إمبراطورية "أيبيرية – مغربية" (Armado 1940; de Reparz 1924) وعند قمع الثورات المناهضة للاستعمار فى "الإمبراطورية الجديدة" المغربية التابعة لاسبانيا، شكلت القوات المسلحة نمطا جديدا من الغزو والسيطرة (واستخدمت قوات مرتزقة) حررها فرانكو بعد ذلك فى الجمهورية. وكان تمرد فرانكو ضد الجمهورية يعنى أن هناك "سياسة" جديدة لشبة الجزيرة الأيبيرية، مليئة بتصورات وإشارات من حروب العصور الوسطى ضد الدول العربية البربرية، ومن الغزو الاسبانى للعالم الجديد، ومدعمة بأساليب الحرب والقمع المجربة فى الحروب الاستعمارية فى الغرب. وكانت هذه الأساطير التاريخية الجغرافية التى اجتمعت مع مناهضة الشيوعية هى التى زادت إحساس فرانكو بأهمية إسبانيا الجيوبوليتيكية الحيوية للدفاع عن الغرب.



شكل (٩) " البرتغال ليست دولة صغيرة"

المصدر: Henrique Galvao 1934: Post-1945 reissue

وكذلك تظهر قضايا الإمبراطورية واضحة فى الجيوبوليتيكا البرتغالية التى تتداخل وتأخذ الكثير من معالمها من الخطاب الاستعمارى الأوسع، كما حدث فى إسبانيا[١٠]. إذ كانت البرتغال أول وآخر دولة أوروبية لها إمبراطورية كبيرة وراء البحار، و هذه حقيقة كان يحتفى بها وشكلت خطابها الجيوبوليتيكى. ويتضح نطاق الإمبراطورية البرتغالية فى القرن العشرين بيانيا فى الخريطة الواردة فى شكل (٩). حيث تمثل عملية إعداد الخرائط تركيزا لخطاب جيوبوليتيكى، كما توضح دراسات حالات أخرى عديدة للخرائط الجيوبوليتيكية/الاستعمارية الفرنسية والإيطالية والأمريكية اللاتينية (Basset1994 ;D0dds 1993; Atkinson 1995) وتحظى هذه الجيوبوليتيكا المركزة بأهمية خاصة عندما تكون الخرائط واضحة وقاطعة فى مظهرها

ومعناها، وتعرض على جمهور عريض. ففى البرتغال خلال ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين، حدث هذا "النشر" فى سلسلة مكثفة من المعارض الاستعمارية، ومن خلال عرض الخرائط فى المبانى العامة والمدارس والجامعات، وبالتالى إثارة مستمرة لخيال الجغرافى القومى.

وكانت الخريطة المعروضة فى شكل (٩) قد أنتجت أصلا كجزء من (المعرض الاستعمارى البرتغالى الأول) الذى أقيم فى بورتو فى ١٩٣٤ . وكان عنوانها الفرعى (البرتغال ليست دولة صغيرة!) يؤكد التعبير الكارتوجرافى عن الإرادة الجيوبوليتيكية. وعلى عكس الخرائط التعديلية التى ظهرت فى ألمانيا (Herb 1996) واليابان فى نفس الوقت- أو الخرائط البرتغالية السابقة (مثل خريطة روز الملونة) التى نشرت فى ١٨٨٧ لعرض مطالبة البرتغال بإقليم فى جنوب أفريقيا من المحيط الأطلنطى إلى المحيط الهندى- فإن هذه الخريطة لم تكن بالطبع تمثل أى تهديد حقيقى أو مصدر للإزعاج للقوى الأوروبية الأخرى[١١]. فقد كانت توضح ببساطة أن البرتغال كانت عظيمة فعلا مثل القوى الإمبريالية الأخرى. وأنها كانت "عظيمة" مثل أية قوة قارية أوروبية، وبدون حاجة إلى نظام عالمى جديد. ومن المؤكد أن هنريك جالفاو- مصمم هذه الخريطة والذى يتسم بإنتاج وفير لكنه شخصية "محيرة" فى نهاية الأمر- كان يدرك الخطاب الجيوبوليتيكى الأوسع لأورافريقيا، أى الفكرة (الهامة فى الجيوبوليتيكا الألمانية) القائلة بأن العالم يمكن تقسيمه إلى ثلاث مناطق امبريالية طولية (أورافريقيا، وآسيا، والأمريكتين) وذلك بحيث يكون لدى كل منها نصيبه من الموارد والاكتفاء الذاتى النسبى[١٢] (O Loughlin and Van der Wusten 1990)؛ حيث يشير جالفاو إلى أورافريقيا فى منشور فى ١٩٣٦ عن "الإمبراطورية"، قائلا:

"إن تاريخ البرتغال ينعكس تتابعيا: مع تكوين المملكة (القرن الثانى عشر)، وحتمية شبة الجزيرة، ومع الصراع ضد المغاربة- وهو الصراع الذى ضمن لأوروبا الدفاع ضد هذا العنصر المعادى للأوروبيين- ومع الحتمية الأوروبية، فى النهاية، ثم مع التوسع فيما وراء البحار، وأخيرا مع الحتمية العالمية"(Gãlvao 1936:5)

كما يذهب جالفاو إلى القول :

"إن رفض "التدمير المعنوى والمادى" "للسياسة الليبرالية" جعل البرتغال دولة فى طليعة حضارات العالم، قدمت للآخرين مثالا يحتذى على نهضة حضارة متوازنة ورغبة صادقة فى تبليغ "الرسالة" التى منحنا إياها القدر "(Galvão 1936: 8) وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذه "الإمبراطورية البرتغالية" هى بمثابة عامل النظام والحضارة والروح المسيحية.

ثم يضيف قائلا:

" تمثل حالة صحية فى أوروبا المريضة اقتصاديا وسياسيا، وتمثل حاجزا ضروريا (يمكن الاعتماد عليه) لأنها تضمن نظام الأشياء والأشخاص... ولأنها تعتمد على منهج ولأنها "قوة"... ولأن الإفلاس الأوروبى أمام أمريكا يتطلب إعادة تنظيم روحى وسياسى واقتصادى، وهذا لا يمكن أن يتحقق تلقائيا- إلا من خلال تكوين قارة أورأفريقية اقتصادية جديدة لتواجه القارة الاقتصادية الأمريكية. إذ إن موقعنا الجغرافى ومدى سيطرتنا فى أفريقيا يمنحنا مكان الإلهام في هذا العمل فى المجال الأوروبى البارز." (Galvão 1936: 8)

وعندما يردد سالازار مثل هذه الآراء، فلا عجب أن نعلم أن خريطة جالفاو أعيد إصدارها فى الأربعينيات و"عرضت بإسراف فى المدارس والخدمات العامة الأخرى"(١٣)، أو أن مسئولين عسكريين واستعماريين آخرين لاحظوا أن بعض وجوه التفسير الجيوبوليتيكى الألمانى يمكن أن تكون بمثابة منهجيات منظمة مفيدة صالحة للتطبيق لصالح الإمبراطورية البرتغالية (Rita 1944) ومع ذلك، تعتبر هذه الإشارات البرتغالية إلى الجيوبوليتيكا باللغة الألمانية غير هامة نسبيا، عندما نأخذ فى الحسبان المدى المطلق لتصنيفات المصير البرتغالى وإصلاحات الرسالة والممارسة الامبريالية(١٤). واختصارا، لم تكن هناك "حاجة" تفرض على البرتغال أن "تستورد"

أفكارا جيوبوليتيكية أجنبية، وذلك بنفس الطريقة التى أثرت بها الكتابات الجيوبوليتيكية الألمانية على إيطاليا، أو على العديد من دول أمريكا اللاتينية بعد ذلك مباشرة. فقد طورت البرتغال خطابا جيوبوليتيكيا أصيلا، وإن كان ينتمى إلى الإطار الفاشى والإمبريالى الأوسع، إلا أنه سجل خصوصية متميزة، واعتمد أساسا على الأفكار البرتغالية الراسخة عن الرسالة والمصير.

وفى ضوء الدراسة النقدية المتميزة لأيديولوجية سالازار فى "الدولة الجديدة": " فإن تماسك النظام قد تدعم ذاتيا من خلال مفهوم جغرافى خاص للغاية، يتصور أن العالم وجد من خلال وسائل الاكتشاف الذى قام به البرتغاليون فقط (Guimarães 1987: 111)

وهكذا فإنه بينما استمر صفوة التجار وأصحاب الأراضى فى جنى معظم المكاسب، استطاعت البرتغال أيضا أن تستمر فى تقديم أفكار المصير البطولى والفريد على الساحة العالمية (Claraence Smith 1985) وطورت خطابا جيوبوليتيكيا ينظم هذا، وجيوبوليتيكا عملية للإمبراطورية والحياد الرسمى، وإتباع مسار "حذر أحيانا" بين الحلفاء والمحور مع بيع مواد خام حيوية لكل منهما(١٥). وسوف نصف هذا الخطاب وخصوصياته لاحقا. ويكفى القول هنا إنه استمر وأصبح أكثر تفصيلا بعد الحرب العالمية الثانية. وذلك لأن نظام سالازار– مثل نظام فرانكو– لم يسقط (كما كان العديد من الشخصيات المعارضة يأملون) بعد انهيار الفاشية الأوروبية فى ١٩٤٥ . ففى الواقع حظى النظامان بقدر معين من الاعتراف والشرعية الدولية من خلال المشاركة فى حلف الأطلنطى بقيادة أمريكا. وكانت البرتغال من بين الأعضاء المؤسسين للناتو فى ١٩٤٩، وعندما تفاقمت الحرب الباردة فى الخمسينات، اندمجت الأراضى الاسبانية رسميا (من خلال الحلف الأمريكى الأسبانى فى مدريد فى ١٩٥٣فى نظام التحالف العسكرى الغربى (بالرغم من أنه يجب أن نضيف أنه بسبب ارتباطها الوثيق بقوى المحور وقت الحرب، كانت إسبانيا لا تزال لم تدخل الناتو رسميا)(١٦).

وفى النظام العالمى الجديد بعد ١٩٤٥، استطاعت البرتغال بسرعة أن تحتل لنفسها موقعا آمنا (وبصعوبة أقل من اسبانيا التى كانت أكثر ارتباطا بقوى المحور المهزومة). وبذلك تحولت الصياغات الجيوبوليتيكية الامبريالية للعشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات إلى أشكال جديدة ومدهشة نوعا ما. ولذلك سأحاول فى الأجزاء التالية توضيح هذه الأشكال وأبين تفسيراتها المتناقضة بصورة متزايدة حتى الانقسام الناتج عن الانقلاب العسكرى اليسارى فى ٢٥ أبريل١٩٤٧ . ويتبع ذلك بعض الملاحظات العامة على هذا الانقلاب، مع مقارنات إضافية مع الخطابات الاسبانية، وتقديم بعض المقترحات البحثية الإضافية.

تكامل حتى لا تستسلم

وفى ضوء ما يمكن أن يطلق عليه دستور جيوبوليتيكى متطور (حسب Taylor 1990, 1993)، وعلى حساب المخاطرة بتخطيط معين، يتضح عدد من الملامح فى الخطابات الجيوبوليتيكية البرتغالية فيما بعد ١٩٤٥[١٧]. وقد يكون أهمها الحفاظ على (بل توحيد) الإمبراطورية. إذ إن طول عهد البرتغال كمركز عصبى لإمبراطورية بحرية مترامية الأطراف وضع أساس مركزية جامدة. ومع ذلك، كان التدهور الاقتصادى النسبى الطويل. وظهور قوى أوروبية أخرى، يعنى التعرض لتحديات . حيث ضاعت البرازيل فى عشرينات القرن التاسع عشر، وذلك عندما فُرضت السياسة الأوربية- فى صورة الحروب النابليونية- على المشروع البرتغالى. وتبقى بعد ذلك الإمبراطورية الأفريقية، حيث أدى تقسيم إفريقيا عند نهاية القرن التاسع عشر إلى حصول البرتغال على أراضى أنجولا وموزمبيق فى جنوب إفريقيا، وغينيا فى غرب إفريقيا، الرأس الأخضر وساو تومى و برنسيب. وبالإضافة إلى ذلك احتفظت البرتغال ببعض المناطق الصغيرة نسبيا من آسيا: جوا، داماو و ديو، ماكاو وتيمور الشرقية.

وما أن "استقر " "النظام العالمى" الجيوبوليتيكى بعد 194K إذا كان بوسعنا هنا استخدام مصطلح "النظام العالمى" لوصف توازن الرعب النووى والآلية المستمرة لتصفية الاستعمار الرسمى وتكوين الدول على هامش الإمبراطوريات)، حتى ظهر ملمح

محدد للدستور البرتغالى يشمل الاندماج فى النظام الأطلنطى لحلف الناتو: الذى كانت البرتغال عضوا مؤسسا فيه كما ذكرنا سلفا. فعند تكوين التحالف حاول سالازار بدون نجاح أن يوسع المنطقة الداخلة فى نصوص حلف الناتو لتشمل الإمبراطورية البرتغالية، وأثارت عضوية الناتو سلسلة من الحوارات فى الجيش حول نمط تكامل البرتغال فى النظام الجديد، ومع ذلك لم يستطع أى منها تحويل مركزية الإمبراطورية إلى جيوبوليتيكا الدولة الجديدة(١٨). وكذلك مثلت عضوية الناتو مستوى معينا من الاستمرارية فى التوجه البرتغالى، وذلك من حيث ما يشير إليه (Teixeira(1992:124 "بالتحالف الدائم والمتميز مع قوة بحرية فى المحيط الأطلنطى الذى كان تقليدا فى السياسة الخارجية البرتغالية". بينما سجلت فى نفس الوقت أن الدور الأساس لتلك القوة قد انتقل الآن إلى الجانب الآخر من الأطلنطى. وأدت عضوية الناتو أيضا إلى تحديث تقنى سريع للقوات المسلحة، وعندما بدأت الحركات القومية الحديثة فى مكافحة الحكم البرتغالى (من أوائل الستينيات) فى إفريقيا وتيمور الشرقية، كانت أسلحة ومعدات الناتو (وقدر من التأييد الدبلوماسى) مهمة للإجراءات المناهضة للبرتغال-Crol) len 1973; Minter 1972)

وهناك ملمح هام فى "الهيكل" الجيوبوليتيكى ظهر بعد ١٩٤٥، وهو أن "مستعمرات" ما وراء البحار البرتغالية أصبحت "مقاطعات" ما وراء البحار. وأصبح هذا الإجراء رسميا فى ١٩٥١، مع نشر دستور معدل حوّل مصطلح "المستعمرات" إلى "المقاطعات". وفى كتاب "سياسة البرتغال فيما وراء البحار" الذى نشرته جمعية لشبونة الجغرافية بعد ذلك بعدة سنوات، نقرأ ما يلى:

"لقد اخترنا فى ١٩٥١ التسمية التقليدية "لمقاطعات ما وراء البحار"، والتى تعد تسمية أفضل للتوافق مع مبدأ الوحدة، ومتفقة كذلك مع التعاون الوثيق بين كل شعوب ومكونات الأراضى البرتغالية".

وبهذا المعنى تقرر المواد ١٣٤و ١٣٥و١٣٦ من الدستور الحالى ما يلى:

المادة ١٣٤: تسمى الأراضى البرتغالية فيما وراء البحار... مقاطعات. وتنظم سياسيا وإداريا بما يناسب الوضع الجغرافى، وأحوال المستوى الاجتماعى.

المادة ١٣٥: تعتبر مقاطعات ما وراء البحار جزءا مكملا من الدولة البرتغالية ومترابطة فيما بينها ومرتبطة "بالعاصمة".

المادة ١٣٦: يشمل التضامن بين مقاطعات ما وراء البحار و"العاصمة" الالتزام بالمساهمة فى تحقيق شكل مناسب يضمن تكامل الأمة كلها والدفاع عنها وعن غايات السياسة القومية المحددة طبقا للصالح العام من خلال الأعضاء ذوى السيادة" (Bahia dos Santos 1955:152-3)

ومن خلال المصطلح التشريعى الخاص بهم، تعبر هذه المواد عن إحدى الصياغات الأساسية للإمبريالية البرتغالية بعد ١٩٤٥ . والتى يمكن تلخيصها فى بيت الشعر التالى (تكامل حتى لا تستسلم) فقد أعيد تسمية "المستعمرات" "باسم مقاطعات ما وراء البحار"، وبالتالى أصبحت مرتبطة قانونا بعاصمة البرتغال. وأصبح سالازار مغرما بالقول إن أنجولا أو موزمبيق كانت دستوريا مثل مقاطعات البرتغال الأخرى تماما، مثل الجرف أو لشبونة. وكان هذا المنطق يتمثل فى محاولة إبطال دعوات تصفية الاستعمار؛ لأنه إذا كانت المستعمرات، عبارة عن "مقاطعات" ببساطة، فلن تكون البرتغال قوة استعمارية، فهى "مختلفة" (عن القوى الاستعمارية "الأخرى")، وهى "قوة قارية متعددة" ذات أقاليم (مقاطعات) فى أنحاء العالم.

وكما يقول دى فيجوريدو فى مقالة نقدية متعمقة:

"ترتب على ذلك حيلة دستورية أخرى، لا يفسرها إلا خمول البرتغال و"الغطاء" الذى قدمته الدبلوماسية الغربية. فمن خلال التعديل الصادر فى ١٩٥١، مرت "الإمبراطورية الاستعمارية" "بثورة" لفظية دقيقة؛ حيث اعتبرت كل المستعمرات بمثابة "مقاطعات" وراء البحار تابعة لدولة واحدة. واختفت كلمتا "الإمبراطورية" و"المستعمرات" فجأة، ولم تكن هذه مهمة بسيطة، لأنهما كانتا مطبوعتين على ملايين الأدوات الكتابية والعملات والمذكرات والمؤسسات الحكومية والعلامات التجارية وأسماء المصالح الخاصة" (de Figueirede 1975:206-7)

ويذكر دى فيجوريدو كيف أن تعديل ١٩٥١ كان فى الحقيقة عودة إلى فكرة الإمبراطورية الاتحادية رسميا فيما قبل الجمهورية، ولكن كان لها وظيفة معاصرة متميزة. لأن كل ذلك يعنى أن البرتغال تستطيع لاحقا ادعاء أنها لم تكن قوة استعمارية يجب (مثل الإمبراطوريات الأوروبيات الأخرى) إجبارها على تصفية الاستعمار، لأنه كما قال سالازار 1958 (Salazar 1960a) فإنه:

"لا توجد ممتلكات برتغالية، ولكن هناك بصمات(نوعا ما) للبرتغال منتشرة فى العالم: فى لشبونة، فى الرأس الأخضر، فى أنجولا، فى غينيا، فى تيمور، أو فى مكاو، إنها "الأم" دائما."(١٩) 1958 (Salazar 1960a)

وهكذا تحاول البرتغال ثانية فصل نفسها كالسابق أيضا، لتكون أكثر نبلا من الامبرياليات الأخرى، بينما تستورد أفكارا من القوى الامبريالية الأوروبية "اللاحقة" (كبريطانيا فى أيرلندا، وفرنسا فى الجزائر التى حاولت إعادة تسمية المستعمرات "مقاطعات من الدولة الأم"). ومع تزايد مقاومة الاستعمار البرتغالى (من حركات الاستقلال، ومن الدول الإفريقية والآسيوية المستقلة اسما)، فقد أصبح إعادة تسمية المستعمرات "بالمقاطعات" أكثر أهمية. وفى ضوء عرض القواعد/النظم الجيوبوليتيكية الواسعة، ظهر ذلك أيضا فى محاولة استبعاد الانقسام الجيوبوليتيكى المحتمل بين الشمال والجنوب حول قضايا الاستعمار/تقرير المصير، تصفية الاستعمار، والتحول إلى جيوبوليتيكا الشيوعية/ مناهضة الشيوعية بين الشرق والغرب، أى أن السياسات الامبريالية والخطاب الجيوبوليتيكى يقوى كل منهما الآخر، وذلك من خلال شخصية وفصاحة سالازار جزئيا.

وعلى سبيل المثال، وصف سالازار حلف الأطلنطى فى ١٩٤٩ بأنه "رمز وتعبير عن حرب صليبية جديدة: للدفاع عن الحضارة الغربية والمسيحية" (مقتبس فىTeixeir 1992: 121) وكذلك هناك مقال نشر فى ١٩٥٦ فى "أعمال النادى البحرى العسكرى" (وهو منبر دائم لتنظيم المسار الجيوبوليتيكى) عن "الأهمية الجيوبوليتيكية للبرتغال بالنسبة لإستراتيجية "العالم الحر"، يوضح كيف كان ذلك يتطور فى منتصف الخمسينات. حيث كانت نتائجه كما يلى:

"فى دراسة تجميعية شاملة تجريبية للعوامل الجيوبوليتيكية المؤثرة على البرتغال، والمهمة لإستراتيجية العالم الحر من الممكن أن نؤكد أن:

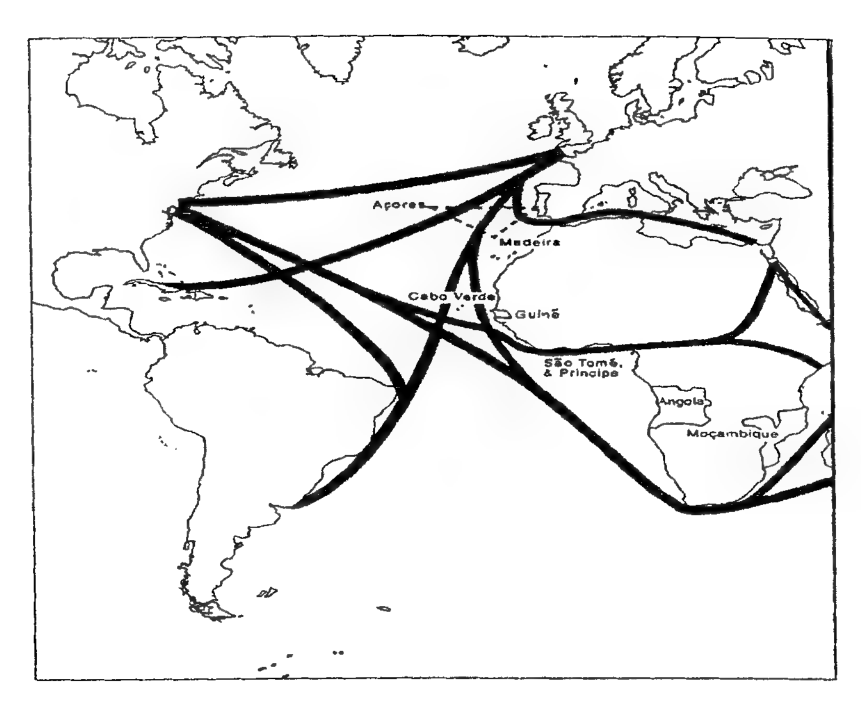
١- تشكل السياسات البرتغالية الداخلية والخارجية عنصرا مستقرا يدمج نفسه بانسجام فى الخطط العليا "للسلام" و"العالم الحر"، وهو عنصر تعاونى رئيس فى بناء أمنها.

٢- تمثل القوة الروحية التى تشع من التاريخ العالمى للبرتغال، عبر المجتمع الأيبيرى (اللوسيتانى Lusitanian) تيارا تنافسيا له أهمية كبرى فى التماسك والتعاون الذى يجب أن يوجد بين شعوب العالم الحر.

٣- تمثل الموارد الأورافريقية والبرتغالية الكبيرة والواعدة قوة وإمكانيات اقتصادية ضخمة لوجود واستمرار القدرات الدفاعية والهجومية للعالم الحر، عندما تتكامل فى الاقتصاد القارى.

٤- أصبحت البرتغال - بتراثها واستمراريتها التاريخية، وقوة موقعها الجغرافى المؤثر فى المحيطات الأطلنطى والهندى والهادئ، فى الخطة العالمية البحرية الجيواستراتيجية للعالم الحر- أكثر أهمية من أى وقت مضى بسبب تأثير المواجهة المؤكدة للنفوذ السياسى الشرقى فى العالم، خاصة فى المحيط الهندى والهادئ الآسيوى"(Comprido 1956:268)

وقد ظهر فى مقال كومبريدو سبع خرائط توضح أفكاره (أخذنا منها الشكلين ٢-٦ و ٣-٦). وتعالج بقية المقال بعض الأفكار القديمة- فكرة "أورافريقيا"، و"الجزيرة العالمية"، والبرتغال "كحضارة مسيحية"- وتتناول موضوعات أخرى كانت تحظى بأهمية متزايدة فى الخطابات الجيوبوليتيكية الغربية الأوسع (ó Tuathail 1992)، خاصة فكرة النقاط الخانقة الاستراتيجية (مثل رأس الرجاء الصالح)، والإستراتيجية السوفيتية (التوسعية) للسيطرة على العالم انطلاقا من قلب الأرض الآسيوى. وهذه النقاط العامة غير ملحوظة، ربما باستثناء أن كومبريدو رأى أن توليفة "النظام والاستقرار السياسى فى العاصمة وفى ما وراء البحار" (Camprido 1958:235) وموقفها الإستراتيجى، وتوزيع مقاطعاتها وراء البحار، تعنى أن البرتغال يجب أن تلعب دورا حيويا جدا ("موقع له قيمة لا تبارى") فى الدفاع عن "العالم الحر"[٢٠].



شكل (١٠) " البرتغال والدائرة الأطلسية"
المصدر: مقتبسة من Comprdo 1956:258

وهنا نجد أربعة عوامل تعمل معا. فأولا، حاجز البرانس (أمام الغزو السوفيتى)، وربما مع طبيعة أيبيريا المنظمة (أى الفاشية) والمسيحية، وثانيا، جعل القدر الأطلنطى التاريخى من البرتغال محورا (وربما المحور الأساسى) لمعاهدة الأطلنطى ("محيط الحضارة الغربية" كما يحلو للكتاب البرتغاليين تسميته) وثالثا، منح البعد الأورافريقى البرتغالى منح الغرب إمكانية الوصول إلى كل المعادن الإستراتيجية (يقدم كومبريدو قائمة تفصيلية) ومجالا للدفاع فى العمق لو قام السوفيت باحتلال أوروبا فى أسوا السيناريوهات، بل ويمنحه "إمكانية حشد حوالى ١,٥ مليون من السود من أراضينا الإفريقية، والذين بمجرد تنظيمهم على أيدى الضباط والقادة البيض سيشكلون قوة

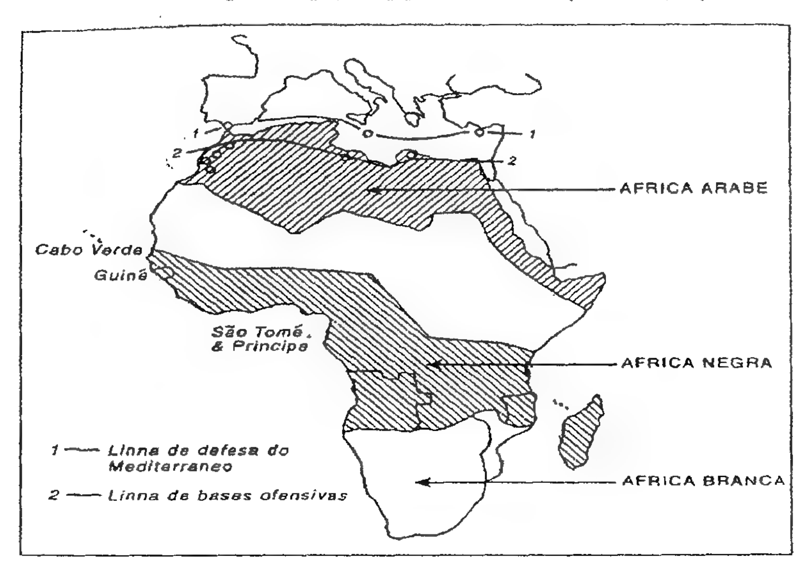
بشرية ذات قيمة كبيرة للأغراض العسكرية' (Comprido 1956: 241-2) وأخيرا، لايقتصر الأمر على سيطرة البرتغال (من خلال الآزور وماديرا) على مثلث إستراتيجى حيوى فى الأطلنطى (الذى يمر من خلاله أهم خمسة شرايين تمنح الحياة لأوروبا الغربية (المرجع السابق: ٢٥٦) والقوة الحيوية لبحر لوسو- البرازيل (أيبيريا-البرازيل) فى جنوب الأطلنطى بين البرازيل وأنجولا، ولكن البرتغال تقع فى الجزيرة العالمية التى تعد:

"من الناحية الجيواستراتيجية، أرخبيلا كبيرا موزعا على ثلاثة محيطات، بمساحة تقدر بحوالى ٢,١٧١,٧٣٣ كيلو متر مربع، تشكل "الجزيرة الأم" منه ٢,٤٪، فى أقصى الجنوب الغربى من أوراسيا، ويحاصر٩٤٪ منه جنوب أفريقيا، والباقى موزع على شبه القارة الهندية والشرق الأقصى والمحيط الهادئ. وهكذا فإننا (فى حالة وجود أى شك لدى القارئ) دولة أوروبية تاريخيا، وغربية ثقافيا وروحيا، وبحرية سياسيا وجغرافيا واقتصاديا"[٢١] (Comprido 1956:252)

وهناك الكثير فى هذا المقال، وفى غيره من المقالات الأخرى المماثلة، الذى ظهر فى المنشورات العسكرية البرتغالية فى ذلك الوقت- والذى يبدو أنه كان للاستهلاك المحلى و/ أو كتب كجزء من برامج التدريب الرسمية لضباط الجيش والبحرية (Crespo 1956; Prior 1951, 1956; Sanches 1963) لدرجة أننى لا أستطيع تناوله بإنصاف هنا[٢٢].

ولذلك سوف أركز على موضوعين فقط، مما يسمح لنا بالانتقال إلى قضايا مقارنة أوسع. أولا، فى الوقت الذى تم فيه تجنب مصطلح الجيوبوليتيكا فى معظم أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية فى الخمسينيات والستينيات (بينما انتقل الخطاب إلى أماكن أخرى مثل العلوم المتوسعة للعلاقات الدولية والدراسات الإستراتيجية)، كان استخدام المصطلح فى المنشورات العسكرية البرتغالية، بل والإشارة الصريحة والمؤيدة غالبا للجيوبوليتيكا الألمانية، يتردد كثيرا بعد ١٩٤٥ . ولكن هذا لا يمثل مسارا برتغاليا فريدا، كما توضح النظرة إلى تقارير جيوبوليتيكا أمريكا اللاتينية المعاصرة المذكورة سلفا (Child 1985) إلا أنه يوضح شيئا عن كيفية تحجر الوضع فى البرتغال قبل ١٩٤٥، وكيف تحول بسهولة إلى النظام العالمى "المناهض للشيوعية" فى الحرب

الباردة، وقد درس المؤرخون البرتغاليون مجموعة الحيل الدبلوماسية وإعادة صياغة الكتابات السابقة المرتبطة بهذا (Antunes 1986; Teixera 1992) وبالطبع لم تكن البرتغال (أو اسبانيا لاحقا) وحدهما المندمجتان فى المجال الاقتصادى لـ"العالم الحر"، بالرغم من سلوكياتها العلنية المناهضة للديموقراطية. أما الذى كان أقل ظهورا فهو أنه فى إحدى الدولتين الأيبيريتين تضمنت العملية إعادة إنتاج مجازات جيوبوليتيكية معينة مما قبل الحرب الباردة: "قلب الأرض، أورافريقية، الجزيرة العالمية".



شكل (١١) "البرتغال والدفاع عن إفريقيا"

المصدر: مقتبسة من Comprdo 1956:261

ويرتبط هذا بالموضوع الثانى، الذى يتعلق بطريقة تفصيل النمط الجيوبوليتيكى للبرتغال فيما بعد ١٩٤٥ لقضايا معينة مثل الشمال- الجنوب مع قضايا الشرق- الغرب. فقد كان هذا واضحا فى مقالات من منتصف الخمسينيات، مثل كومبريدو، ولكنه أخذ مكانا أكثر أهمية فى العديد من المنشورات التالية التى نشرت على نطاق واسع فى أواخر الخمسينيات والستينيات، وحتى إعادة التوجه الذى بدأ فى ١٩٧٤

(وبطريقة معينة شديدة الدقة) بعد ذلك. ويمكن أن نرى نسخة حديثة من هذا مطبقة فى مقال Comprido (1956)، عندما يربط الأسطورة التاريخية العتيقة للبرتغال كقوة مسيحية متحضرة وإنجيلية فى إفريقيا، مع فكرة أن هذه الأقاليم التى "استفادت" من هذه الرسالة قد أصبحت ذات أهمية إستراتيجية حيوية للدفاع عن الحضارة الغربية "المسيحية" الأوسع. وبالتالى فإن هذا ينقل نقد الامبريالية إلى الشرق "الملحد": فالشرق هو القوة الامبريالية الحقيقية. وبهذا الشكل يكون" الشرق الشيوعى" فقط هو التوسعى والخطير والعدوانى والامبريالى. وعلى العكس، فإن البرتغال و"مقاطعاتها وراء البحار" تمثل قوة الحضارة وتعبيرا عن "القدر" التاريخى (الموجه إلهيا). وقد طرح فرانكو ومؤيدوه دعاوى مماثلة فى الأربعينات، كما طورت مجموعة من المعلقين البريطانيين والفرنسيين والأمريكيين صيغا شبيهة خلال الحرب الباردة[٢٣]. ولكنها كانت أكثر أهمية بالنسبة للخطابات البرتغالية. وهكذا أصبح لدينا فى الحال تحويل مقصود للإدانة المتزايدة لاستمرار السيطرة الاستعمارية البرتغالية إلى شىء "آخر"، وذلك بطريقة تضع الاستعمار والبرتغال (فى نفس اللحظة) فى منطق مناهضة الشيوعية العالمية.

وكانت إثارة كومبريدو لخطر ظهور "أفروآسيا" على الغرب تكشف بوضوح عما كان متوقعا (١٩٥٦: ٢٢٧-٩). وبالتحديد فإن ظهور الدول غير المنحازة رسميا فيما أصبح يطلق عليه فى مناطق أخرى "العالم الثالث" كان يعتبر بمثابة خطر عظيم. فمع "تزايد العداء العرقى للحركة ضد الغرب، كان يمكن أن تقترب "الدول غير المنحازة" من الكتلة الشيوعية" (المرجع السابق: ٢٢٩). ففى أواخر الخمسينيات والستينيات كانت فكرة مناهضة الإمبريالية "كعداوة عرقية" بسيطة (أو بالأحرى نقيضها، من خلال مفهوم أقاليم ما وراء البحار البرتغالية المسيحية المتجانسة عرقيا) تختلط مع مناهضة الشيوعية ومع الأساطير الامبريالية لقوة متحضرة متعددة القارات لتكون خطابا جيوبوليتيكيا متطورا للمصير العالمى البرتغالى.

وتسجل كتابات المسئولين العسكريين والاستعماريين- مثل Moreira (1955) و (Neto (1963, 1968a, 1962b)- كل هذا. حيث قدم موريرا تحديدا- فى مقال نشر فى مجلة"جمعية لشبونة الجغرافية"- مجموعة من الاستجابات للأمم المتحدة وبزوغ "العالم الثالث" (حركة عدم الانحياز وتحالفات مماثلة بين حركات التمرد الوطنى ودول الجنوب التى ظهرت حديثا بعد الاستعمار) بناء على الخطوط التى ناقشناها سلفا. فكانت استجابته للتحدى المناهض للامبريالية، الممثل فى المؤتمر الذى عقدته الدول الإفريقية والآسيوية المستقلة فى باندونج (اندونيسيا) فى ١٩٥٥، تتمثل فى إدانة المؤتمر باعتباره "عنصريا"، مع التمييز بين "الاستعمار البرتغالى ذى الرسالة (الحضارية") وأشكال الاستعمار الأخرى. حيث يفترض أن النظم الاستعماريه الأخرى تفتقد إلى مثل هذا "المرسوم الإلهى"، ويطلق على هذه النظم "استعمار المجال الحيوى" ليميزها عن الاستعمار التبشيرى البرتغالى "الكريم" العلنى. ولكننا لم نعرف أبدا (فى مقال موريرا على الأقل) ما هى رسالة الاستعمار البرتغالى بالضبط، ولماذا يختلف عن استعمار "المجال الحيوى" (أو حتى من يمارس هذا النوع الأخير).

وبالنسبة بمن هم على غير دراية بأساطير ما بين سطور الإمبراطورية البرتغالية؛ فإن مقال موريرا يدعو إلى توليفة غريبة / انتقائية من الفروض المتناقضة، فهو على سبيل المثال يقول :

"إن الإدانة الشاملة للاستعمار فى باندونج من قوى أعضاء فى الأمم المتحدة يعتبر تمردا ضد الأمم المتحدة ذاتها. وهذا فى الحقيقة مظهر لعنصرية تجعل من الرجل الأبيض عدوا" (Moreira 1955:15) ونظرا إلى "الفوضى" التى ستترتب على أية تصفية للاستعمار، ونظرا إلى حقيقة أن الدول المستقلة بعد الاستعمار لابد أن تجد نفسها مجرد "توابع" للقوى الشيوعية، فإن الإجابة الوحيدة لإفريقيا وأوروبا وما يطلق عليه العالم الحر، ستتمثل فى "إعادة تأهيل الاستعمار" فى ظل القيادة البرتغالية الحكيمة. وهذا لدى موريرا:

"لا يعنى القيام بأعمال بطولية، بالرغم من أننا نفخر بها، ولكنه يتمثل ببساطة فى إظهار أننا نقدم للعالم الحر تجمعا من الشعوب التى تعيش معا طواعية فى سلام، وتحافظ على السلام والعمل والرفاهية، بدون اللجوء إلى أية عملية قمع من الشرطة أو الجيش... وتوضح المهمة التقليدية لجوهر "الأمة"... أن البرتغاليين بلا منازع هم الذين يجب أن يبادروا بالقيادة الأيديولوجية لحركة إحياء الاستعمار، وبهذه الطريقة تنشط الأخلاقيات التى تضمن التعبئة الأيديولوجية للغرب، مما يقضى على فلسفة الهزيمة التى تتجاوز مناهضة الاستعمار، بما يحقق مبدأ المساواة بين البشر، ويكفل تضامن إفريقيا مع أوروبا...وأنا لا أعرف شعبا أكثر وضوحا من البرتغاليين، فى مواجهة مستوى الكراهية العنصرية التى ظهرت فى باندونج، ليحمل من جديد إلى العالم رسالة المساواة بين البشر. وهى مهمة هدفت إلى خلق نهضة فى الإيمان والأمل فى قلوب البشر، وهذه مهمة مشرفة "للأمة البرتغالية" (Moreira1955:15)

وهنا تظهر فكرة المهمة غير العنصرية (المناهضة للعنصرية فى الواقع) للبرتغال فيما وراء البحار. وكانت هذه الأيديولوجية تأخذ شكلا متكاملا فى الستينيات، وذلك من خلال تشجيع الدولة لأعمال عالم الاجتماع البرازيلى جيلبرتو فريرى. حيث نظم فريرى تحليله "للتكامل البرتغالى فى المناطق الاستوائية " (وهو عنوان كتاب نشره فى ١٩٥٨) من خلال فكرة "الإيبيرو-استوائية"[٢٤] فبعد أن قدم للقارئ أولا مدى أهمية المناطق الاستوائية جيوبوليتيكيا ،خاصة من خلال تحديد القوة التى ستصبح قائدة العالم، يشرح فريرى كيف أن البرتغاليين قد طوروا بالفعل "حضارة أيبيرية-استوائية" (وهى أعلى مرحلة من مجموعة أوسع من"الحضارات الإسبانية الاستوائية"). وخاصة فى سياق "المناطق الاستوائية كمناطق محتملة لتوسع" القوى الإمبريالية الروسية والأنجلوأمريكية : (Freyre 1961: 30)

"يبدو تنظيم الحضارات الإسبانية الاستوائية فى نظام عابر للقوميات للثقافة والاقتصاد والسياسة كضرورة لا أعتبرها جيوبوليتيكية، كما لو كان تنظيمها ناتجا عن مواقف تسمى طبيعية أو جغرافية" (Freyre 1961:31)

ولكن هذا نتيجة "تفسير موجود فى الواقع بطريقة لا نبالغ إذا قلنا إنها انتصارية " (المرجع السابق: ٣٢).

ومن الضرورى ألا نبالغ فى تماسك أو أهمية هذه العبارات. حيث تظل الدوافع الأكثر تقليدية المناهضة للشيوعية مهمة كما كانت من قبل، خاصة بعد ظهور حركات المقاومة فى أنجولا وموزمبيق وغينيا، وتطلعها إلى الاتحاد السوفيتى وحلفائه فى أوروبا الشرقية وكوبا والصين طلبا للمساعدات المادية فى الستينيات. حيث أصبحت البندقية الكلاشينكوف الروسية الصنع (المعروفة فنيا باسم AK-4) رمزا للمقاومة والتحرير لدى الحركات القومية فى إفريقيا البرتغالية، وأصبحت الثورة المسلحة المناهضة للاستعمار تنتشر فى أجزاء من أنجولا وغينيا وموزمبيق مع نهاية العقد. واستجابت البرتغال بمشروعات مناهضة للتمرد اعتمادا على التجربة الأمريكية فى فيتنام. ولكنها لم تستطع هزيمة عصابات المقاومة فى الريف، مثلما حدث للأمريكيين.

ولذلك فإنه فى إطار الإدانات البرتغالية للحركات الوطنية الإفريقية (التى كانت الحكومة البرتغالية والمعلقون العسكريون يعتبرونها "إرهابية وشيوعية وقبلية") يمكن أن نجد المزيد من الأعمال عن القيمة الاستراتيجية لأورافريقيا البرتغالية بصفة خاصة، أو (لما وراء البحار) بصفة عامة، فى الدفاع عن الغرب المسيحى Crespo 1956; Ma-galh?es 1972,1975; Chassin 1961; Sanches) 1963). ومع ذلك، قدمت أفكار فريرى تبريرا آخر فى المدى المتاح للنظام: وهو تبرير لعب دورا خاصا فى الدعاية وسط الدوائر الليبرالية فى الخارج (خاصة) فى الأمم المتحدة؛ حيث خاضت البرتغال حربا طويلة شرسة ضد كتلة العالم الثالث الجديدة. ومع ذلك، نجد إجمالا أن الجيوبوليتيكا "الإيبيرية – الاستوائية" (اللوسواستوائية) التى طرحها فريرى قدمت نصا غير عادى، سواء فى صياغته البرتغالية الأصلية (١٩٥٧) أو فى ترجمته الانجليزية فى١٩٦١ ، وقد نشر كل منهما تحت رعاية الوكالة العامة لمناطق ما وراء البحار[٢٥] Agência Geral do Ultramar وفى ذلك يقول فريرى على سبيل المثال:

"إن معرفة التجارب الحية بالأدغال، فى الشرق وفى إفريقيا أو أمريكا، والعلم الذى قدموا له إسهاماتهم كرواد، كان علم المكان- الزمان بصفة عامة... وعلم المكان - الزمان الاستوائى بصفة خاصة... وهذا نمط جديد للحضارة يمكن أن نصفه بأنه لوسواستوائى، نظرا لطبيعتها التكافلية الفريدة لاتحاد أوروبا/مع المناطق الاستوائية- وهو اتحاد لم يكن بهذه الكثافة والتكافلية مع أية دولة أوروبية أخرى"(Freyre 1961: 41)

ويذهب فريرى تحديدا إلى أن:

"تمازج الأجناس يجب أن يعتبر منذ البداية جزءً لا ينفصل عن أى جهد برتغالى فى المناطق الاستوائية. ويبدو ذلك حتميا، عاجلا أم آجلا، بكثافة أكبر أو أقل، فى كل هذه الجهود.... فى صورة حضارة لوسواستوائية، عندما ننظر إليها من الناحية الحيوية الاجتماعية، نجدها عبارة عن: ثقافة ونظام اجتماعى مشترك يساهم فيه أفراد وجماعات من أصول عرقية وثقافية مختلفة من خلال تداخل متبادل وتكيف مع عدد معين من أوجه تطابق سلوك الأوربيين وسلالاتهم فى المناطق الاستوائية- وهو التطابق الذى يتحقق بالتجربة والتجريب الإيبيرى" (المرجع السابق:٤٧-٨).

لقد كان فريرى قادرا على تقديم تعديل أصيل للأساطير القومية البرازيلية والاعتماد عليها. كما يشير إلى التكوين الاجتماعى الاقتصادى العرقى الذى كانت عليه البرازيل فى منتصف القرن العشرين والنظام الاستعمارى البرتغالى؛ حيث ظهر القليل من المحظورات الطقوسية للاختلاط العرقى الذى تطور فى أشكال معينة فى التكوينات الاستيطانية الاستعمارية فى أمريكا وبريطانيا وجنوب إفريقيا. وقد سمح هذا لفريرى بتوقع بعض عناصر المجتمع الاستعمارى البرازيلي والبرتغالى (خاصة مدى العلاقات الجنسية بين السود والبيض) كحقيقة تاريخية فريدة لها قدر من الأهمية العالمية. وهكذا تجنب مسائل حيوية تتعلق بالسلطة والقوة، وكذلك أى اهتمام بالعلاقة الطبقية العرقية الهرمية التى كانت واضحة بشدة من وجهات نظر أخرى (أكثر نقدية)[٢٦].

ولكن هذا نتيجة "تفسير موجود فى الواقع بطريقة لا نبالغ إذا قلنا إنها انتصارية " (المرجع السابق: ٣٢).

ومن الضرورى ألا نبالغ فى تماسك أو أهمية هذه العبارات. حيث تظل الدوافع الأكثر تقليدية المناهضة للشيوعية مهمة كما كانت من قبل، خاصة بعد ظهور حركات المقاومة فى أنجولا وموزمبيق وغينيا، وتطلعها إلى الاتحاد السوفيتى وحلفائه فى أوروبا الشرقية وكوبا والصين طلبا للمساعدات المادية فى الستينيات. حيث أصبحت البندقية الكلاشينكوف الروسية الصنع (المعروفة فنيا باسم AK-4) رمزا للمقاومة والتحرير لدى الحركات القومية فى إفريقيا البرتغالية، وأصبحت الثورة المسلحة المناهضة للاستعمار تنتشر فى أجزاء من أنجولا وغينيا وموزمبيق مع نهاية العقد. واستجابت البرتغال بمشروعات مناهضة للتمرد اعتمادا على التجربة الأمريكية فى فيتنام. ولكنها لم تستطع هزيمة عصابات المقاومة فى الريف، مثلما حدث للأمريكيين.

ولذاك فإنه فى إطار الإدانات البرتغالية للحركات الوطنية الإفريقية (التى كانت الحكومة البرتغالية والمعلقون العسكريون يعتبرونها "إرهابية وشيوعية وقبلية") يمكن أن نجد المزيد من الأعمال عن القيمة الاستراتيجية لأورافريقيا البرتغالية بصفة خاصة، أو (لما وراء البحار) بصفة عامة، فى الدفاع عن الغرب المسيحى Crespo 1956; Ma-galh?es 1972,1975; Chassin 1961; Sanches) 1963). ومع ذلك، قدمت أفكار فريرى تبريرا آخر فى المدى المتاح للنظام: وهو تبرير لعب دورا خاصا فى الدعاية وسط الدوائر الليبرالية فى الخارج (خاصة) فى الأمم المتحدة؛ حيث خاضت البرتغال حربا طويلة شرسة ضد كتلة العالم الثالث الجديدة. ومع ذلك، نجد إجمالا أن الجيوبوليتيكا "الإيبيرية – الاستوائية" (اللوسواستوائية) التى طرحها فريرى قدمت نصا غير عادى، سواء فى صياغته البرتغالية الأصلية (١٩٥٧) أو فى ترجمته الانجليزية فى١٩٦١ ، وقد نشر كل منهما تحت رعاية الوكالة العامة لمناطق ما وراء البحار[٢٥] Agência Geral do Ultramar وفى ذلك يقول فريرى على سبيل المثال:

"إن معرفة التجارب الحية بالأدغال، فى الشرق وفى إفريقيا أو أمريكا، والعلم الذى قدموا له إسهاماتهم كرواد، كان علم المكان- الزمان بصفة عامة... وعلم المكان - الزمان الاستوائى بصفة خاصة... وهذا نمط جديد للحضارة يمكن أن نصفه بأنه لوسواستوائى، نظرا لطبيعتها التكافلية الفريدة لاتحاد أوروبا مع المناطق الاستوائية- وهو اتحاد لم يكن بهذه الكثافة والتكافلية مع أية دولة أوروبية أخرى"(Freyre 1961: 41)

ويذهب فريرى تحديدا إلى أن:

"تمازج الأجناس يجب أن يعتبر منذ البداية جزءً لا ينفصل عن أى جهد برتغالى فى المناطق الاستوائية. ويبدو ذلك حتميا، عاجلا أم آجلا، بكثافة أكبر أو أقل، فى كل هذه الجهود.... فى صورة حضارة لوسواستوائية، عندما ننظر إليها من الناحية الحيوية الاجتماعية، نجدها عبارة عن: ثقافة ونظام اجتماعى مشترك يساهم فيه أفراد وجماعات من أصول عرقية وثقافية مختلفة من خلال تداخل متبادل وتكيف مع عدد معين من أوجه تطابق سلوك الأوربيين وسلالاتهم فى المناطق الاستوائية- وهو التطابق الذى يتحقق بالتجربة والتجريب الإيبيرى" (المرجع السابق:٤٧-٨).

لقد كان فريرى قادرا على تقديم تعديل أصيل للأساطير القومية البرازيلية والاعتماد عليها. كما يشير إلى التكوين الاجتماعى الاقتصادى العرقى الذى كانت عليه البرازيل فى منتصف القرن العشرين والنظام الاستعمارى البرتغالى؛ حيث ظهر القليل من المحظورات الطقوسية للاختلاط العرقى الذى تطور فى أشكال معينة فى التكوينات الاستيطانية الاستعمارية فى أمريكا وبريطانيا وجنوب إفريقيا. وقد سمح هذا لفريرى بتوقع بعض عناصر المجتمع الاستعمارى البرازيلى والبرتغالى (خاصة مدى العلاقات الجنسية بين السود والبيض) كحقيقة تاريخية فريدة لها قدر من الأهمية العالمية. وهكذا تجنب مسائل حيوية تتعلق بالسلطة والقوة، وكذلك أى اهتمام بالعلاقة الطبقية العرقية الهرمية التى كانت واضحة بشدة من وجهات نظر أخرى (أكثر نقدية)[٢٦].

ومع ذلك، أصبح عمل فريري- كما توضح الترجمة الانجليزية (التى طبع منها خمسة آلاف نسخة مبدئيا)- جزءا من جهد دعائى أكبر وعلى نطاق أوسع. وكان هناك مجموعة من النصوص للاستهلاك المحلى (Neto1963) ، تخلط أحيانا بين الجيوبوليتيكا اللوسواستوائية والجيوبوليتيكا الأكثر "كلاسيكية"، كما فى المنهج الإرشادى الجامعى الذى قدمه نيتو (Neto (1968b، وللحوار العسكرى (Tavares 1964)، يصاحبه عدد من الأعمال المنشورة بالانجليزية والمصممة للاستهلاك الخارجى، خاصة فى الدوائر الدبلوماسية (de Andre 1961; Ministry of Foreign Affairs 1970)، بالإضافة إلى بيانات عديدة لسالازار ذاته (١٩٦٠a,1960b,1961,1962a1962b).

ويستحيل أن "تنصف" هذه الكتابات والخطابات هنا. ومع ذلك، يظهر العديد من نفس الموضوعات على نحو غير متوقع، مما يشكل نوعا من النصوص المتداخلة الجيوبوليتيكية – القومية – الاستعمارية.

فأولا، هناك موضوع "الأيبيرواستوائية"، الذى يقول عنه دى أندر:

"فى كل المقاطعات البرتغالية – وعلى عكس ما حدث فى معظم الدول التى تعتبر نفسها نصيرة استقلال الشعوب – لم تؤد الاختلافات العرقية أو الدينية إلى ظهور أى إجراءات تمييزية" (de Andre 1961:48).

وثانيا، إنكار وإسقاط الذات على الآخر، مثل العديد من تضاربات وتناقضات الدول فيما بعد الاستعمار، فى نفس الوقت. ففى ١٩٥٦على سبيل المثال، هاجم المندوب البرتغالى فى الأمم المتحدة "الاستعمار الهندى" فى "كشمير، وجزر أندمان، وبوتان، وسيكيم"، بينما قال فى نفس الوقت: "ليس هناك استعمار فى جوا، لأن جوا من الناحيتين السياسية والقانونية عبارة عن مقاطعة فيما وراء البحار، وتمثل جزء مكملا من الأمة البرتغالية: كما أن باكستان الشرقية جزء مكمل من باكستان" (بيان ألقاه مندوب البرتغال الدائم فى الاجتماع الحادى والستين للجمعية العامة فى السادس من ديسمبر ١٩٥٦، فى:[٢٧] (Ministry of Foreign affairs 1970: 277)

وثالثا، تجديد تغيرات أورافريقيا والشرق- الغرب / الشمال - الجنوب التى أشرنا إليها سابقا، والتى تتضح فى تصنيف مارسيلانو كيتانو (خليفة سالازار فى رئاسة الوزراء بعد عجز الأخير بسبب سكتة دماغية أصابته فى سبتمبر١٩٦٨) للإتحاد السوفيتى كدولة امبريالية، والبرتغال "كخط مواجهة" ضد الاستعمار / الامبريالية السوفيتية:

"لا يمكن الدفاع عن أمن الدول داخل حدودها اليوم. فالأمم متكاملة فى مساحات شاسعة... وتثبت حرية واستقلال الدول الأوروبية الغربية وجودها ليس فى أوروبا ذاتها فحسب، بل وفى أفريقيا أيضا. وهذا هو السبب فى الدفاع عن غينيا. ومن المؤكد أن هذا لصالحنا، ولكنه أيضا لصالح أوروبا الغربية والأمريكان أنفسهم."[٢٨] (Caetano 1973:12). ويعبر كل هذا عن تفرد ووحدة البرتغال: "نحن بلد متعدد القارات ومتعدد الأعراق، له روح واحدة فقط ,وحكومة واحدة وعلم واحد فقط" (Caetano 1973:71). وأخيرا، هناك التآمر ضدنا:

"إن ما يسمى بحركات التحرير المختلفة التى نواجهها فى غينيا وأنجولا وموزمبيق تأسست فى الخارج وقادتها يتلقون المساعدة من الأجانب وهى تشن هجماتها وترسل عصاباتها من أراضى أجنبية. فهناك منظمة كبيرة من الدول الاشتراكية الأفريقية والآسيوية تتآمر ضد البرتغال" (Caetano 1973: 41-2). واختصارا، يمكن قول الكثير عن كيفية تفصيل هذا الإطار الجيوبوليتيكى مع الثقافة والمجتمع والسياسة البرتغالية، وكيف أن هذه الجوانب أعيدت صياغتها فى التمهيد للانقلاب العسكرى فى ١٩٧٤ وما بعده، مما وضع حدا للنظام السلطوى ولآخر إمبراطورية أوروبية مهمة فيما وراء البحار. إذ إن الضباط صغار الرتب فى الجيش قد أدركوا أن الحروب الاستعمارية لا يمكن الفوز فيها، وأن النظام الذى يقوده الآن كيتانو الذى كان نائب سالازار، لن يتحول للديموقراطية ولن يصفى الاستعمار طواعية، ومن ثم فقد قام هؤلاء الضباط بانقلاب عسكرى فى أبريل ١٩٧٤ . وانهارت هياكل السلطة فى الإمبراطورية مع النظام القديم،وخلال ثمانية عشر شهرا اختفت كل الإمبراطورية (باستثناء ماكاو التى لم تكن الصين راغبة فى إعادة استيعابها). وحصلت المستعمرات الأفريقية على

الاستقلال؛ أما تيمور الشرقية فاحتلتها اندونيسيا المجاورة. وبالرغم من نشر كميات من المذكرات والتفسيرات طوال أكثر من عشرين سنة؛ فإنه من حيث تحليل الخطابات والعلاقات الجيوبوليتيكية، نجد أن المجال لا يزال مفتوحا لمزيد من التحليل النقدى (للوضع القومى)، كما أطلق أحد النصوص الرئيسة هذا المصطلح على المسألة الاستعمارية[٢٩].

وفى الواقع، نجد فى كل من البرتغال واسبانيا، اللتين أصبحتا دولتين ديموقراطيتين مستقرتين وعضوتين فى الاتحاد الأوروبى ,أنه لا تزال هناك إشارات إلى "الجيوبوليتيكا" فى كثير من المنشورات. ويرجع هذا جزئيا إلى انتشار المصطلح. فكما يقول أوتواتيل (ó Tuathail 1996: 16) إن الجيوبوليتيكا تظهر أحيانًا "كمصطلح مختصر ومشجع للمفهوم المكانى للحداثة ككل". كما اكتسب المصطلح أهمية متزايدة فى لغة "فن الحكم" لدى "مستشارى الأمن" الأمريكيين هنرى كيسنجر وزبجنيو بريجينسكى فى السبعينات (Hepple 1986; Sidaway 1998) وهو ما لوحظ فى البرتغال واسبانيا، ففى اسبانيا، لا يزال يمكن أن يجد المرء مقالا صحفيا عارضا فى الصحيفة اليومية "إل باس" يعتمد على القواعد الجيوبوليتيكية عند ماكيندر وغيره. وغالبا ما تكون هذه الأعمال من النوع المحافظ، ويقدمها مشتغلون فى معاهد بحوث العلاقات الخارجية أو العسكرية التى ترتبط عضويا بالدولة.

أما فى البرتغال، الأقل قدرة على فقدان ذاتها فى "متاهة أساطير استعادة الماضى" الخاص بالإمبراطورية، فنجد أن دراسات طويلة كالكتب، Almeida (1994) Alves (1987), Sacchetti (1987, 1989), ومقالات عن الجيوبوليتيكا فى الصحف والمجلة الشهرية "الاستراتيجية" ,تفتقد إلى بريق نصوص ما قبل ١٩٧٤[٣٠]. وبدلا من ذلك؛ فإنها تميل إلى التركيز على موضوعات أكثر واقعية مثل "أهمية المثلث الإستراتيجى البرتغالى" (انظر مثلا الشكلين ٤–٦ و٦–٥ فى ,Alves 1987) وإعادة صياغة خطابات القلب /الهامش لدى الكتاب البريطانيين والأمريكيين المحافظين مثل كوهين وماكيندر وسبيكمان (Ferreira 1992)[٣٧] وكذلك فإن الأعمال التى تنشر فى المجلة المحافظة

"أفريكانا" غالبا ما تكون مفيدة فى حالة الحنين إلى الماضى مختلطة مع إشارات إلى النظام العالمى الجديد (Carvalho 1991, 1992, 1998)[٣٢] ولكن إذا تركنا وراءنا هذه التقارير ضيقة المفاهيم والرجعية، لدراسة وجود "الجيوبوليتيكا" فى مصطلحات استطرادية أوسع، لا يصعب أن نتعرف على إعادة صياغة تعبيرات الهوية البرتغالية. فالآن، وبعد إعادة تصور البرتغال كمجتمع أوروبى، نجد أن هذا يأخذ عددا من الأشكال. ومع ذلك وبحسب دراسة ألمايدا فإنه منذ ١٩٧٤:

"كان عدد الكتب التى تتناول موضوع الهوية والموضوعات المتعلقة بها مذهلا (وقد راجع المايدا بعض أهم هذه الكتب). كما نشرت عشرات المجلات التى تتناول هذا الموضوع ,ويقابل المرء مقالات صحفية لا حصر لها تتناول نفس الموضوع" Almeida 1994:156)

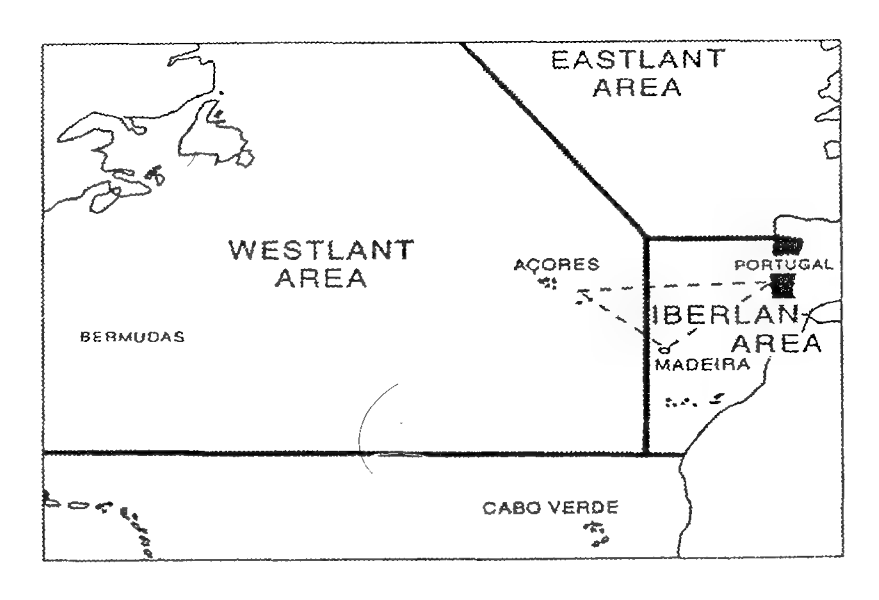
وفى ظل تأسيس اتحاد رسمى ناطق بالبرتغالية – عل نمط الكومنولث- (Cahen 1997; Wise 1995) والاتحاد والتكامل الأوروبى المتواصل، وحقبة ما بعد الحرب الباردة ونهاية القرن، فلن يكون التراجع هو نصيب هذا الجدال الفكرى الجيوبوليتيكى. ولا يوجد مجال هنا لتقديم فرضية عامة بشأن نمط إعادة تفصيل الهويات البرتغالية والأيبيرية الأوسع فى توجه أوروبى (Sidaway 1996) لكن يكفى القول هنا إن هذا يحدث فى كل من اسبانيا (Anon 1996) والبرتغال (Halliday 1992; Madureira 1995) من خلال إعادة صياغة وتعديل الفترات والتعبيرات الجيوبوليتيكية السابقة. ولكن هذه قصة أخرى. إلا أن موضوع الكتابات الأيبيرية الجديدة ,والاختلافات الجديدة ,وجولة أخرى للنظم الجديدة، و"الجيوبوليتيكا" الغربية فى عصرنا، يجب أن ينتظر إجراء دراسات أخرى.

شكر وتقدير

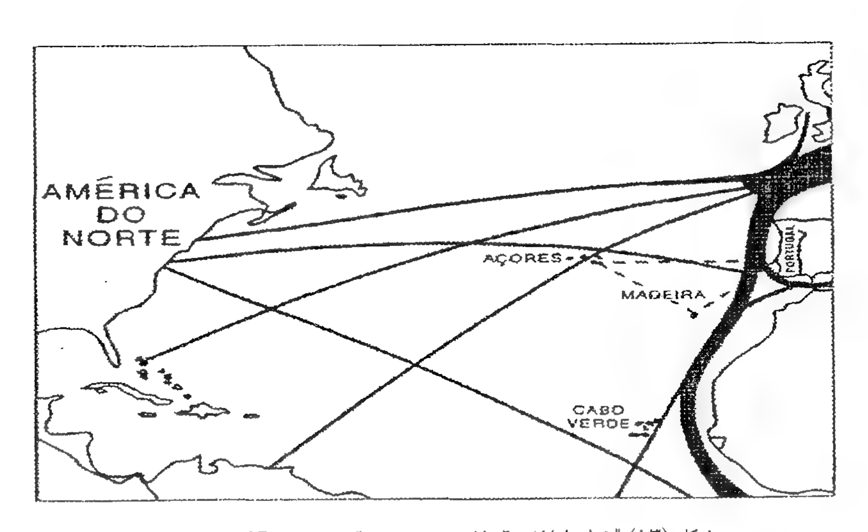
بالإضافة إلى المعلومات العامة التى قدمها انتونيو دى فيجوريدو، أود أيضا أن أشكر العاملين فى الجهات التالية فى لشبونة على ما قدموه من مساعدات ومعلومات أثناء ترددى على سجلات مكتبات ومتاحف كل من متحف الجمهورية والمقاومة، والأرشيف العسكرى التاريخى، ومكتبة جمعية لشبونة الجغرافية، ومعهد المكتبات والكتب الوطنية. ولكن لا يعتبر أى من العاملين فى هذه المؤسسات مسئولا بأية طريقة عن تفسيراتى للمواد التى ساعدونى على الحصول عليها. وكل الترجمات من الأصول البرتغالية والإسبانية قام بها المؤلف ,ما لم يذكر خلاف ذلك.

وبعض أجزاء هذا الفصل مأخوذة من مخطوطة مسودة غير منشورة (يبدو أنها تتوسع باستمرار) عن الجيوبوليتيكا البرتغالية. وبالنسبة للتعليقات على الصيغ المبكرة لهذا العمل ,فإننى أشكر ديفيد اتكنسون ,جيرى بوتون، سيمون دالبى، كلاوس دودز، ليس هيبل، ماركوس باور، ريتشارد روبنسون ,جيرويد او تواتيل ,جوناثان تورتون، وجورج شارب. وكذلك قدم ليس هيبل بعض المراجع والنسخ المفيدة من نصوص يصعب العثور عليها.

وأود أن أهدى هذا الفصل إلى ذكرى كل المتطوعين البريطانيين الذين ماتوا فى أيبيريا فى محاربة القوى التى يحاول هذا الفصل وصفها وفهمها.



شكل (١٢) "المثلث الإستراتيجى البرتغالى، المصدر: مقتبسة من Alves 1987: 128



شكل (١٣) "خطوط الملاحة، المصدر: مقتبسة من Alves 1987: 128

الهوامش

(١) فى عمله الخاص عن نظريات الإلحاد والأخلاق والأيديولوجية فى سياق تحليل جيوبوليتيكا رجل الدولة الأمريكى المؤثر جورج كينان، قدم ستيفنسون Stephanson (1989) ملاحظات واضحة على علاقة أمريكا بالبرتغال وموقع الجيوبوليتيكا البرتغالية فى سياق الحرب الباردة والغرب. وقد تطور هذا الموضوع فى دراسة Sidaway (1999)

(٢) كما جاء فى دراسة دودز وسيداواى ,Dodds and Sidaway (194) ظهر "الاقتصاد الجيوبوليتيكى" النقدى فى الكتابات الأكاديمية فى أواخر الثمانينيات. ولكنه ظل غير محدد بالرغم من النص العظيم الذى قدمه .Agnew and Corbridge (1995) أما بالنسبة للإطار المادى الذى ظهر فيه الخطاب الجيوبوليتيكى الرسمى؛ وتعتبر دراسة كيرنس Kearns (1084)مفيدة فى هذا الصدد.

(٣) يستفتح هارينجتون Harrington(1994) دراسته للدكتوراه بمفاهيم الهوية القومية فى شبه الجزيرة الأيبيرية فى الفترة من ١٩٢٥ إلى ١٨٧٤ ملاحظا أنه: "فى الثلاثين عاما الأخيرة من القرن التاسع عشر، والعقدين الأولين من القرن العشرين ,تدفقت "الأيبيرية" مثل تيار مياه عذب تحت السطح المتجمد للمؤسسات الاجتماعية فى اسبانيا والبرتغال. حيث بدت كحلم فكرى عظيم وبديل سياسى عملى". ولمزيد من التفاصيل عن هذه الموضوعات، انظر المراجع الواردة فى الملاحظة السادسة ,وانظر دراسة بريستون Preston (1993) عن السياسة الإسبانية تجاه البرتغال وقضية الناتو.

(٤) لا يتناول مقال روسيك Roucek (1964) الخطابات الجيوبوليتيكية البرتغالية، بالرغم من عنوانه الواعد. ولكن بعض النصوص مثل دراسة بروس Bruce (1975) والمجموعة التى حررها كاهين Cahen (1994) تعتبر مفيدة، إلا أنه على حد علمى لا يوجد تقرير نقدى شامل أو منهجى للخطاب الجيوبوليتيكى البرتغالى. وهناك تقرير شامل نوعا ما عن "الفكر الجيوبوليتيكى (الأوروبى) الغربى فى القرن العشرين نجده فى دراسة باركر" (Parker 1985) ولكنها لا تذكر التقاليد البرتغالية والاسبانية.

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر مراجعة Bosque-Maurel, Bosque-Sendra and Garcia-Ballestores (1992) والدراسات الأكثر نقدية عند Reguera (1990,1991, 1992)وكذلك Raffestin, lopreno and Pasteur (1995).

(٦) بالنسبة لعقلية الحروب الصليبية، انظر Preston (1993: 625-54)التى تستحق المقارنة مع دراسة Southworth (1963). وتقدم دراستا Marquina (1986) و Hughet (1997) تحليلات مفيدة عن الخطابات الخاصة بالدور الاسبانى الرئيس فى الدفاع عن البحر الأبيض المتوسط والغرب. وبالنسبة لاتفاقية القواعد فى ١٩٥٣ ، انظر .Vin?s (1981)وللاطلاع على كتاب تمهيدى عن السياسة الأمريكية اللاحقة تجاه اسبانيا ,انظر .Hadian (1978).

(٧) انظر دراسات Ehrilich (1998) , Lopes (1994), Alexandre (1996), Mates (1997), Harrington (19994) وذلك بالنسبة للدراسات التى تتناول الأدبيات. أما بالنسبة للتقارير المتاحة عن الخطابات الجيوبوليتيكية الأولية عند جيل ١٨٩٨ . فانظر Cortada (1980), Mata Olma (1995-96) Pike (1971). وبالنسبة للجغرافيا التاريخية لسنة ١٩٩٨، انظر Moradiellas (1993).

(٨) يحتوى الفصل السابع من الكتاب الذى ألفه جروجل وريس Grugel and Rees (19997) على ملخص مفيد ودليل ببليوجرافى إضافى لسجل "الهسبانيداد ("Hispanidad الدول الناطقة بالإسبانية). وانظر أيضا .Cortada (1980) , Pike (1971) وكان نظام بريمو دى ريفيرا (١٩٢٣– ١٩٣١) الذى سبق نظام فرانكو: "يتبنى بطرق متعددة صيغة قومية متشددة وأبوية من الأمريكانية الاسبانية. وقد أنشئ قسم خاص لأمريكا اللاتينية فى وزارة الخارجية، وأنشئت منظمات تمويلية لتشجيع التجارة ,وأنفقت مبالغ كبيرة على "معرض أمريكا الأيبيرية" الذى أقيم فى سيفيل فى ١٩٢٩ . واستقبلت دول أمريكا اللاتينية بحفاوة فى عصبة الأمم وهى السياسة التى أدت إلى تبنى اللغة الاسبانية كواحدة من لغاتها الرسمية Powell 1995: 14).)

(٩) أصبح جوزيه ماريا دى اريلزا سفيرا لاسبانيا فى الأرجنتين وفرنسا ,قبل اختلافه مع فرانكو فى منتصف الستينات وكان يؤيد الملكية المحافظة. وأصبح فيرناندو ماريا كاستيلا وزير الشئون الخارجية فى عهد فرانكو من ١٩٥٧ إلى ١٩٦٩ . وخلال ذلك الوقت كان يصر على انسحاب بريطانيا من جبل طارق. وبينما استطاع رفع قضية جبل طارق إلى لجنة تصفية الاستعمار التابعة للأمم المتحدة ,إلا أن ذلك لم يحقق تأثيرا حقيقيا على السياسة البريطانية.

(١٠) بالنسبة للأصول الاستعمارية لمعظم الخطابات الجيوبوليتيكية، انظر كلا من ó Tuathail (1996), Agnew and Corbridge (1995).

(١١) انظر دراسة Nowell (1982) القيمة.

(١٢) كان جالفناو Galão (1895-1970) شخصية مميزة. حيث أظهر تمردا، خاصة فى بدايات حياته وطرد من مدارس مختلفة. إلا أنه بعد ذلك أيد الدكتاتورية العسكرية بعد ١٩٢٦. وارتقى إلى مواقع المسئولية فى جهاز "الدولة الجديدة" ,بما فى ذلك حكم مدن فى أنجولا فى أوقات مختلفة، ومدير الإذاعة الوطنية (١٩٣٥– ١٩٤١) ومنظم "المعرض الاستعمارى البرتغالى" فى ١٩٣٤ . و"القسم الاستعمارى" من "معرض العالم البرتغالى" فى ١٩٤٠ . وكذلك جمع الكثير من النصوص والمقالات المتخصصة عن الإمبراطورية، وعددا من المسرحيات والروايات التى وقعت فى أفريقيا (وحصلت إحداها على "جائزة الأدب الإمبريالى"). ومع ذلك عاد تمرده للظهور فى الأربعينات وأصبح متورطا فى عدد من الاتهامات بالاعتداء على مسئولين استعماريين آخرين ,كان يتهمهم بالفساد وعدم الكفاءة (وربما كان على صواب). وقدم تقريرا إلى جلسة "سرية" للجمعية الوطنية أدان فيه العمل القسرى فى المستعمرات. وقد دفعه هذا التمرد إلى الصراع مع النظام ,وفى ١٩٥١ سجن لدوره فى التمرد ضد سالازار. إلا أنه هرب من السجن فى ١٩٥٩ وأصبح شخصية نشطة جدا فى المعارضة ,وشارك فى العديد من المؤامرات ضد سالازار خلال منفاه الطويل فى الأرجنتين والبرازيل وفنزويلا والعواصم الأوروبية الأخرى. ومات جالفاو فى البرازيل فى يونيو ١٩٧٠ قبل سالازار بوقت قصير. وتوجد معلومات أساسية عن سيرته الذاتية فى

Ventura (1994). وظل جالفاو يؤيد نوعا من الاتحاد الاستعمارى حتى النهاية ,وهذا الموضوع مفصل (مع أشياء أخرى) فى كتابه الذى نشر بعد وفاته بعنوان "كفاحى ضد سالازار والشيوعية فى البرتغال" (.Galv?o 1975) وبالنسبة لسيرته الذاتية ,انظر .Ventura (1994) وأنظر أيضا دراسة de Figueiredo (1975) والتى تأملت بإمعان ما الذى قاد جالفارو إلى التمرد ضد النظام ,وكذلك دراستى Raby (1988, 1994) الواسعتين عن المعارضين المنفيين.

(١٣) اتصال شخصى مع انتونيو فيجويريدو فى ٢/٨/ ,١٩٩٤

(١٤) كان يستحيل على دراسة مبدئية كهذه أن تقدم مسحا شاملا للخطاب الاستعمارى البرتغالى. إذ يحتوى فهرس الجمعية الجغرافية على آلاف المقالات والتقارير والدراسات من العشرينيات والثلاثينيات والأربعينات ,مما يساعد على تحديد الفئة. وتقدم جيوماريس Guimarães (1984) تاريخ الجمعية، ويفضل قراءة تقريرها فى سياق وصف بيريارا Pereira (1986) لتطور الخبرة الأنثروبولوجية. وأود أن أشير إلى مقالين فقط من مكتبة الجمعية هنا ,حيث أعتقد أنهما يجسدان التعبير عن النمط السائد فى الأربعينات (بناء على مسح عشوائى) وهما Sampayo e Mello (1940-41) بعنوان "فى تدخل المانحين فى التنظيم الاجتماعى والاقتصادى للممنوحين" ,وكذلك دراسة Pio (1944-45) بعنوان "الأسس الاجتماعية الاقتصادية لسياسة الاتصال العرقى". ويمكن أن تقدم خطب وبيانات سالازار فى نفس الفترة أمثلة عديدة. ولكن نظرا لأن هذه المجموعة تصل إلى ستة مجلدات ,ونظرا لأننى سوف أعتمد عليها لاحقا فى هذا الفصل، سأمتنع عن الإشارة إليها تأييدا لادعائى هنا. ومع ذلك ,قد تبدأ العملية مع المجلد الثالث من خطبه ومذكراته السياسية. ويعد خطابه فى ١١ مارس ١٩٣٨ لرابطة المحاربين القدماء (Salazar 1943: 21) بعنوان "إننا قوة مصيرها النصر" نقطة بداية مناسبة. ولمزيد من الانعكاسات عن حياة سالازار وتحفظه العميق، انظر .Key (1970), Newitt (1981), de Figueredo (1975)

(١٥) لمزيد من التحليل أنظر de Figueredo (1975) أو .Telo (1991)

(١٦) كان توقيع "اتفاق مدريد" مصحوبا بسيل من البيانات الرسمية والتوثيق الإعلامى لدور اسبانيا وفرانكو فى الدفاع عن الغرب. انظر .Preston (1993), s (1981)?Vin

(١٧) اعتمادا على دراسة جاديس Gaddis (1982), يصف تيلور Taylor (1993: 36) النظام الجيوبوليتيكى" بأنه "نتيجة التفسير الجيوبوليتيكى العملى. فهذه نظم أو أطر جغرافية تتعامل بها الحكومة مع العالم الخارجى، حيث يتم تحديد المصلحة القومية وتقييم الدول الأخرى فى ضوء ما إذا كانت تمثل مساعدات أو عقبات حقيقية أو محتملة بالنسبة لتلك المصلحة". وبالرغم من أن تصميم تيلور تخطيطى نوعا ما (خاصة فى إطار نظرية النظم العالمية الذى وضعه فيه) إلا أنه يظل مفيدا.

(١٨) نظرا لأن دراسة Teixeira (1992) تشمل ذلك، ونظرا لضيق المجال ,فلن نتناولها هنا. وهناك تحليل لموقف البرتغال من الناتو عند .Crollen (1973), Teb (1996), Sidaway (1999)

(١٩) مقابلة مع Groussard Serge نشرت أصلا فى لو فيجارو فى ٢ و ٣ سبتمبر ١٩٥٨ . وأعيد طبعها بالبرتغالية بعنوان "بانوراما السياسة العالمية" فى .Salazar (1960a: 3-19) ولم تكن البرتغال فريدة فى هذا الأسلوب، حيث طبقت فرنسا سياسة إدماج المستعمرات فى سياسة الدولة الأم فى الجزائر، وطبقتها بريطانيا فى أيرلندة.

(٢٠) يبدو مصطلح "العالم الحر" لكاتب برتغالى على وجه الخصوص غير قابل للتعريف وذلك فى ضوء ممارسات "الديموقراطية" (كما كان الحال فى الخطابات الأمريكية والبريطانية فى ذلك الوقت). وبدلا من ذلك، كانت تعتمد على أشياء مثل "روح الحضارة الغربية" و"مناهضة الشيوعية" و"وحدة الأصل والفكر التى أدت إلى عملية تاريخية بدأت فى اليونان فى فترات البطولة، وكانت تتحدد مبادئها الهامة فى أثينا، وتأخذ شكلها التشريعى فى روما، وبعد ذلك اندمجت فى المسيحية، وأخيرا أنتجت تقنية ناتجة عن العلم" (Comprido 1956: 229) وكان هذا "العالم الحر" يعرف أيضا فى مقابل "الكتلة الشرقية": "الناتجة عن تقارب كل الأفكار التى أنتجتها الشعوب الآسيوية الامبريالية المتنوعة، وتحتوى التعبير الحى عن أيديولوجية مشحونة بالغموض، وتشكل فى نفس الوقت أسلوب وغاية السيادة العالمية التى تمارسها روسيا"Comprido) (229 :1956 ولكننا نادرا ما نجد التحول من "الذات" إلى "الآخر" مكتوبا بصورة واضحة.

(٢١) تعتبر فكرة المثلث الاستراتيجى البرتغالى فى المحيط الأطلنطى بين لشبونة والآزور وماديرا فكرة بسيطة ومتكررة فى الخطاب الجيوبوليتيكى البرتغالى فى القرن العشرين. ويذهب فيريارا Ferreira (1992) إلى أن المشروع ظهر لأول مرة فى مقال نشره Covceira1906 وكذلك فإن اعتبار البرتغال "أرخبيلا" ظل - حاضرا بعد ١٩٩٥ طبعا- فى تصور كومبريدو ،وإن لم يكن على النطاق العالمى. ولمزيد من التفاصيل ,انظر الملاحظة الحادية والثلاثين. ومن الجدير بالاهتمام أيضا أن نلفت النظر إلى كتابات ثانوية أخرى عن الأطلنطى. وهكذا فإن Paul Gibry (1993: 15) يذكر كيف أن "الاهتمام بالأطلنطى كثقافة وكنظام سياسى قد فرض على الوصف التاريخى والتاريخ الفكرى للسود من خلال التشابكات الاقتصادية والتاريخية التى كانت فيها عبودية المزارع- التى تمثل "الرأسمالية المجردة"- فترة مميزة. وبالمثل هناك تعبير عن رؤية مختلفة للمصلحة العامة والعلاقة التاريخية فى التحالف بين الحركات الماركسية الوطنية فى غينيا وأنجولا وكوبا.

(٢٢) يذكر بولداليو ليما Boldalio Lema (1992: 185) ثلاثة منظمات مؤسسية للخطابات الجيوبوليتيكية البرتغالية :

- الجمعية الجغرافية فى لشبونة.
- المعهد العالى للعلوم الاجتماعية والسياسية بالجامعة التقنية فى لشبونة ,ومجلته "الدراسات السياسية والاجتماعية".
- معهد الدفاع الوطنى بوزارة الدفاع الوطنية، ودوريته التى تحمل اسم " الأمة والدفاع".

ويتطلب التحليل الكامل مراجعة شاملة للأدوار والعلاقات المؤسسية بين هذه المواقع. وبالنسبة لملخص أدوار الأفراد البارزين (بما فيهم سالازار) وأدوارهم فى إنتاج الخطاب الاستعمارى/الجيوبوليتيكى ,انظر الفصل الثانى من دراسة Serapião and El-Khawas (1979). أما الجغرافيا البشرية فى البرتغال- والتى تتجسد فى العمل الرئيسى الذى قدمه أورلاندو ريبيرو Orlando Riberio (1987) الذى يعد رائدا للجغرافيا البشرية فى القرن العشرين، وقد نشر هذا العمل لأول مرة فى ١٩٤٥ بعنوان "البرتغال: البحر المتوسط والمحيط الأطلنطى، مخطط للعلاقات الجغرافية" والذى يركز على الوحدة مع التنوع للبرتغال الأم - فقد تأثرت بأعمال فيدال دى لا بلاش، وبالتالى فإنها تحمل آثارا من الجيوبوليتيكا الواضحة لدى الأخير (انظر فى ذلك Gregory (1994

(٢٣) يقارن بعض المؤلفين الأسبان، مثل القبطان البحرى ,Vazquez Sans (1941) بين الاستعمار الأسبانى "المسيحى المتحضر" والامبريالية البريطانية "الجشعة".

(٢٤) كل الاقتباسات الواردة هنا من الطبعة الإنجليزية ,Freyre (1961) وانظر Léonard (1997) للمزيد عن استيلاء النظام على أعمال فريرى.

(٢٥) جذب عدد من الناس الاهتمام إلى قضية النوع (خاصة الذكورة) فى الخطابات الجيوبوليتيكية، وذلك فى الكتابة النقدية عن الجيوبوليتيكا والعلاقات الدولية. ومع ذلك، تعتبر كتابات فريرى استثنائية من حيث الشكل الذى تتخذه. حيث يذكر مادوريرا أنه: "من خلال الاستثمار الفعال لوضع البرتغال شبه الهامشى فى أوروبا ("تخلفها" الثقافى والاقتصادى) مع قيمة حضارية إيجابية وحركية، فإن اللوسو-استوائية (الأيبيرية -الاستوائية) تخطت خداع البرتغال للاستمرار فى المناطق الاستوائية وتحولت إلى قصة ساذجة لخداع الضحايا... وهكذا فإن هذا السرد المقبول شكلا للاستعمار البرتغالى يعتبر المناطق التى احتلها البرتغاليون بمثابة "فجوات" فرويدية كثيرة و"أرحام بللتها الشمس" ,ولكن كما تشير دراسة نقدية برازيلية حديثة لأعمال فريرى ,تتوقف العملية كلها على توافر "النساء المحليات للجنس" (Madureira 1995: 23)

(٢٦) أنظر مثلا Pina-Cabral (1989) أو Nunes (1994). فكما كان الحال فى الإمبراطورية البرتغالية ,ينتشر التمييز العنصرى فى المجتمع البرازيلى ,ولكن الغموض وإنكار الاختلاف العرقى منتشر ومستمر بسبب التركيب الاجتماعى للهوية البرازيلية "العرقية العليا".

(٢٧) أصبح الهجوم على "الاستعمار الهندى" أكثر حدة بعد أن احتلت الهند "جوا" فى ١٩٦١ . انظر مثلا Salazar (1962b).

(٢٨) هناك مثال آخر على خطب كيتانو بعد العشاء وبياناته الإذاعية والتليفزيونية عن الموضوعات الجيوبوليتيكية ,انظر .Caetano (1970, . 1973) وبالإضافة إلى ترانيم المصير الجيوبوليتيكى البرتغالى، يمكن أن تجد أمثلة أخرى فى مجلة "ما وراء البحار Ultramar".

(٢٩) كان لكتاب "اسبينولا" تأثير كبير ,لأنه جاء من رجل مرتبط بالنظام. وهو جدير بالمقارنة مع دراسات Serrão (1976) , Carvalho (1974). وللحصول على تقرير متاح عن هذا التحول ,انظر Mac-Queen (1997). وقد اعتنيت "بجيوبوليتيكية" هذه القضايا فى دراستى عام ١٩٩٦ Sidaway (1996), اعتمادا على التحليل التفكيكى الذى قدمه Maureira (1995) للتوجه المكانى لتصور الاختلاف القومى فى البرتغال.

(٣٠) إن تعبير "متاهة الحنين للماضى" مأخوذ من E. Lourenço (1978) حيث تمثل مزيجا شعريا أو رومانسيا من الحنين للماضى ,والتطلع أو الشوق للغائب والبعيد.

(٣١) يشير Aurélio (198708) فى مقال نقدى معتدل إلى المفكرين والاستراتيجية البرتغالية بقوله: "لا يزال التمثيل الدقيق للأراضى البرتغالية غير متفق عليه فى الدوائر الفكرية والعسكرية والسياسية، إذ يتراوح ما بين صورة أراضى قارية ذات جزر مجاورة، وأرخبيل موزع على مجموعتين فرعيتين من الجزر ترتكزان على القارة".

(٣٢) يدور العمود الصحفى الأسبوعى الذى يكتبه de Carvalho فى Diário de Not?cias حول موضوعات مماثلة. وقد نشرت مجموعة من هذه المقالات الصحفية حديثا (de Carvalho 1995)

قائمة المراجع

Agnew, J. and Corbridge, S. (1995) *Mastering Space: Hegemony, Territory and International Political Economy*, London: Routledge.

Alexandre, V. (1996) 'Questão nacional e questão colonial em Oliveira Martins', *Análise Social* 31: 183–201

Almeida, O. T. (1994) 'Portugal and the concern with national identity', *Bulletin Hispanic Studies* LXXI: 155–63.

Alves, T. L. (1987) *Geopolítica e geostratégia de Portugal, considerações sobre elementos históricos e actuais*, Lisbon: Gráfica Europa Lda.

Anderson, B. (1983) *Imagined Communities*, London: Verso.

Andrés Zapatero, S. (1950) *Los grandes paises de la tierra*, Barcelona: Liveria Elite.

Antunes, J. F. (1986) *Os Americanos e Portugal vl 1: Os anos de Richard Nixon (1969–74)*, Lisbon: Dom Quixote.

Anon. (1996) 'Moreover, resurrecting history', *Economist*, 6 July, 109–10.

Areilza, J. M. de and Castella, F. M. (1941) *Reivindicaciones de España*, Madrid: Instituto de Estudios Politicos.

Armado, R. (1940) 'Así está escrito', *Ejercito* 7: no pagination.

Atkinson, D. (1995) 'Geopolitics, cartography and geographical knowledge: envisioning Africa from Fascist Italy', ???-??? in M. Bell, R. A. Butler and M. J. Heffernan (eds) *Geographical Knowledge and Imperial Power 1820–1940*, Manchester: Manchester University Press.

Aurélio, D. P. (19878) 'Os intellectuais e a estrategia – o caso Português', *Estrategia*, 4: 89–108.

Bahia dos Santos, F. (1955) *Politíca Ultramarina de Portugal*, Lisbon: Sociedade de Geografia de Lisboa.

Basset, T. (1994) 'Cartography and empire building in nineteenth-century West-Africa', *Geographical Review* 84: 316–35.

Bassin, M. (1996) 'Nature, geopolitics and Marxism: ecological contestations in Weimer Germany', *Transactions of the Institute of British Geographers NS* 21 315–41.

Beneyto, J. (1972) *Historia geopolitica universal en el cuadro de las doctrinas politicas*, Madrid Aguilar.

Bordalio Lema, P. (1992) 'Tendências da Geografia Politica em Portugal e Espanha', I *Coloquio Ibérico de Geografia León 21 al 24 de Noviembre de 1987: acta, ponencias y commu-nicaciones*: 185–9.

Bruce, N. (1975) *Portugal: The Last Empire*, Newton Abbot and London: David and Charles.

Bosque-Maurel, J., Bosque-Sandra, J. and Garcia-Ballesteros, A. (1992) 'Academic geog-raphy in Spain and Franco's regime, 1936–55', *Political Geography* 11 (6): 550–62.

Cabral, A. (1973) *Return to the Sources: Selected Speeches*, New York and London: Monthly Review Press.

Caetano, M. (1970) 'Razões da Presença de Portugal no Ultramar', *Ultramar* 39: 115–34.

—— (1973) *Razões da Presença de Portugal no Ultramar*, Lisbon.

Cahen, M. (1994) *Géopolitiques des Mondes Lusophones*, Lusopopie 1994.

—— (1997) 'Des caravelles pour le futur? Discours politique et idéologie dans "l'institutionâlision" de la communauté de pays de langue portugaise', *Lusotopie* 1997: 391–433.

Capel, H. (1994) 'The imperial dream: geography and the Spanish Empire in the nineteenth century', 58–73 in A. Godlewska and N. Smith (eds) *Geography and Empire*, Blackwell.

Chassin, L. M. (1961) 'Geopolítica e a marinha do futoro', *Revista Marinha do Futoro* 455: 27–40.

Child, J. (1985) *Geopolitics and Conflict in Latin America*, New York: Praeger.

Clarence-Smith, G. (1985) *The Third Portuguese Empire, 1825–1975: A Study in Economic Imperialism*, Manchester: Manchester University Press.

Comprido, J. B. (1956) 'Importância geopolítica de Portugal para a estratégia do Mundo Livre', *Anais do Club Militar Naval* vol. LXXXVI 7–9: 223–68.

Cortada, J. W. (1980) 'Bibliographic essay on twentieth-century Spanish diplomacy', 261–73 in J. W. Cortada (ed.) *Spain in the Twentieth-Century World: Essays on Spanish Diplomacy 1898–1978*, London: Aldwych Press.

Coveeira, P. (1906) 'O Triangula Estratégico e a Aliança Inglesa', *Revista de Artilharia* 26.

Crespo, M. P. (1956) 'Portugal na Política e na Estratégia Mundias', *Anais do Club Militar Naval* LXXXXVI 4–6: 135–66 and 275–98.

Crollen, L. (1973) *Portugal, the US and Nato*, Leuven: Leuven University Press.

Dalby, S. (1994) 'Gender and critical geopolitics: reading security discourse in the new world disorder', *Environment and Planning D: Society and Space* 12 (5): 513–634.

da Costa, F. S. (1994) 'The opposition to the "New State" and the British attitude and the end of the Second World War: Hope and disillusion', *Portuguese Studies* 10: 155–76.

de Almeida, P. F. A. V. (1994) *Ensaios de Geopolítica*, Lisbon: Instituto Superior de Ciências Sociais e Políticâs/Instituto de Investigação Cientifica Tropical.

de Andre, A. A. (1961) *Many Races – One Nation: Racial Non-Discrimination Always the Cornerstone of Portugal's Overseas Policy*, Lisbon: np.

de Carvalho, J. B. (1974) *Rumo do Portugal. A Europa ou o Atlâutico*, Lisbon: Livros Horizonte.

—— (1991) 'Descobrimentos, Médio Oriente e países Lusófonos', *Africana* 9: 128–50.

—— (1992) 'Da racionalidade da Lusofonia', *Africana* 11: 189–202.

—— (1995) *O Mundo, a Europa e Portugal: artigos publicados em Diario de Noticios*, Lisbon: Sociedade Historica da Independencia de Portugal.

—— (1998) 'O regresso da geopolitica a África', *Africana* 19: 71–88

de Figueiredo, A. (1975) *Portugal: Fifty Years of Dictatorship*, Harmondsworth: Penguin.

de Reparaz, G. (1924) *La política de España en África*, Madrid: Calpe.

Do, Ó. (1992) 'Salazarismo e Cultura', in F. Rosas (Coordinator) *Nova Historia de Portugal: Portugal e o Estado Novo (1930–1960)*, Lisbon: Editorial Presen_a, 391–454.

de Sousa Santos, M. I. R. (1992) 'An imperialism of poets: the modernism of Fernando Pessoa and Hart Crane', *Luso-Brazilian Review* 24,1: 84–95.

Dodds, K. J. (1993) 'Geopolitics, cartography and the state in Latin America', *Political Geography* 12: 361–81.

Dodds, K. J. and Sidaway, J. D. (1994) 'Locating critical geopolitics', *Environment and Planning D: Society and Space* 12: 515–24.

Ehrlich, C. E. (1998) 'Per Catalunya; l'Espanya gran: Catalan regionalism on the offensive', *European History Quarterly* 28, 2: 189–217.

Ferreira, V. M. (1987) 'Uma nova ordem urbana para a capital do império – a 'modernidade' da urbanização e o 'autoritarismo',do Plano Director de Lisboa, 1938–48', in *O Estado Novo das origens ao fim da autarcia 1926–59*, 359–75.

Ferreira, J. J. B. (1992) 'Portugal `as Portas do Século XXI: Ensaio Geopolitico e Geostratégico', *Revista Militar* 44 (4): 243–68.

Freyre, G. (1958) *Integração Portuguesa nos Tropicos*, Junta de Investigações do Ultramar.

—— (1961) *Portuguese Integration in the Tropics*, Lisboa: Agencia Geral do Ultramar.

Gaddis, J. L. (1982) *Strategies of Containment*, New York: Oxford University Press.

Galvão, H. (1936) *O Império*, Lisbon: Edições SPN.

—— (1975) *A minha luta contra o Salazarismo e o Communismo*, Lisbon: Arcádia.

Gilroy, P. (1993) *The Black Atlantic, Modernity and Double Consciousness*, London: Verso.

Gramsci, A. (1949) *Note sul Machiavellia sulla politicia e sullo stato moderno*, Turin: Einaudi.

Gregory, D. (1994) *Geographical Imaginations*, Oxford: Blackwell.

Grugel, J. and Rees, T. (1997) *Franco's Spain*, London: Arnold.

Guimarães, A. (1984) *Uma corrente do colonialismo Português: a Sociedade de Geografia de Lisboa 1875–95*, Lisbon: Livros Horizonte.

—— (1987) 'O labirinto dos mitos', 107–21 in A.C. Pinto *et al.* (eds) *O Estado Novo ao fim da autarcia 1926–59*, Vol. 2, Lisbon: Editorial Fragmentos Lda.

Hadian, R. (1978) 'United States foreign policy towards Spain 1953–75', *Iberian Studies* 7, 1: 3–13.

Hahs, B. G. (1980) 'Spain and the scramble for Africa: the Africanistas and the Gulf of Guinea', Ph.D. thesis, University of New Mexico, Albuquerque.

Halliday, F. (1992) 'Atlantic connection', *New Statesman and Society*, 22 May, 25–6.

Harrington, T. S. (1994) 'The pedagogy of nationhood, concepts of national identity in the Iberian Peninsula 1874–1925', Ph.D. thesis, Department of Hispanic Studies, Brown University.

Herb, G. H. (1996) *Under the Map of Germany: Nationalism and Propaganda 1918–45*, London: Routledge.

Hecht, S. and Cockburn, A. (1989) *The Fate of the Forest: Developers, Destroyers and Defenders of the Amazon*, London: Verso

Hepple, L. (1986) 'The revival of geopolitics', *Political Geography Quarterly* 5: 21–36.

—— (1992) 'Metaphor, geopolitical discourse and the military in South America', 136–54

in T. J. Barnes and J. S. Duncan (eds) *Writing Worlds*, London: Routledge.
Hughet, M. (1997) 'Descubrir el Mediterráneo: una orientación recurrente en el ideario exterior franquista', *Cuadernos de Historia Contemporánea* 19: 89–115.
Kay, H. (1970) *Salazar and Modern Portugal*, London: Eyre and Spottiswoode.
Kearns, G. (1984) 'Closed space and political practice: Fredrick Jackson Turner and Halford Mackinder', *Environment and Planning D: Society and Space* 1: 23–34.
Léonard, Y. (1997) 'Salazarisme et Lusotropicalisme, historie d'une appropriation', *Lusotopie* 1997: 211–26.
Lopes, A. C. (1994) 'Dois projectos de geopolitica iberica, de matriz tradicionalista-Vazquex de Mella e Antonio Sardinha', *Revista da Faculdade de Letras* 16/17: 99–113.
Lourenço, E. (1978) *O labrinto da saudade, psicanálise mítica do destino português*, Lisbon: Dom Quixote.
MacQueen, N. (1997) *The Decolonization of Portuguese Africa: Metropolitan Revolution and the Dissolution of Empire*, London: Longman.
Madureira, L. (1995) 'The discreet seductiveness of the crumbling empire – sex, violence and colonialism in the fiction of António Lobo Antunes', *Luso-Brazilian Review* 32, 1: 17–29.
Magalhães, G. M. de (1972) 'A evolução do Oceano Índico', *Revista Militar 2-a epoca* ano 24, 7: 358–74.
—— (1975) 'A do Cabo na estratégia e na economia do Oriente', *Memorias do Centro de Estudos de Marinha* 5: 576–66.
Marquina, B. A. (1986) *España en la política de seguridad occidental*, 1939 86, Madrid: Ediciones Ejército.
Mata Olmo, R. (1995–6) 'Spain between Latin America and Europe: a geopolitical overview', *Boletin de la Associación de Geografos Españoles*, 21–2: 27–45.
Matos, S. C. (1997) 'Portugal: the nineteenth-century debate on the formation of the nation', *Portuguese Studies* 13: 66–94.
Ministry of Foreign Affairs (1970) *Portugal Replies to the United Nations*, Lisbon: Imprensa Nacional.
Minter, W. (1972) *Portuguese Africa and the West*, Harmondsworth: Penguin.
Moradiellos, E. (1993) '1898: a colonial disaster foretold', *Association for Contemporary Iberian Studies* 6 (2): 3–38.
Moreira, A. (1955) 'A conferência de Bandung e a missão de Portugal', *Separata do Boletim da Sociedade de Geografia de Lisboa* April–June.
Neto, J. P. (1963) 'O significado do Multirracialismo Português', *Separata da Revista Ultramar* no. 13–14.
——. (1968a) 'A evolução e tendencias recentes das hipóteses geopolíticas', *Separata de Estudos Politicos e Socias* 6 (1): 93–108.
——. (1968b) *As províncias portuguesas do Oriente pertante as hipótesas geopolíticas*, Lisbon: Instituto Superior de Ciencias Sociais e Política Ultramarina.

Newitt, M. (1981) *Portugal in Africa, The Last Hundred Years*, London.

Nowell, C. E. (1982) *The Rose-Colored Map: Portugal's Attempt to Build an African Empire from the Atlantic to the Indian Ocean*, Lisbon: Junta de Investigações Científica do Ultramar.

Nunes, Z. (1994) 'Anthropology and race in Brazilian modernism', 115–25 in F. Barker, P. Hulme and M. Iversen (eds) *Colonial Discourse/Postcolonial Theory*, Manchester: Manchester University Press.

O'Loughlin, J. and van der Wusten, H. (1990) 'The political geography of pan-regions', *Geographical Review* 80, 1: 1–20.

Ó Tuathail, G. (1992) 'Foreign policy and the hyperreal: the Reagan administration and the scripting of "South Africa"', 155–76 in T. J. Barnes and J. S. Duncan (eds) *Writing Worlds: Discourse, Text and Metaphor in the Representation of Landscape*, London: Routledge.

—— (1996) *Critical Geopolitics*, London: Routledge.

Parker, G. (1985) *Western Geopolitical Thought in the Twentieth Century*, London: Croom Helm.

Pereira, R. (1986) *Antropologia aplicada na política colonial portuguesa: a missão de Estudos das Minorias Étnicas do Ultramar Português (1956–61)*, Faculdade de Ciências Sociais e Humanas/UNL.

Pike, F. B. (1971) *Hispanismo, 1898–1936. Spanish Conservatives and Liberals and their Relations with Spanish America*, Notre Dame and London: University of Notre Dame Press.

Pina-Cabral, J. de (1989) 'Sociocultural differentiation and regional identity in Europe', 265–97 in R. Herr and J. H. R. Holt (eds) *Iberian Identity: Essays on the Nature of Identity in Portugal and Spain*, Berkeley: Institute of International Studies.

Pinto, J. E. R. (1956) 'Importância geopolitica de Portugal para a estratégia do Mundo Livre', *Anais do Club Militar Naval* 86, 10–12: 401–26.

Pio, S. M. (1944–5) 'Bases económico-sociais de uma Politica de contacto de Raças', *Anuário da Escola Superior Colonial* years 23 and 24: 133–40.

Powell, C. T. (1995) 'Spain's external relations 1878–1975', 11–29 in R. Gillespie, F. Rodrigo and J. Story (eds) *Democratic Spain: Reshaping Relations in a Changing World*, London: Routledge.

Preston, P. (1993) *Franco: A Biography*, London: Harper Collins.

Prior, G. (1951) 'A geopolitica e a estratégia mundial', *Anais de Marinha* ano 11, 16: 3–15.

—— (1956) 'A Africa na estratégia global', *Revista Militar* 8(II S'eculo), 5. 283–96.

Raffesin, C., Lopreno, D. and Pasteur, Y. (1995) *Géopolitique et Histoire*, Lausanne: Editions Payot.

Raby, D. L. (1988) *Fascism and Resistance in Portugal*, Manchester and New York: Manchester University Press.

—— (1994) *Portuguese Exile Politics: The 'Frente Patriótica de Libertação Nacional, 1962–73*.

Reguera, A. T. (1990) 'Origenes de pensamiento geopolitico en España. Una primera aproximación', *Documents d'anàlisi geogràfica* 17: 79–104.

—— (1991) 'Facismo y Geopolitica en España', *Geocritica* 94: 11–63.

—— (1992) 'Recepcion en España de la geopolitica Alemano. Desde los fundamentos ratzelianos hasta el radicalismo nazi', I' *Coloquio iberico de geografiá León 21 al 24 de noviem-*

bre de 1989: acto, potencias y communicaciones, Universidad de León: Departamento de Geografia: 221–33.

Ribeiro, O. (1987) (First edition 1945) *Portugal: O Mediterrâneo e o Atlântico. Esboço de relações geográficas*, Lisbon: Livaria Sá da Costa Editora.

Rita, J. G. da Costa Santa (1944) 'A geopolitica e as colónias de Angola e Moçambique', *Anuário da Escola Superior Colonial Anos* 23 & 24: 133–40.

Roucek, J. S. (1964) 'Portugal in geopolitics', *Contemporary Review* 205: 47688.

Sacchetti, A. F. (1987) *Geopolítica e Geostratégia do Atlântico*, Lisbon: Instituto Superior Naval de Guerra.

Sacchetti, A. F. *et al.* (1989) *Atlântico Norte e Atlântico Sul: Geopolítica e estratégia*, Lisbon: Instituto Superior Naval de Guerra.

Salazar, O. (1943) 'Nos somos uma força destinada a vencer', 21 in O. Salazar (ed.) *Discursos e notas politics Vol 3, 1938–43*, Coimbra: Coimbra Editora Lda.

—— (1960a) 'Panorama da Política Mundial', 3–48 in *Discursos e notas politicas, Vol 6 1959–66*, Coimbra: Coimbra Editora Lda.

—— (1960b) 'Portugal e a campanha anticolonista. Discurso pronunciada na sessão da Assembleia Nacional de 30/11/60', in *Discursos e notas politicas, vol. 6 1959–66*, Coimbra: Coimbra Editora Lda.

—— (1961) 'O Ultramar Português e o ONU. Discurso pronunciada na sessão extraordinária da Assembleia Nacional em 30/6/1961', in *Discursos e notas políticas vol. 6 1959–66*, Coimbra: Coimbra Editora Lda, 127–58.

—— (1962a) 'Defesa de Angola – Defesa da Europa. Discurso proferido na Cova da Moura em 4/12/62', 59–66 and 227–37 in *Discursos e notas politicas, vol. 6 1959–66*, Coimbra: Coimbra Editora Lda.

—— (1962b) 'Occupacão e Invasão de Goa', *Ultramar* 7/8: 179–91.

Sampayo e Mello, L.V. de (1940–41) 'Do intervencionalismo dos dominadores na organização social e economia dos dominados', *Anuário da Escola Superior Colonial* Anos 21 & 22: 189–221.

Sanches, M.C. (1963) 'Meditácões Geopoliticas-Geostratégicas', *Anais do Clube Militar Naval tomo* 93: 1–3 and 10–12; vol. 94: 1–3.

Serapião, L.B. and El-Khawas, M. (1979) *Mozambique in the Twentieth Century: From Colonialism to Independence*, Washington, D.C.: University Press of America.

Serrão, J. (1976) 'Repensar Portugal', *Nação e Defesa* April 1976.

Sidaway, J. D. (1996) *Geopolitical (Re)imaginations: The Portuguese Case*, unpublished manuscript, available from the author.

—— (1998) 'What is in a Gulf?: from the 'arc of crisis to the Gulf War', 224–39 in S. Dalby and G. Ó Tuathail (eds) *Rethinking Geopolitics*, London: Routledge.

—— (1999) 'American power and the fracture of the Portuguese empire', 195–209 in D. Slater and P. Taylor (eds) *The American Century: Consensus and Coercion in the Projection of*

American Power, Oxford: Blackwell.

Southworth, H. (1963) *El mito de la cruzada de Franco*, Paris: Ruedo Ibérico.

Spínola, A. de (1974) *Portugal e o futuro: análise da conjuntura nacional*, Lisbon: Arcádia.

Stephanson, A. (1989) *Kennan and the Art of Foreign Policy*, Cambridge, Mass.: Harvard University Press.

—— (1996) 'Rethinking international relations', *New Left Review* 220: 137–42.

Taylor, P. J. (1990) *Britain and the Cold War: 1945 as Geopolitical Transition*, London: Pinter.

—— (1993) 'Geopolitical world orders', 31–61 in P. J. Taylor (ed.) *Political Geography of the Twentieth Century: A Global Analysis*, London: Belhaven.

Tavares, A. R. da Silva (1964) *Política Ultramarina Portuguesa, seus objectivos Históricos e Actuais. sua posição perante a conjuntura internacional* (Conferência Proferida no Instituto des Altos Estudos Militares em 28 de Fevereiro de 1964), Lisbon: Agência Geral do Ultramar.

Teixeira, N. S. (1992) 'From neutrality to alignment: Portugal in the foundation of the Atlantic Pact', *Luso Brazilian Review*, 29, 2: 113–26

Telo, J. A. (1996) *Portugal e a NATO: o reencontro da tradição Atlântica*, Lisbon: Ediçoes Cosmos.

Vazquez Sans, J. (1940) *España ante Inglaterra*, Barcelona: Angel Ortega.

Ventura, A. (1994) 'Resistências ao regime ditatorial: Henrique Galvão', in J. Medina (director) *História de Portugal; dos tempos pré-históricos aos nossos dias, Vol XXIII O Estado Novo opressão e resistência*, Lisbon: Ediclube, 235–8.

Vicens Vives, J. (1940) *España: Geopolitica del Estado y del Imperio*, Barcelona: Editorial Yunque.

—— (1941) 'Spanien und die geopolitische Neuordnung der Welt', *Zeitschrift für Geopolitik* 18, 5: 256–63.

—— (1950) *Tratado de geopolitica*, Barcelona: Editorial Vicens Vives.

Viñas, A. (1981) *Los pactos secretos de Franco con Estados Unidos: bases, ayuda económica, recortes de soberania*, Barcelona: Edicones Grijalbo.

Weber, C. (1994) 'Shoring up a sea of signs : how the Caribbean Basin Initiative framed the US invasion of Grenada', *Environment and Planning D: Society and Space* 12, 5: 513–634.

Wise, P. (1995) 'Portugal tries to preserve waning influence', *Financial Times* 26 July 1995: 3.



الفصل السابع

الجيوبوليتيكا والتصور الجغرافى للأرجنتين

كلاوس دودز



مقدمة

يقول الكاتب الأرجنتيني جورج اتنسيو Jorge Atencio في نصه الشهير "ما هي الجيوبوليتيكا؟" إن محتوى هذا الموضوع يتناول "تأثير العوامل الجغرافية في حياة وتطور الدول ,بهدف استنباط النتائج ذات الطابع السياسي... (فالجيوبوليتيكا) توجه رجال الدولة في تطبيق السياسة المحلية والخارجية للدولة، وتوجه القوات المسلحة للاستعداد للدفاع الوطني وفي ممارسة الإستراتيجية ,وتسهل التخطيط للطوارئ المستقبلية بناء على ملامح جغرافية دائمة نسبيا ، بما يسمح بإجراء حسابات معينة بين هذه الحقائق الطبيعية وأهداف قومية معينة مقترحة، وبالتالي بين وسائل تطبيق الاستجابات السياسية أو الإستراتيجية المناسبة" (Atencio 1986: 41)

أي أن جيوبوليتيكا اتنسيو عبارة عن مفهوم يخص العلاقات الدولية ,حيث تتحدد الاحتياجات الإقليمية للدولة بناء على تقييم جغرافي لموقعها ومواردها وطبوغرافيتها . ونظرا لأنه كان ضابطا سابقا بالقوات المسلحة، فإن كتاباته عن الأرجنتين والمجال السياسي تركز على إطار الدولة العضوية والنظرة الحتمية للأراضي والسكان. وبينما لم يعتبر المكان مجرد خلفية للأحداث، إلا أنه تجاهل الخصائص الثقافية والاجتماعية للمكان بدرجة كبيرة، فالملامح الجغرافية مثل الأنهار والجبال والبحار كانت تعتبر عوامل دائمة يمكن تعديلها ولكن لا يمكن التخلص منها بالجهد البشري أبدا .

وقد قام أكبر الناشرين الجيوبوليتيكيين الأرجنتينيين (إيديتوريال بليمر) بنشر بحث اتنسيو عن حالة الجيوبوليتيكا في ١٩٦٥ . وتتضافر خيوط عديدة من الفكر الجيوبوليتيكي الأوروبي والأمريكي في المناقشة الدائرة حول التشابهات العضوية بين

كتابات راتزل فى دورية "الجيوبوليتيكا" الألمانية وملاحظات نيكولاس سبيكمان على دور العوامل الجغرافية فى التأثير على صنع السياسة الخارجية، حيث كانت أفكار هالفورد ماكيندر المتعلقة "بقلب الأرض" تتكرر كثيرا لدى كتاب مثل اتنسيو من أجل تقديم تحليلات متزنة للوضع الجغرافى الهامشى للأرجنتين فى السياسة العالمية. ومع ذلك، يكمن تحت هذه الكتابات إحساس بخيبة الأمل والإحباط لأن الأرجنتين لم تكن مشاركة فى اللعبة الكبرى للسياسة العالمية.

وكان استيراد الأفكار الأوروبية والأمريكية الشمالية المتعلقة بالدولة القومية أمرا عاديا بالنسبة لثقافة فكرية تتمتع بثراء فى الفن والأدب الفرنسى والأوبرا الإيطالية والتجارة والفكر المالى البريطانى والإستراتيجية العسكرية الألمانية والنماذج الأنجلو-أمريكية للتعليم الوطنى، ومع ذلك يجب ألا يعنى هذا ببساطة أن الكتاب الأرجنتينيين اقتصروا فقط على تقديم الأفكار والأيديولوجيات المشتقة. فالفكر الجيوبوليتيكى الأرجنتينى ليس مجرد تركيبة معقدة من الأفكار والممارسات، ولكنه أيضا نتيجة الموقع الجغرافى المحدد والثقافة العامة للأرجنتين. وكانت الكتابة الجيوبوليتيكية فى الطرف الجنوبى من العالم – كما هو الحال فى بقية أجزائه – تميل إلى المبالغة فى أهمية المكان من حيث الغزو السياسى والحصول على الأراضى والسيطرة على المكان (Escudé 1984, 1992) وكان هذا واضحا جدا خلال ما يسمى "الحرب القذرة" فى السبعينات ،عندما حاول الجيش الأرجنتينى فرض منهج الأمن القومى على الأمة. وكثيرا ما كان الكتاب الجيوبوليتيكيون والضباط الأرجنتينيون يستخدمون تشبيهات محذرة تعتمد على استعارة مفردات المرض والعدوى لتوضيح اعتلال الدولة القومية (Goyret 1980: Sibley 1995: 72-89) وكذلك اعتمدت الكتابات الجيوبوليتيكية الأرجنتينية على أطر ثقافية معينة بالإضافة إلى الكثير من المعرفة الجغرافية لتقديم صور معينة "للجمهورية" وحدودها الدولية المتنازع عليها ،وأراضيها ومناطقها الأمنية وأقاليمها الحدودية.

وبينما قام عدد كبير من الكتاب من أمريكا الشمالية والجنوبية بالدراسة المتأنية لأدبيات الجيوبوليتيكا الأرجنتينية، لم يهتم سوى القليل منهم بالظروف السياقية الواسعة التى ساعدت على ظهور هذا الكم من الفكر فى الأرجنتين فى القرن العشرين (Pittman 1981; Child 1985; Kelly and Child 1988) وبالإضافة إلى ذلك ،كان هناك رفض لتحديد الخيوط الرسمية والشعبية للفكر الجيوبوليتيكى الأرجنتينى. ومن خلال تبنى المنبر النظرى للجيوبوليتيكا النقدية، سيتضح كيف أنه تم حشد أفكار معينة عن الدولة والأرض والهوية القومية لإثراء مجال الأدب الجيوبوليتيكى فى "جمهورية الأرجنتين (óTuathail 1996; óTuathail and Dalby 1998)

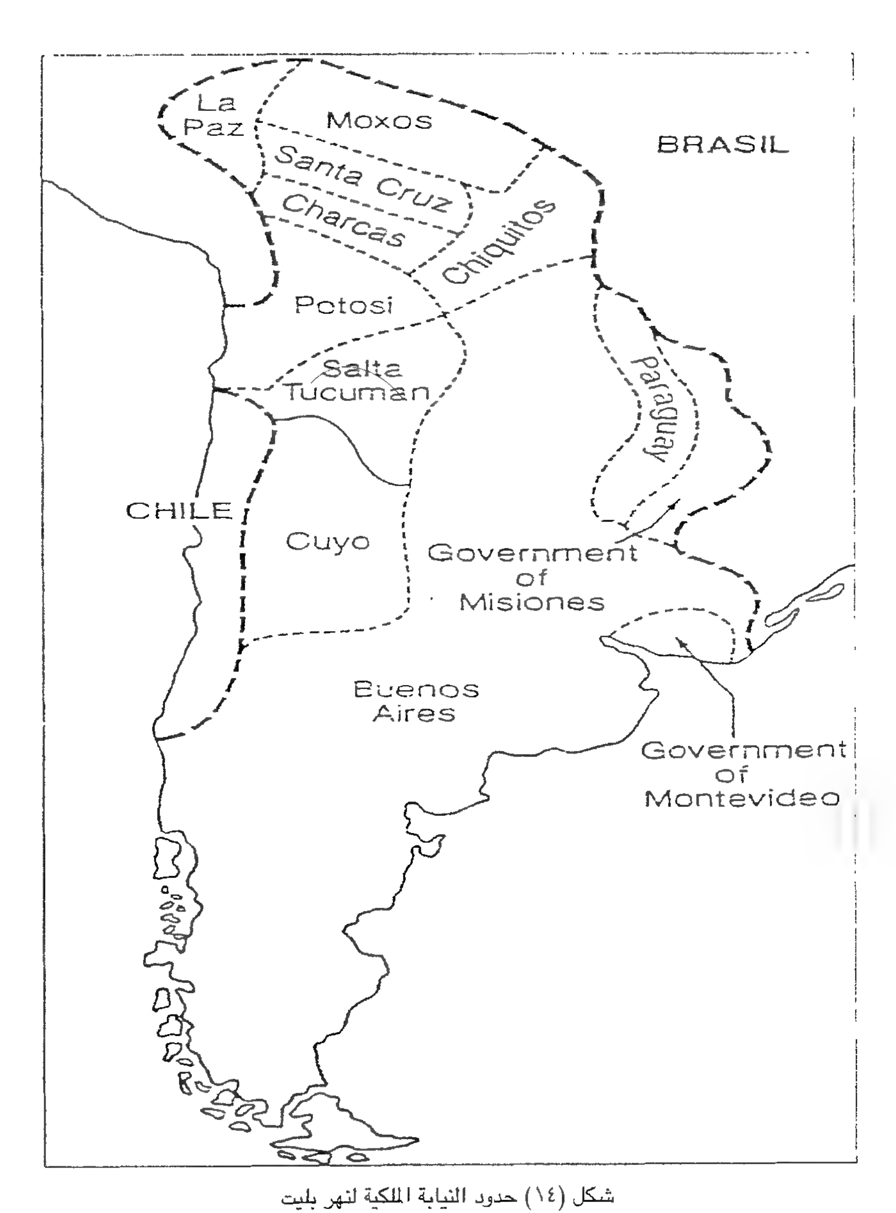
ويقوم هذا الفصل مبدئيا بتقييم الأوضاع الاجتماعية والسياسية التى سادت فى الوقت الذى تمت فيه كتابة بعض أقدم الإشارات إلى "الجيوبوليتيكا" عند مؤلفين مثل الأدميرال ستورنى فى النص الذى كتبه فى ١٩١٦ بعنوان "المصالح الأرجنتينية فى البحر" (Storni 1967) وبعد ذلك ،تتحول المناقشة إلى الثلاثينات واستيراد الأفكار والممارسات الألمانية المتعلقة بالقوات المسلحة والفكر الجيوبوليتيكى. فقد كانت هذه الفترة هامة فى التاريخ الفكرى للجيوبوليتيكا ،حيث أدت إلى رؤية خاصة للأرجنتين كدولة غير متميزة إقليميا. ومع ظهور الكولونيل خوان بيرون فى الأربعينات ،بدأ الفكر السياسى الأرجنتينى يشمل "طريقا ثالثا" فى السياسة الدولية، مما جاء فى النهاية عكس مصالح وضع الأرجنتين فى منظمات أمنية مثل "حلف ريو" من جانب الولايات المتحدة. وبعد الحقبة البيرونية، أدى التدخل المسلح للجيش إلى تحول هام فى الخطاب الجيوبوليتيكى، وذلك لأن الأمن الداخلى ظهر كأولوية مع التطلعات القديمة المتعلقة بالتكامل القومى والقوة الدولية. وفى السبعينات توافق هذا الاهتمام بالأمن الداخلى للدولة الأرجنتينية مع المخاوف الخارجية الناتجة عن الأهمية الإستراتيجية لجنوب الأطلنطى والقارة القطبية الجنوبية. وأخيرا، يمكن دراسة الجيوبوليتيكا الأرجنتينية فى ضوء الانتقادات المختلفة للموضوع فى الدوائر الأكاديمية والسياسية الأرجنتينية، فى أعقاب الثورة الديموقراطية فى ١٩٨٣ .

الجيوبوليتيكا والتركيب الجغرافى للأرجنتين بعد الاستقلال

أعلن قيام جمهورية الأرجنتين رسميا فى ٢٥ مايو. ١٨١٠ وهى بذلك من الأمثلة المبكرة على دول ما بعد الاستعمار فى أمريكا اللاتينية. وطوال المائة سنة التالية ,ناضل عدد من الزعماء مثل الرئيس خوان روساس والجنرال خوان روكا لتجميع الدولة القومية من مختلف أجزاء الإمبراطورية الاسبانية المفككة والأقاليم الإدارية فى النيابة الملكية لنهر بليت (انظر شكل ١٤). وكانت عملية تكوين الدولة والهوية عنيفة وتدريجية، وتخضع لمفاوضات معقدة كما يقول نيكولاس شومواى:

"بينما كانت أساطير الشعوب التى يمكن بناء الأمم عليها متوافرة فى أوروبا وفى أمريكا إلى حد ما قبل تكوين الدول ذاتها، نجد فى أمريكا الاسبانية أن الصراع المدنى بعد الاستقلال أجبر الأمم على الظهور فى مناطق لم يكن فيها أى تصور موجه للأمم المستقلة. وتزايد تعقيد تكوين الأمم بسبب الحروب الأهلية فى أمريكا الاسبانية بعد الاستقلال، مما أدى فى الواقع إلى انقسام أربع نيابات ملكية إلى ثمانية عشر جمهورية مستقلة" (Shumway 1991: 2 - 3)

وبينما حظيت عمليات تكوين دولة الأرجنتين باهتمام كبير ,لم يكن هناك اهتمام مماثل بالنقص الواضح فى "التصورات الموجهة"، وكيف أثر هذا على الخطابات الجغرافية والجيوبوليتيكية المتعلقة بالحدود الأيديولوجية والطبيعية للأرجنتين Gerassi 1964; Walther 1976; Ozlak 1983; Rock 1987; Calvert and Calvert 1989; Escudé (1990; Shumway 199



شكل (١٤) حدود النيابة الملكية لنهر بليت

التركيب الجغرافى والسياسى للأرجنتين

تضمن التكوين الجغرافى لجمهورية الأرجنتين سلسلة من الصراعات المريرة بين الإمارات المختلفة والدول المتنافسة مثل شيلى والسكان الهنود الأصليين فى باتاجونيا والبامبا. وطوال خمسين عاما، كانت النخبة المستقرة فى بيونس ايريس تحاول أن تهادن وتنظم السكان والمناطق التى قاومت الدافع القومى. وقام كتاب قوميون مثل خوان إلبيرى بكتابة "إعادة تركيب جغرافية أمريكا الجنوبية" (١٩٧٨) بهدف واضح يتمثل فى حث إدارة روكو على تطوير السلطة المؤسسية للدولة، من أجل تدعيم تكامل الأراضى المرتبطة بالنيابة الملكية السابقة لنهر بليت. بل إن دومنجو سارميمنتو نادى فى ١٨٥٠ بإنشاء عاصمة جديدة مقرها فى جزيرة مارتن جارسيا فى نهر بليت، حتى تستطيع الأرجنتين استئناف إعادة توحيد نيابة الملكية فى الجزء الأخير من القرن التاسع عشر.

وكانت رسالة سارمينتو عن التكامل الإقليمى جزء من مشروع أوسع يفترض أن الأرجنتين تستلهم من الليبرالية الأوروبية كى تتعامل مع التراث الاسبانى للزعامات التى شجعت الدكتاتوريات الطويلة مثل حالة خوان مانويل روساس (١٨٢٩ – ٥٢). ففى ظل نظام روساس كانت التنمية الاقتصادية والسياسية مركزة فى أيدى الأقلية المتميزة ,ولذلك يقول سارمينتو إن تطور الأرجنتين كدولة وكمجتمع سيتأثر بنقص التكامل والشعور القومى (Dijkink 1996: 75-6) وبعد ذلك قال عدد كبير من المفكرين والمعلقين مثل خوان باتستا إلبيردى إن المواطنين الأرجنتينيين يظهرون قدرا كبيرا من التضارب تجاه المواطنة وعلاقتهم بالدولة ,بدلا من اعتناق فكرة النظام السياسى والاجتماعى القائم على المشاركة.

وكانت عملية توسيع الحدود الجغرافية لجمهورية الأرجنتين سهلة بسبب تطور تربية الماشية فى سهول البامباس وإنشاء نظام سكك حديدية لنقل المحاصيل واللحوم إلى موانى بوينس أيريس وحوض بلاتا، وبالتالى تطوير شبكة نقل وتجارة تساند العمليات الاقتصادية والمؤسسية (Lewis 1983; Hodge 1984) ومع ذلك ,فإنه بالرغم من

إنشاء وزارة للشئون الخارجية والشؤون الدينية فى ١٨٢٠ . ظلت العلاقات الدولية والشئون الخارجية محملة بالصعوبات، لأن النخبة الأرجنتينية اختلفت مع جيرانها على الحدود الجغرافية المشتركة مثل الأندين وريوبلاتا. وبالرغم من الاستقلال الذى كانت تبدو علاماته فى الأفق ,كانت الحدود والتخوم غير محددة جيدا، وغير مكتملة على الخرائط، وكانت المناطق الحدودية غير مأهولة بمستوطنين أوروبيين أو من ذوى الأصول الكريولية.

ولذلك استنتج معلقون أرجنتينيون محدثون مثل روميرو ,سانتس وأوزلاك أنه يستحيل الحديث عن دولة أرجنتينية قبل ثمانينات القرن التاسع عشر ,فى أعقاب "غزو الصحراء" الناجح فيما بين ١٨٧٩ و١٨٨٣ . وكانت الإبادة النهائية للسكان الهنود الأصليين بمثابة ذروة تكوين دولة الأرجنتين ونهاية المقاومة من مجموعات مثل الرانكول الذين كانوا فى سهول البامباس وصحراء باتاجونيا. وقد شجع صدور قوانين الملكية مثل قانون ١٨٦٧ المزارعين والمستعمرين على احتلال وتحديد "الأماكن الشاغرة" ظاهريا فى البامباس وباتاجونيا. وقد تزامنت عملية رعى وتربية الماشية مع تصاعد الحملات العسكرية العدوانية لإزالة السكان الهنود من المناطق الجنوبية. وحدث أكثر التطورات الجذرية فى أواخر سبعينيات القرن التاسع عشر عندما صدرت التعليمات للجنرال روكا بإزالة السكان الهنود من الأراضى التى تقع جنوب ريونجرو. ففى ١٨٧٩ قام جيش مكون من ثمانية آلاف فرد مصحوبا بجغرافيين ومساحين باكتساح صحراء باتاجونيا وحاول إزالة السكان الهنود من آلاف الأميال من الأرض. وقد ذكر روكا فى تقريره الرسمى لوزارة الحرب أن: "لم يترك مكان واحد فى الصحراء يستطيع الهنود منه تهديد المستعمرين فى البامباس... وسيأتى السكان المتحضرون ويريحون قواتنا المسلحة من خدمات الشرطة التى لا غنى عنها، والتى لا نزال فى حاجة إليها اليوم (Roca 1882 مقتبس فى Hashbrouck 1935: 223) وبعد ذلك، تحول عشرون مليون هكتار من أراضى باتاجونيا إلى أقرب خمسمائة شخص مساند لروكا فى صورة ملكيات خاصة. وهكذا ضمنت قوانين الأراضى الموجودة سلفا أن هذه الأراضى المستعمرة حديثا فى الجنوب ستديرها وتنظمها الدولة الأرجنتينية.

وقد كان "غزو الصحراء" علامة بارزة فى تكوين دولة الأرجنتين ,لأنه اقتطع مساحات شاسعة من الأراضى من المجتمعات الهندية الأصلية بتكلفة مالية كبيرة بالنسبة للدولة (١,٥ مليون بيزو). وفى نفس الوقت قام المعهد الجغرافى الأرجنتينى (AGI) المنشأ حديثا، بالتعاون مع الكولونيل مانويل أولاسكواجا، من المكتب العسكرى للطبوغرافيا، بإعداد مسوح وخرائط تفصيلية للمنطقة الواقعة بين نهرى نيوكوين وليماى والمرتفعات الجبلية للأنديز (Dodds 1993) وقد استخدم المفاوضون الأرجنتينيون هذه المعلومات الجغرافية الحديثة عن باتاجونيا فى مناقشاتهم اللاحقة مع السلطات الشيلية حول حدود الأنديز المشتركة. وقال الجنرال روكا فى ١٨٧٩ إن احتلال باتاجونيا أثبت أن الأرجنتين كانت دولة متحضرة ومتقدمة، لأن "العرق الأضعف يجب أن يتلاشى فى مواجهة العرق الذى تحابيه الطبيعة" (مقتبس فى McLynn 1980: 28).

التصورات الجغرافية والعرقية للأرجنتين

لم يكن بناء "الأرجنتين" مجرد عملية تحديد مادى لحيز قومى وحدود إقليمية معينة. إذ كان لدى الجنود والقوميين فى القرن التاسع عشر ,مثل خوان روكا، رؤى واضحة للمواطنة الأرجنتينية ,لأنهم كانوا متأثرين بالداروينية الاجتماعية والنظريات العرقية. ومع أواخر القرن التاسع عشر، وفى مواجهة تصاعد الهجرة الأوروبية والنمو الاقتصادى، كان بناء الهوية القومية يعتمد على مجموعتين من العمليات التى يمكن وصفها بالمؤسسية والأيديولوجية (Solberg 1970; Vogel 1991) حيث نشطت المجموعة الأولى بسبب ظهور رأسمالية الطباعة وتوسع شبكات النقل والاتصالات ,مثل السكك الحديدية والتلغراف، بينما نشطت المجموعة الثانية من خلال التعليم العام.

وقد كان التعليم الذى تموله الدولة عنصرا جوهريا فى تكوين الثقافة العامة والهوية القومية. حيث بدأ الكريوليون الأرجنتينيون فى التعرف على الناس الذين يستحقون أشكال التعليم الوطنية ,متسلحين فى ذلك بخطابات الداروينية الاجتماعية

والعرق (Szuchman 1990:110-12) وكانت النظم العرقية التى تعتمد على الصفات الوراثية والألقاب العرقية تستخدم لتمييز المواطنين الأوروبيين من الأرجنتينيين الأفريقيين والهنود ومجتمعات الجوش (Andrews 1980) وكان الأرجنتينيون الكريول يوصفون ببساطة بأنهم "بيض" ,بالرغم من أن "ادعاءهم النقاء العرقى كان ناتجا فى الغالب عن درجة من التمازج العرقى" (Shumway 1991: 5) وأصبحت أسطورة الأرجنتين البيضاء عنصرا قويا فى البرامج التعليمية فى نهاية القرن التاسع عشر, حين :

"أعلن مفكرون وكتاب أرجنتينيون أن الأرجنتين أصبحت مجتمعا ابيض حقيقة، ويتفوق عرقيا على جمهوريات أمريكا الجنوبية الأخرى، ولذلك تعتبر الأمة الأولى فى القارة. وتم تجاهل الآثار غير الأوروبية فى تواريخ وجغرافيات الدولة بل إنها نسيت فعليا فى عملية غرس أسطورة الأرجنتين البيضاء".

وفى سبعينات وثمانينات القرن التاسع عشر ,أدى الإصلاح الذى قامت به النخبة الحاكمة فى بيونس ايريس إلى التوسع فى تقديم التدريب التعليمى لعدد كبير من السكان المهاجرين الأوروبيين والأرجنتينيين البيض (Escudé 1990, 1992) وأصبحت صناعة المواطن الأرجنتينى فكرة جوهرية فى هذه الثورة التربوية ,كما تم تقديم أشكال جديدة من دروس التاريخ والجغرافيا بالمستويات الابتدائية والثانوية. وكان من أبرز أبعاد هذه الأشكال من التعليم الوطنى تصوير الأرجنتين على أنها دولة "معرضة للخطر" لأنها محاطة بجيران غير مستقرين مثل شيلى والبرازيل، بالإضافة إلى آخرين يمثلون مصدر تهديد داخل حدود الجمهورية. وتقرر أن يدرس أطفال الأرجنتين ست ساعات من تاريخ وجغرافية الأرجنتين فى الأسبوع طوال سنوات الدراسة الابتدائية الست. وأصدرت وزارة العدل والتعليم قرارا فى ١٨٨٨ يحث المدرسين على أن يؤكدوا للأطفال أن الأرجنتين واجهت العديد من المخاطر من الدول المجاورة. ومن أكبر سخريات هذه التصورات أن النخب الأرجنتينية كانت ناجحة بصورة ملحوظة.

فى استعمار أراضى إلى الجنوب والغرب والشمال من بيونس ايريس. وكانت الخسارة الوحيدة تتمثل فى فقدان جزر فوكلاند لصالح الإنجليز فى ١٨٣٣ . وكان الجزء الباقى من القرن التاسع عشر يتصف بقيام الأرجنتين بالحصول على أراضى إضافية فى جميع الاتجاهات حول العاصمة القومية. وكما ذكر كارلوس إسكوديه بسخرية" ,كان مفهوم الغزو سببا ودافعا لفرض سياسة تعليمية متطرفة رسميا... وكان هدفها "أرجنتنة" (هكذا) الأطفال والمهاجرين" (١٩٩٢: ١٣). وبحلول ١٩٠٢, تقرر أن يقوم المواطنون الأرجنتينيون فقط بتدريس الجغرافيا بالمدارس، وأنه يجب أن يبدأ الأطفال يومهم الدراسى بالنشيد الوطنى مع الوقوف بجوار العلم الوطنى.

وهكذا تحددت الحدود الأيديولوجية للمواطنة الأرجنتينية فى مواجهة مجموعة من الآخرين "المهددين"، مثل السكان الهنود فى جنوب وغرب الأرجنتين الحديثة، والمجتمعات الأرجنتينية الأفريقية والمجموعات الاجتماعية الأخرى مثل البريطانيين والجوشو. إذ كانت هذه المجموعات هامشية بمعنى أنها كانت تمثل مصدر بناء التميز (Norton 1988; Sibley 1995) وعند احتلال المناطق الخلفية إقليميا وأيديولوجيا، كانت النخبة الأرجنتينية تستخدم هذه المجموعات لتمييز حدود المواطنة. وكانت المذابح والترحيل الجبرى للسكان الهنود علامة فارقة فى هذا التحول الأيديولوجى ,لأن المستوطنين كانوا يعتمدون على السكان الهنود كمرشدين ومزارعين فى الجزء الأول من القرن التاسع عشر. ومع ذلك ,أصبحت العلاقات بين الأرجنتين ذات التوجه الأوروبى والهنود متوترة بحلول ثمانينات القرن التاسع عشر ,بسبب اعتبار الهنود عقبة أمام التقدم الاجتماعى والتنمية الصناعية. وهكذا أصبح الهنود بمثابة "الآخر" المهدد للكريول ,وكعامل تمييزى. وكما قال ديفيد كامبل "ومع ذلك لم يكن تمييز الذات عن الآخر عملية سهلة فرضت الحد الفاصل بين الداخل والخارج. إذ تضمنت منطقة رمادية تضم المجموعات الهامشية فى المجتمع... أى الغرباء الذين يوجدون فى الداخل" (Campbell 1992: 275).

وبحلول العقد الأول من القرن العشرين، كان التعليم الأرجنتيني- تحت توجيه رئيس المجلس القومي للتعليم، ماريا راموس ميجيا - يضمن تشبع المواطنين الأرجنتينيين بالهوية الجغرافية والتاريخية لأمتهم (Spalding 1972) وكانت خطة التعليم الوطني في ١٩٠٨ تهدف إلى ضمان أن " تكون الموضوعات ذات الطابع الوطني متضمنة في كل المحادثات في جميع السنوات ,مثل العلم ,والرموز الوطنية ,والآثار التاريخية ,والنشيد الوطني ,والأبطال الوطنيين... ويجب أن يقوم كل أطفال المدارس بإعداد دفتر القصاصات ذات الطابع الوطني" (مقتبس في ٢٣: Escudé 1990 وكان التعليم الجغرافي جوهريا لهذا البرنامج الوطني، لأنه كان يقدم موارد أكاديمية وعملية لتوليد الشعور بالوعي الإقليمي والارتباط الروحي مع جمهورية الأرجنتين. وساهم تصوير الدولة على أنها "معرضة" للعدوان الخارجي في ظهور روايات عن الخسائر الإقليمية، وأضفى الشرعية على دور الدولة القوية في حماية حقوق المواطنين. وكما ذكرت وزارة التعليم العام في قرار في ١٩٣٢:

"فإننا بعد استقرار دام ما يقرب من مائة سنة، وبعدد سكاني تضاعف في فترة أقل من ذلك... لا زلنا لا نستطيع أن نوكل للأسرة تلك المهمة الثقيلة والنبيلة (للتعليم والمواطنة). وهنا لا بد أن يتمثل الحصن الوطني في المدرسة. فالمدرسة هي التي تستطيع أن تغرس الشعور الوطني الواضح والراسخ في نفوس الأطفال والأحفاد" (مقتبس في ٦٧ : Escudé 1990).

ويعتبر هذا التراث من التعليم الأرجنتيني والهوية الوطنية معقدا ومثيرا للجدل. ولذلك يقول النقاد ,مثل كارلوس إسكوديه، إن نظام التعليم ساعد على استمرار روايات فاسدة عن الهوية الوطنية التي أدت إلى تغريب مجموعات داخلية مثل الأرجنتينيين الأفارقة، وظهور مخاوف شديدة من دول مجاورة مثل شيلي والبرازيل (Escolar et al. 1994) ومع ذلك ,يمكن أن نميز عددا من الموضوعات التي كان لها تأثير كبير على الخطابات الجيوبوليتيكية والسياسية التالية داخل الجمهورية. ومن هذه الموضوعات

وجود شعور عام بأن الأرجنتين كانت قوة اقتصادية كبرى، وأن تدهورها بعد ذلك في العشرينات والثلاثينات كان بسبب قوى غربية مثل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، والاعتقاد بأنه يمكن تحقيق عظمة الأرجنتين من خلال استغلال المناطق غير المتطورة، مثل باتاجونيا والمناطق البحرية والقارة القطبية الجنوبية،والإحساس بان الأرجنتين كانت ضحية خسائر إقليمية ،مثل خسارة جزر فوكلاند ومالفيناس في ١٨٣٣ ، والاعتقاد بأنه تم تهميش البلاد في مسرح السياسة العالمية، والإحساس القوى بأن الأرجنتين تفتقد إلى هدف مشترك أو"مشروع وطني يجمع كل مواطنيها معا". وكما يقول كاتب أمريكي شمالي، ستظل الأرجنتين "كشخص أحمق يلهث في بحث وهمي عن مستقبل غير محدد... (ونظرا) لاستحالة جعل الأرجنتينيين يتفقون على أي شئ، فإن خلق إحساس جديد "بالأرجنتينية" (هكذا)... يبدو أمرا خياليا (Shaw 1985 in Cal-vert and Calvert 1989: 211) وعلى العكس، كان الكتاب الجيوبوليتيكيون الأرجنتينيون يعتقدون طوال هذا القرن أنه يمكن تطوير نظريات جيوبوليتيكية من أجل خلق الإحساس بالهدف المشترك ،وكذلك استعادة الفخار الوطني (Dijkink 1996)

الجيوبوليتيكا الألمانية و"الطابع البروسي" للقوات المسلحة الأرجنتينية

لقد قام الأدميرال روبيتو ستورني بكتابة واحد من أقدم النصوص المتعلقة بشكل مباشر بالنظريات الأوروبية والأمريكية الشمالية في الجيوبوليتيكا في ١٩١٦ . فباستخدام الكتابات البحرية للأدميرال الأمريكي ماهان ،حول ستورني اهتمامه إلى البحار المحيطة بجمهورية الأرجنتين. حيث قسم البحر إلى سلسلة من المناطق الجغرافية والمجالات المرورية ،وذلك في كتابه "المصالح الأرجنتينية في البحر". واعتبر المحيطين الأطلنطي والهادئ منطقتين خاليتين تنتظران اهتمام الدولة الأرجنتينية الناجحة اقتصاديا. ويقول ستورني إنه من سوء الحظ أن أهملت الطرق والموارد البحرية في البلد الذي يعتمد على الشبكات العالمية للنقل والتجارة البحرية. حيث

تستطيع البحار والمحيطات المحيطة بالأرجنتين أن تساعد فى التنمية الاقتصادية للدولة، بل وأن تكون مصدرا للوحدة والهدف المشترك: "حيث يكمن فى هذه القوة الجذابة المشتركة واحد من الأسباب الدائمة الحقيقية للوحدة الوطنية، فهى تحقق الوحدة الجغرافية، ثم الوحدة السياسية فى النهاية"(Storni 1967: 22) وهذا الكتاب نشر أساسا فى ١٩١٦ .

وبينما يعتمد تحليل ستورنى للبحر على كتابات ماهان وماكيندر ,إلا أن اهتمامه بـ"الوحدة" يعكس الإيمان الواسع بأن الوضع الاقتصادى والسياسى للبلاد قد تدهور منذ أواخر القرن التاسع عشر ,بعد أن كان هذا الوضع يحدد الدول الرئيسية فى إنتاج الذرة وبذر الكتان والقمح (Rock 1987) وكان انجذاب ستورنى لأفكار ماكيندر وماهان يرتبط جزئيا باهتمامهما بدور القوة البحرية والأهمية الجيوبوليتيكية للمحيطات. ونظرا لكون الأرجنتين أمة تعتمد على التجارة البحرية، فإن قواتها المسلحة قدرت أفكار هؤلاء الكتاب الأنجلو أمريكيين وذلك بمجرد أن تراجع التفاؤل السابق بالاقتصاد الذى يعتمد على التصدير ,وحل محله الخوف من أن التدهور والانحلال قد اكتسح الخيال العام للمواطنين. فقد أثار الانهيار الاقتصادى اللاحق خلال الكساد العظيم فى ١٩٢٩ أزمة أيديولوجية وثقافية فى الأرجنتين ,بسبب تراجع المعادلة القديمة للتنمية الاقتصادية والعمالة المهاجرة والمشاركة السياسية المحدودة، وظهور القلق من أن الرأسمالية الليبرالية والديموقراطية يمكن أن تؤدى إلى فوضى اقتصادية واجتماعية. وظهر أن العمل الأخير فى عملية المصارحة هذه يتمثل فى قيام الجيش الأرجنتينى بالإطاحة بالرئيس يوريجوين فى سبتمبر ١٩٣٠ (Rock 1993: 17-25)

لقد أصبح صعود نجم القوات المسلحة الأرجنتينية سهلا بسبب أنماط التفاعل المهنى بين ضباط الجيش الألمان والإيطاليين والأرجنتينيين فى الثلاثينيات. ففى ١٩٠٠ تم تعيين الضابط الألمانى الفريد أرينت رئيسا لكلية الحرب العليا. وبحلول العقد الأول من القرن العشرين ,كان ٥٠٪ من أعضاء الهيئة من أصل ألمانى ,حيث ساهموا فى برنامج تدريبى لضباط الجيش لمدة سنتين. وعندما أرسل الجيش خوان بيرون إلى إيطاليا لدراسة إستراتيجية وأساليب تنظيم رياضة تسلق الجبال الإيطالية فى ١٩٣٨ استمر العديد من الضباط الألمان فى تقديم التدريب على الإستراتيجية العسكرية

والجيوبوليتيكا. وكانت زيارته لروما مصحوبة أيضا بسلسلة من الرحلات إلى ألمانيا، حيث عقد اجتماعات مع بعض الضباط الألمان الذين كانوا يدربون سابقا فى كلية أركان الجيش الأرجنتينى. ثم عاد بعد ذلك قائداً لكتيبة مندوزا ماونتين، وكتب العديد من الكتب والأوراق واسعة الانتشار عن الحرب العالمية الأولى، وتاريخ القرن التاسع عشر والدراسات الإستراتيجية (Crawley 1984: 63-5) وظل ضباط ألمان مثل جوهانز كرتسشمار مشاركا فى تدريب الضباط الأرجنتينيين حتى ١٩٤٠ . وكانوا مسئولين عن تكوين تسلسل قيادى هرمى بصورة صارمة. ومع ذلك ,لم يكن الالتحاق بالأكاديميات العسكرية الأرجنتينية متاحا لكل المواطنين ,لأن القوات المسلحة كانت تصر على أن يكون الضباط المتدربين من الكاثوليك. وقد ظهر التفاعل بين الجيش والدين لاحقا كموضوع هام فى نظم الإرهاب فى الستينات والسبعينات.

ومن حيث تشكيل السياسة والهوية العامة للجيش الأرجنتينى ,لعب التدريب الألمانى دورا حيويا فى تشكيل الأيديولوجيات العسكرية وكانت نظريات راتزل فى الدولة ترتبط كثيرا بالإشارة إلى الداروينية الاجتماعية والدين والأمن القومى (Potash 1980; Waisbord 1991)ومع ذلك ,هناك أدلة قليلة تشير إلى أن الفكر الجيوبوليتيكى الألمانى لعب دورا مؤثرا فى التدريب العسكرى فى العشرينات بالرغم من الاستشهاد بكتابات راتزل فى النصوص العسكرية الأرجنتينية والشيلية (Hepple 1992) وعلى سبيل المثال، ذكر روبرت بوتاش أن أيديولوجية الجيش الأرجنتينى كانت تعتمد على مجموعة من المصادر بما فى ذلك مناهضة الشيوعية (خاصة بعد ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين)، والكاثوليكية والعسكرية الوطنية القاسية ,فى وجه العلاقات التجارية الصعبة مع بريطانيا (Potash1969) ومن الثلاثينات فصاعدا، تصاعد دور الجيش فى الحياة العامة بصورة ملحوظة، لأن قادة انقلاب ١٩٣٠ . مثل الجنرال خوان باتستا مولينا، بدءوا يعتبرون أنفسهم حماة الأمة ضد الشرور التى تفرضها الشمولية الشيوعية أو الحكم الديموقراطى. حيث كانوا ينظرون إلى الحكم الديموقراطى بكثير من الشك بسبب الاعتقاد بأن الديموقراطية شجعت على وجود حكومة ضعيفة وعلى وجود أحزاب سياسية فاسدة. وكان الإعجاب بالسياسة العسكرية والحكم الألمانى فى الثلاثينات مرتبطا بنظرة عضوية إلى الدولة الأرجنتينية، وتوافق هذا مع الاعتقاد بأن

حاجات الجمهورية كانت أكثر أهمية من الحقوق الفردية للمواطنين (Rock 1993: 178-80)

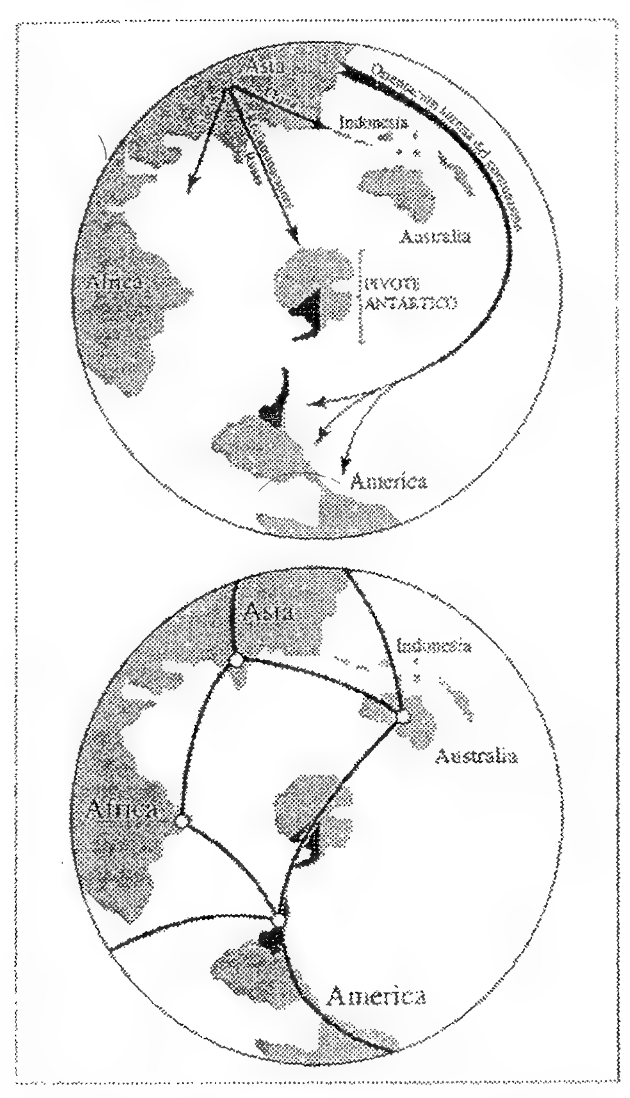
وبحلول أواخر ثلاثينات القرن العشرين ,كان تقرير ريتشارد هيننج وليوكورهولتس بعنوان "مقدمة فى الجيوبوليتيكا" مقررا دراسيا فى معظم الكليات العسكرية الأرجنتينية (in Pittman 1981) ونتيجة لذلك، ظهرت ترجمة اسبانية للكتاب فى ١٩٤١ بعنوان "مقدمة فى الجيوبوليتيكا". فكان هذا أول كتاب عن الجيوبوليتيكا الألمانية يظهر فى الدوائر العسكرية الأرجنتينية، ولكنه على عكس الجيش الاسبانى، لم يحقق تبادل الأفكار بين المفكرين العسكريين الأرجنتينيين والألمان (انظر دراسة Sideway) فى الكتاب الذى بين يديك). وكان واضحا أن الموضوعات الرئيسة فى الكتاب، والمتعلقة بالدولة العضوية والحاجة إلى قوات مسلحة قوية فى عالم غير واضح، كانت مفهومة بالنسبة للطلاب، كما كان الحال فى الجيش البرازيلى تماما (Hepple 1986) وفى الأرجنتين تمت ترجمة كتاب ماريو ترافاسوس عن الحدود البرازيلية إلى الاسبانية, واستخدم فى كلية الحرب العليا، لأنه من الواضح أنه قدم توجيها مفيدا إلى الحاجة إلى حماية وحفظ الحدود الوطنية البعيدة مثل الحدود القريبة من حوض الأمازون وباتاجونيا (Pittman 1981)

وكانت أهم وأطول دراسة استقصائية عن نظريات الجيوبوليتيكا فى أمريكا الشمالية وأوروبا تلك التى أجراها جاسون وبيرلنجر بعنوان "الجيوبوليتيكا" فى ١٩٤٨ (in Pittman 1981) ودراسة ايزولا وبيرا بعنوان "مقدمة فى الجيوبوليتيكا الأرجنتينية" والتى نشرت لأول مرة فى ١٩٥٠ . وكانت الدراسة الثانية الأكثر أهمية من حيث التغطية والتداول داخل الأكاديميات العسكرية، لأن اللذين كتباها كانا رائدا (ايمليو ايزولا) وعقيدا (انجيل بارا) بالجيش وكانا قد قاما بالتدريس فى جامعات وأكاديميات عسكرية مختلفة فى الأرجنتين. وقد حذر الاثنان فى تصدير الكتاب من أن النظريات الأجنبية فى الجيوبوليتيكا قد لا تكون مناسبة، ومن ثم كان هناك:

"غياب فى بيئتنا لنص يلخص المؤثرات الجيوبوليتيكية على تكوين دولتنا. وقد فرض هذا علينا مهمة توحيد الأعمال السابقة الأساسية التى تسمح بتقييم تأثير البيئة الجغرافية على التطور السياسى لبلدنا" (Isola and Berra 1950: 1)

ويتمثل أحد الملامح البارزة لهذه الجغرافيا الإقليمية المكثفة للأرجنتين فى استخدام الصور الكارتوجرافية لتحديد موقع الأرجنتين فى العالم الأوسع. وكان اعتمادها الأساسى على المسقط القطبى فى رسم خريطة العالم مقصودا لتوضيح أهمية الأرجنتين فى الدفاع عن نصف الكرة الجنوبى ضد مصادر الشيوعية المهددة مثل الاتحاد السوفيتى (انظر شكل ١٥). وكما هو الحال بالنسبة للعديد من الخرائط التى وجدت فى الكتابات الجيوبوليتكية الإيطالية والألمانية، أصبحت الأسهم والتدفقات السوداء المهددة ملمحا مميزا للكارتوجرافيا الجيوبوليتكية الأرجنتينية، لأن الخرائط كانت تستخدم لتوضيح مخاطر جديدة ضد الدولة الأرجنتينية. وفى ضوء مصادقة الرئيس بيرون على القطاع القطبى الأرجنتيني، توضح الخريطة أيضا الأرجنتين بأبعادها القارية الثلاثة (الجزء القارى، القطب الأرجنتينى، والجزر مثل مالفيناس).

وكان استخدام كارتوجرافيا الدعاية مع التقييمات المنسجمة مع الكتابات الجيوبوليتكية الألمانية فيما بين الحربين يعنى أن الكتابة الجيوبوليتكية لأمريكا الجنوبية ذهبت فى اتجاه فكرى مختلف عن اتجاه الجغرافيا السياسية الأنجلوأمريكية (Hepple 1986; Henrik-Herb 1989). وهكذا لم يكن هناك تجنب للجيوبوليتيكا كمصطلح أكاديمى، لأن الكثيرين من الكتاب العسكريين فى أمريكا الجنوبية كان لديهم شعور بأنها تحدد مجالا فكريا فيما يتعلق بالعلاقة بين الأرض والدولة والحكم. وفى ظل تأثير التدريب العسكرى الألمانى والتفكير فى الأمن القومى البرازيلى بعد ذلك ركز الكتاب الأرجنتينيون على أهمية المكان والأرض فى تشكيل السياسات الأمنية والخارجية. وكانت الخرائط والرسوم البيانية تستخدم لتوضيح الحاجة الملحة للدولة الأرجنتينية، بما فى ذلك حتمية تطوير أقاليم حدودية وضمان أن الجمهورية لن تخضع لقوى امبريالية مثل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، ولا لمنافسين إقليميين مثل البرازيل.



شكل (١٥) الإسقاطات الجيوبوليتيكية للنقل الجوى ومحاور تدفق الشيوعية.

المصدر: مقتبسة من (Isolo and Berra 1950)

وخلال فترة ما بين الحربين، اقتصر اهتمام الأرجنتين بالنظريات الجيوبوليتكية على الكليات والمؤسسات العسكرية مثل "الدائرة العسكرية". ومع ذلك، أدى الإعجاب بالأفكار الألمانية فى فن الحكم إلى إثارة بعض القلق بين كبار الضباط مثل الجنرال خوان باتستا مولينا من أن الأشكال الإيطالية والألمانية للفاشية قد تؤدى إلى ظهور قادة سياسيين غير مستقرين (Rock 1993) فكما قال روبرت بوتاش، كانت سياسة الجيش الأرجنتينى متعاطفة مع القوات المسلحة الألمانية، وذلك بدون أن تتبنى بالضرورة أشكالا متطرفة من الفاشية والنازية (Potash 1980)

بيرون والفكر الجيوبوليتيكى الأرجنتينى

أشار ظهور الكولونيل بيرون و"المجموعة المتحدة الرسمية" فى ١٩٤٣ إلى تغير كبير فى الحياة السياسية والثقافية فى الأرجنتين. فبينما اعتبر قليل من المعلقين الأمريكيين الشماليين والأوربيين بيرون كاتبا جيوبوليتيكيا، كشف اتجاهه نحو الشئون الدولية والتعليم الجغرافى إحساسا واضحا بالموقع الوطنى للأرجنتين وموقع الأرجنتين فى الشئون الدولية. ومع ذلك، حاول بعض الكتاب العسكريين وضع بيرون فى التقليد الجيوبوليتيكى الأرجنتينى للكونفدرالية والتكامل الوطنى، الذى يرجع إلى القرن التاسع عشر مرورا بكتابات البيردى وسارمينيتو. وكانت البيرونية تمثل ابتعادا جزئيا عن الكتابات الجيوبوليتيكية المبكرة من خلال اهتمامها بعدم الانحياز الجيوبوليتيكى والاكتفاء الذاتى الأرجنتينى (Pittman 1981; McLynn 1982; Rock 1987) ولذلك يمكن أن نجد فى الكتابات والخطب البيرونية عددا من الموضوعات المتميزة التى لها قدر من التأثير على تطور الفكر السياسى الأرجنتينى، ومنها: الاعتقاد بأن الأرجنتين كانت ضحية عدوان استعمارى فى فوكلاند/مالفيناس والقطب الجنوبى، والاهتمام بالاكتفاء الذاتى الاقتصادى والمالى، والرغبة فى تجنب سياسات القطبية الثنائية الجامدة للحرب الباردة (Pittman 1981)

وأدى انتخاب بيرون رسميا فى ١٩٤٦ إلى زيادة إحكام قبضته على النظام السياسى فى الأرجنتين. حيث شهدت فترة العقد ونصف التى أعقبت انقلاب القوات المسلحة فى ١٩٣٠ مزيدا من التدهور فى الأوضاع الاقتصادية والسياسية فى

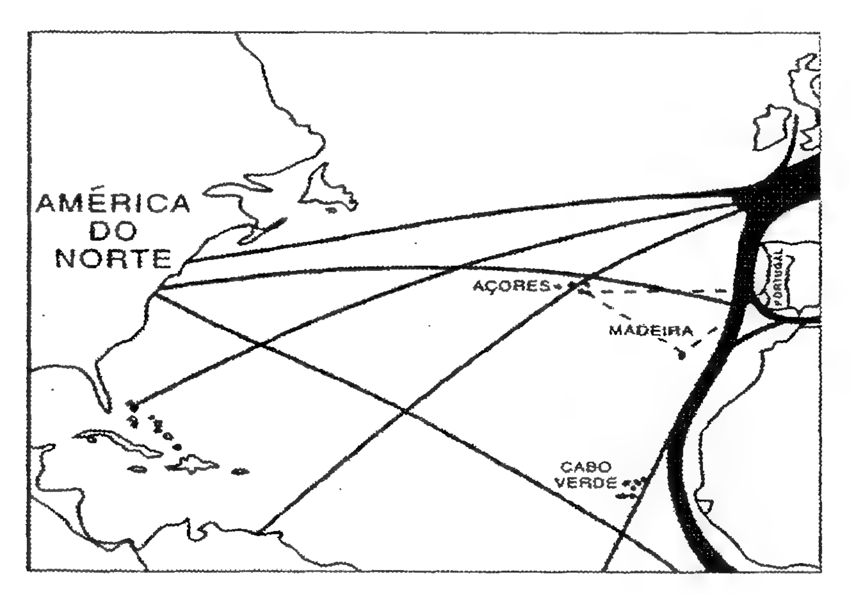
الأرجنتين. وفى أعقاب كساد ما بين الحربين ,حاولت الأرجنتين أن تطور علاقات تجارية جديدة مع الولايات المتحدة، ولكن الحرب العالمية الثانية عطلت هذا التبادل المتزايد للمنتجات الأولية والثانوية. ولكن ازدواجية الأرجنتين تجاه الفاشية الألمانية خلال الحرب العالمية الثانية لم تقرب النظام من الحكومات الأمريكية أو البريطانية. وفى مواجهة التدهور الاقتصادى الواضح، وعدم الاهتمام السياسى من القوى العظمى، حاول بيرون أن يطور إحساسا جديدا بالرسالة للجمهورية بمساعدة التعليم العام والإعلام الصحفى، لدعم صورة الأرجنتين كأمة مكتفية ذاتيا سياسيا وواثقة بنفسها إقليميا.

وكان من الجوانب البارزة فى حكم بيرو فى الأرجنتين ١٩٤٦-١٩٥٥) (الاعتقاد بأن الأرجنتين يجب أن تضمن صيانة حقوقها السيادية فى القطاع القطبى الأرجنتينى والمالفيناس وذلك من خلال الوسائل السياسية والقانونية ,ومن خلال تعليم المواطنين الأرجنتينيين الحقائق الجغرافية الخاصة بالجمهورية أيضا. ففى ١٩٤٨ أمر بيرون معهد الجغرافيا العسكرية (IGM) بإعداد خرائط وأشكال جديدة لجمهورية الأرجنتين توضح الأرجنتين القطبية والمالفيناس. ومنذ ذلك الوقت أصبح من الخطأ إنتاج أية خرائط لا توضح هذه المطالب القطبية والجزرية. فكان يجب أن تغطى كل خريطة أو شكل عن الأرجنتين ـ بغض النظر عن تغطيتها الجغرافية الحقيقية ـ القطاع القطبى من الأرجنتين فى ركن من الخريطة (انظر مثلا غلاف المجلة الأرجنتينية ريفستا كروز دل سور، شكل ١٦). وكانت مطالب بريطانيا وشيلى تعتبر غير قانونية أو حتى غير مناسبة. واستخدم التعليم العام كوعاء لزيادة الوعى الجغرافى بالأرجنتين ذات الأبعاد القارية الثلاثية (الأرض القارية ,الجزء الجزرى والجزء القطبى). وفى ١٩٤٦ كان الأطفال يدربون على تذكر المساحة الأرضية للدولة. وبحلول ١٩٤٧، توسعت مساحة الأرجنتين فى عقول مواطنيها من ٢,٨ إلى أربعة ملايين كيلو مربع وقامت وزارة الشئون الخارجية وشؤون الأديان بإنشاء وزارة مستقلة للمالفيناس والقطاع القطبى الأرجنتينى (Dodds 1997: 52-3)

وكان تكوين الأرجنتين ذات الأبعاد القارية الثلاث يعكس القوة الكبيرة للخريطة والمسح. ولعبت التواريخ والجغرافيات التى تفرضها الدولة دورا هاما فى تفسير

وإضفاء الشرعية على الأحداث الماضية والتطلعات المستقبلية. وقد ساهم المؤرخ الأرجنتيني كارلوس إسكوديه بعدد من الدراسات الهامة التي أظهرت كيف تغيرت الكتب الدراسية الجغرافية لتعكس القيم البيرونية المتعلقة بالأرجنتين القطبية:

"في ١٩٣٩ كتب داجنينوباستور، مؤلف كتب دراسية معروف أن بريطانيا "تمتلك" أكثر من ثمانية ملايين كيلومتر مربع في القارة القطبية الجنوبية (التي طبق عليها التعبير البريطاني: ملحقات جزر فوكلاند)، وفي ١٩٤٠ غير كلمة "تمتلك" إلى القول "تنسب لنفسها"، مضيفا أن الأرجنتين يمكن أن تحصل على جزء منها ,إذا تم تطبيق معيار توزيع الأراضي المستخدم في القطب الشمالي، وفي ١٩٤٤ قرر أن الأرجنتين لها "حقوق غير قابلة للنقاش"... وفي ١٩٤٦ قال إن الأرجنتين أعلنت للعالم أنها تطالب بالقطاع القطبي التي "لها حقوق" عليه، وأخيرا في ١٩٤٧ كتب كأمر واقع عن القطاع الأرجنتيني الذي تمارس الأرجنتين السلطة عليه" (Escudé 1992: 10)



شكل (١٦) التصور الكارتوجرافي للأرجنتين ذات الأبعاد القارية الثلاثة

المصدر: المجلة الجيوبوليتيكية الأرجنتينية، ريفستا كروز دل سور

واختتم إسكوديه بأن الأرجنتين فى ظل حكم الرئيس بيرون واصلت بفعالية سرد رواية خاصة عن خسارة إقليمية ,وكانت تشترط أن الأراضى المفقودة مثل جزر مالفيناس ,ومجموعة الجزر الجنوبية والقطاع القطبى الأرجنتينى لا بد من استردادها. وهذا "الصمت المقصود" بالخرائط عن المطالب الإقليمية الأخرى (مثل شيلى والمملكة المتحدة) تكرر بعد ذلك على طوابع البريد والمسوح والأطالس وعلى الخرائط الجدارية العامة. وبالتالى ساهم هذا النوع من الحوافز الجغرافية الشعبية فى تكوين ثقافة عامة ركزت على الفكرة المتكررة المتمثلة فى أن الأرجنتين كانت ضحية للمؤامرات الكبرى للقوى الأخرى.

وفى خطابه إلى كلية الحرب الأرجنتينية فى ١٩٥٣ أعرب بيرون عن اعتقاده بأن الأرجنتين يجب أن تكون حذرة بشأن علاقاتها الخارجية، وأن تضمن استخدام مواردها الأولية فى دعم التنمية الصناعية للبلاد:

"ما أريد أن أقوله بوضوح هو أننا مهددون بأنه فى يوم ما ستقوم الدول المتقدمة صناعيا والمكتظة بالسكان - التى ليس لديها الغذاء والمواد الخام ولكنها تملك قوة هائلة- بسلب ما نمتلكه. وهذه هى المشكلة فى أسسها الجوهرية، بل والموضوعية أيضا" (Peron 1953 cited in Pittman 1981: 754)

وكما يقول إدوارد مالينسكى ,فقد شجعت البيرونية وأدارت جدلا طويلا عن الدور الذى يجب أن تلعبه الدولة فى الشئون الدولية. حيث واصلت سياسة بيرون المنادية بالعدالة وعدم الانحياز والاكتفاء الذاتى نفس تقليد القرن التاسع عشر الذى قامت عليه الدول القومية فى مواجهة الأشكال الأكثر الليبرالية (Milensky 1978) ولذلك فإنه فى الفترة التى تلت الحرب مباشرة كانت السياسات الاقتصادية الخارجية للأرجنتين تعتمد على فرض القيود على الاستثمار الأجنبى وتنويع الأسواق ,وتحدى الامتيازات الصناعية للدول الشمالية.

ومن المفارقات هنا أن عقد الخمسينيات لم يكن ذا أهمية نسبية فى تطور التقليد الجيوبوليتيكى الأرجنتينى، وذلك بسبب قلة النصوص الصريحة التى كتبت فى تلك

الفترة فى البلاد. فبينما كان الجغرافيون فى أمريكا الشمالية وبريطانيا يرفضون استخدام مصطلح "الجيوبوليتيكا" فى كتاباتهم ,كانت الأفكار الجيوبوليتيكية عن الدولة والتنمية والأمن الإقليمى متداولة فى الأكاديميات العسكرية والمجالات العامة فى الأرجنتين (Hepple 1986) وقامت مجموعة من المصادر الجيوبوليتكية العامة ,التى تشمل الخرائط والطوابع والقواميس ,مثل قاموس التاريخ الأرجنتينى بإعادة طرح الفكر البيرونى المتعلق بالمصير القطبى الأرجنتينى والأمن السياسى الاقتصادى Picci (rilli et al. 1954) وأعيد طبع نصوص أرجنتينية خاصة مثل "مقدمة إلى جيوبوليتيكا الأرجنتين" التى كتبها ايزولا وبيرا ,واستمرت فى التداول فى الأكاديميات العسكرية. وعندما أصبحت كتب إضافية مثل "التقليد العام للجيوبوليتيكا" الذى كتبه الكاتب الأسبانى فيسنز فيفس متاحة فى الأرجنتين فى ١٩٥٠ , ثم كتاب البيرت اسكالونا راموس "الجيوبوليتيكا العالمية واقتصاد الأرض" الذى نشر فى١٩٥٩ (بعد عرضه أولا فى المكسيك)، تمتع عمل فيسنز فيفس بصفة خاصة بإشارات كثيرة فى الكتابات الجيوبوليتيكية الأرجنتينية فى الستينات والسبعينات، وذلك بسبب اهتمامه بالحكم القوى والأمن الإقليمى والوعى التاريخى:

"الجيوبوليتيكا هى علم المكان الحيوى. فهى تلخص نتائج الجغرافيا التاريخية والجغرافيا السياسية فى نموذج تفسيرى يحاول أن ينطبق على دراسة الأحداث السياسية والدبلوماسية. وهى لا تشغل نفسها بعلم الجغرافيا فقط "Vicens Vives) 1950: 76)

ورغم أنه قد يبدو مقبولا الاستنتاج بأن المواد المنشورة المتاحة عن الشئون الجيوبوليتيكية الأرجنتينية كانت قليلة، حتى عودة البحوث الجيوبوليتكية الكبرى فى الستينيات والسبعينيات، إلا أن ذلك سيقلل من تقدير الانتشار القوى للأفكار الجيوبوليتيكية ومركب من السياسات المعقدة للمعرفة الجغرافية فى الأرجنتين بعد الحرب.

فى أعقاب الحرب العالمية الثانية، شارك الضباط الأرجنتينيون زملاءهم الآخرين من دول أمريكا اللاتينية، مثل البرازيل وشيلى وبيرو وفنزويلا، فى حوارات عسكرية مختلفة حول الجيوبوليتيكا والأمن القومى والاستراتيجية (Pittman 1981; Ewell 1982; Gorman 1982; Child 1985). ففى البرازيل مثلا ,كانت شخصيات جيوبوليتيكية بارزة- مثل الجنرال جولبرى دوكوتودى سيلفا - تعيد تناول أفكار راتزل عن الدولة العضوية بالإضافة إلى الكتابات الأوروبية والأمريكية الشمالية عن الأمن القومى والتنمية. وعلى عكس بعض الكتابات الفرنسية عن مكافحة التمرد والأمن، ركز الكتاب الجيوبوليتيكيون البرازيليون على رؤية أكثر شمولا "للأمن المجتمعى"، بدلا من الرؤية العملية المحدودة للعمليات العسكرية فى المواجهات المحدودة. ومع ذلك ,اتضح أن ضباط الجيش الأرجنتينيين فى الخمسينات كانوا مطلعين أيضا على نظريات مكافحة التمرد الفرنسية من خلال المجلة العسكرية الأرجنتينية Revista de la Escuela Superior de Guerra. وأصبح ظهور وتطور مناهج الأمن القومى فى "الطرف الجنوبى" ملمحا بارزا للنظم العسكرية التى سيطرت على الحياة السياسية بين منتصف الستينات والثمانينات (Hepple 1992: 146-7) وكما ذكر ديفيد بيون - برلين:

"على سبيل المثال ,دخلت مبادئ مكافحة التمرد لأول مرة إلى الأرجنتين خلال أواخر الخمسينات مع زيارة البعثات العسكرية الفرنسية. وكان الضباط الذين حكموا لاحقا خلال فترة بروسيكو 1821-1976 قد تلقوا منهجيتهم وتدريبهم التأهيلى للحياة العسكرية فى نفس الوقت تقريبا... وهكذا ظهر سيل من المقالات (ألف الكثير منها ضباط فرنسيون) فى المجلات العسكرية الأرجنتينية... تحذر من تعرض الأرجنتين للشيوعية الدولية وتجهز الدولة لمواجهة التخريب " (Pion- Berlin 1989:99)

ومن المفارقات هنا أن الحكومات البيرونية وما بعد البيرونية ,مثل حكومة فرونديزى وإيليا ,لم يكن تسيطر عليها الاشتراكية الثورية، حتى عندما كان أتباع البيرونية يتطلعون إلى حماية الحقوق الاجتماعية والعمالية للطبقات العاملة.

وبحلول منتصف الستينات بدأ فى الظهور نوع من الحكم العسكرى أو أشكال من"السلطوية البيروقراطية"، وبدأت القوات المسلحة تبحث عن إعادة تنظيم الدولة متسلحة بمناهج الأمن القومى والتنمية. ومن خلال تأثير الكتابات الجيوبوليتيكية البرازيلية عن الأمن والتنمية ,والتدريب الأمريكى على مكافحة التمرد فى مؤسسات مثل "مدرسة الأمريكتين" (فى جورجيا بالولايات المتحدة)، وكلية الدفاع الأمريكية (هكذا) فى واشنطن العاصمة، حاولت الأرجنتين وغيرها من دساتير نظم الأمن القومى الطرف الجنوبى للأمريكتين أن تحتوى خطر الحروب الداخلية فى أعقاب التهديد العالمى للشيوعية وظهور اشتراكية كاسترو فى كوبا فى ١٩٥٩ وكان رؤساء لاحقون للأرجنتين, مثل الجنرال جالتيرى، قد درسوا فى مدرسة الأمريكتين وتلقوا تدريبا على مكافحة التخريب. وكما يقول الكولونيل ماريو هوراسيو أورسولينى، فإن التصورات الفرنسية والأمريكية المتشددة فى مكافحة التمرد كانت مقبولة على نطاق واسع لدى القوات المسلحة الأرجنتينية فى منتصف الستينات (in Pion-Berlin 1989: 99)

وعلى العكس، يقول كتاب جيوبوليتيكيون أوروبيون ,مثل ميشيل فوشر وليسلى هبلى، إن أصل منهج الأمن القومى لا يرجع إلى فرنسا والولايات المتحدة فقط ,ولكنه يرجع أيضا إلى دول أمريكية لاتينية مثل البرازيل ,Foucher 1986; Hepple 1986) 1992). حيث بدأ الكاتب الجيوبوليتيكى والشخصية العسكرية البرازيلية البارزة، جولبرى دوكوتوسيلفا ,بمراجعة الجيوبوليتيكا التقليدية، بما فى ذلك النظريات العضوية فى الدولة. وبذلك اقترح جولبرى أن المخاطر التى تواجه السياسيين لا تقتصر على المجال الدولى فحسب ,ولكنها توجد أيضا داخل جسم الدولة. ولعب مناخ الحرب الباردة المتعلق بمناهضة الشيوعية دورا هاما فى تشكيل هذه المخاوف الجديدة المتعلقة بالسلامة الداخلية للدولة القومية. وأدت أحداث مثل الثورة الاشتراكية فى كوبا فى ١٩٥٩ ، وأنشطة شخصيات مرموقة مثل شى جيفارا، بالإضافة إلى فشل عمليات الولايات المتحدة كما فى حالة خليج الخنازير فى ١٩٦١ ، إلى تكوين تصور واسع الانتشار داخل جيوش أمريكا اللاتينية بأن الشيوعية كانت تتصاعد فى المنطقة Barton

(1997: 62-4). وعلى عكس صياغات نصف الكرة الشمالى، لم تكن كتابات جولبرى قاصرة على الاهتمام باستراتيجيات مكافحة التمرد المحدود، ولكنها كانت أيضا تهتم بإظهار أن الأمن القومى يرتبط بالتطور الاقتصادى والسياسى وحتى الثقافى الشامل للدولة (Hepple 1992: 147)

واستعار الجيش فى الأرجنتين أفكار جولبرى عن الأمن القومى فى السبعينات، ثم ادعى (كما فعل منذ الثلاثينات) أن المجتمع المدنى والاقتصاد الوطنى مهددان بقوى تخريبية تحاول أن تقوض القيم (والمناطق) المسيحية والغربية للدولة القومية. ومن خلال إقامة روابط وثيقة مع المصالح الصناعية والتجارية، حاولت القوات المسلحة تحديد ثم تدمير تلك العناصر التى كانت تعتبر مخربة وخطيرة فى المجتمع. ونظرا للتأثر بصورة كبيرة بأشكال متشددة من مناهضة الشيوعية والعداء للاقتصاد الاشتراكى ،حاول قادة عسكريون مثل أونجانيا ،وفيديلا ،وفيولا، استخدام هذه "التحديات" الواضحة كوسيلة لإحياء الدولة ومواطنيها. وكان الاضطراب السياسى والقلاقل والإضرابات العمالية فى الأرجنتين تفسر فى الستينات والسبعينات على أنها دليل متزايد على أن الدولة كانت مهددة بتخريب أيديولوجى يؤثر على كل مكونات المجتمع من مستوى الأسرة إلى القطاعات المهنية (Timmerman 1981; Pion-Berlin 1989)

وخلال هذه الفترة، تدخل الجيش فى سياسة الأرجنتين فى ١٩٦٣ و١٩٦٦ و١٩٧٦ وفى كل مناسبة كان قادة الجيش يدعون أن تهديد العدوان الشيوعى والفشل الاقتصادى كان يعنى أن الجيش لا بد أن يدافع عن الدولة ضد المخاطر المتداخلة. ومن خلال التسلح بمنهج الأمن القومى والتشبيه العضوى للدولة ،كانت الشخصيات العسكرية تستخدم خطابات جيوبوليتيكية لتحديد موقع هذه المخاطر جغرافيا، ثم "تطهير" هذه المواقع الملوثة بعد ذلك. ثم ظهرت مؤسسات جديدة - مثل "المعهد الأرجنتينى للدراسات الاستراتيجية والعلاقات الدولية" (INSAC) وكذلك "معهد الدراسات الجيوبوليتيكية" (IDEG) فى بيونس أيريس بهدف تقديم شرح دقيق للتحديات

التى تواجه الأرجنتين. وتحت رئاسة الجنرال خوان إنريك جوجلياميللى، رئيس "وكالة التنمية الوطنية" خلال حكم اونجانيا العسكرى (١٩٦٦-١٩٧١)، نشر المعهد الأول مجلة "الاستراتيجية" ذات النفوذ الواسع، وذلك فيما بين ١٩٦٩ و١٩٨٣ . وكان نمط هذه المجلة وطنيا متشددا بمعنى أن معظم المساهمين فيها كانوا يتبنون منهج عمل يركز على حاجة الدولة إلى تطوير مناطق مثل باتاجونيا لضمان أن الأماكن الاستراتيجية مثل نهر بليت وجزر المالفيناس والقطب الجنوبى وقناة بيجل لا تسيطر عليها دول منافسة مثل البرازيل أو شيلى أو المملكة المتحدة (Gugliamelli 1974, 1983)

وظهرت ثلاثة أعمال جيوبوليتيكية كبرى فى منتصف الستينات: "الجيوبوليتيكا والجيواستراتيجية الأمريكية" بقلم جوستوبريانو، و"ما هى الجيوبوليتيكا" بقلم أتنسيو، و"القوى الإستراتيجية والعسكرية" بقلم ميليا. ويوجد عدد من التشابهات بين هذه النصوص الثلاثة، لأن الذين كتبوها كانوا ضباطا يعملون فى القوات المسلحة الأرجنتينية. وقام جوستوبريانو - الذى كان زميلا سابقا لإيميليو إيزولا بكلية الحرب العسكرية فى أوائل الأربعينيات والذى رقى إلى رتبة رئيس أركان القيادة العامة للمناطق العسكرية فى أواخر الأربعينيات - بكتابة تقرير عن الجيوبوليتيكا والجيواستراتيجية الأمريكية، والذى كان بمثابة دفاع قوى عن اطلاع الأمريكيين الجنوبيين على الكتابات الجيوبوليتيكية الألمانية، وقال إن الأرجنتين يجب أن تستعير أفكارا برازيلية وأمريكية عن الإستراتيجية العالمية (بما فى ذلك أفكار جولبرى عن الأمن القومى) للاستعداد للقرن التالى كقائد عالمى فى الشئون الدولية. وكذلك قال جورج اتنسيو ،وهوكولونيل سابق فى الجيش الأرجنتينى، إن على الجيوبوليتيكا أن تقدم توجيها لرجال الدولة (هكذا) ومساعدتهم على تحديد حاجات الدولة من الأراضى والموارد. وكان ينتقد بشدة إدانة الجيوبوليتيكا الألمانية فى الأربعينات من قبل كتاب مثل أساياه بومان وروبرت شتراوس-هوبى. وكان اتنسيو يعتقد أن الارتباط بالفاشية الألمانية يجب ألا يسمح له "بتلويث" الأهمية الجيوبوليتيكية الأساسية للأرض والسياسة. وكان فرناندو ميليا أدميرالا فى البحرية الأرجنتينية ورئيس "المعهد الأرجنتينى

للدراسات الإستراتيجية" عندما ظهر كتابه فى ١٩٦٥ . وعلى عكس المواقف التوسعية المزعومة للجيوبوليتيكا الألمانية ,كان كل هؤلاء الكتاب يحاولون تشجيع تنمية الأقاليم الأرجنتينية الموجودة (حتى جزر المالفيناس وشبه الجزيرة القطبية المتنازع عليها) ولكنهم لا ينصحون بضم أراضى جديدة فى أمريكا الجنوبية وما وراءها.

وعند توضيح الاهتمام المتزايد بالجيوبوليتيكا فى الأكاديميات العسكرية ولدى الجمهور العام فى أواخر الستينات، قال الجنرال جوجلياميللى إن هناك سببين رئيسيين يفسران هذا التحول: فأولا ,كان هناك سخط متزايد على الحكم المدنى السائد فى الأرجنتين، وثانيا، كان هناك مخاوف كبيرة من تهديد شيلى والبرازيل والمملكة المتحدة للأرجنتين. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الخطر القائم دائما الذى يفرضه الثوريون المدعومون من الاتحاد السوفيتى فى أمريكا اللاتينية يساهم فى مناخ الخوف والتشكك. ومع ذلك ,كانت كتاباته الجيوبوليتيكية فى أواخر الستينات وأوائل السبعينات تمتزج بشدة مع الاهتمام بالتوسع البرازيلى فى إقليم نهر بليت:

"إن الحدود(كما يدعى المنظرون البرازيليون) قوة فى خدمة الظروف السياسية, وهى "خط تساوى" يحفظ التوازن بين ضغطين. ويوضح هذا التصور تماما الحساسية والأهمية المتطرفة التى تعلقها البرازيل على سياستها الحدودية التقليدية ,والتى كانت واضحة منذ انتهاك معاهدة torديسيلاس" (in Child 1979: 96)

وكان هذا الهوس بالأنشطة البرازيلية شمال نهر بليت يرجع إلى الإحساس القوى بالظلم من تقسيم الأراضى فى فترة ما بعد الاستعمار. وقد كان جوجلياميللى كثيرا ما يفسر التقسيم الإمبريالى لأمريكا الجنوبية على أنه تدخل شبه إلهى (وليس فرضا إمبرياليا) كان متحيزا ضد الأرجنتين لصالح البرازيل وشيلى وباراجواى. وكما ذكر كارلوس إسكوديه، فإن هذا الشكل من الوطنية الإقليمية المتطرفة كان مبنيا على قراءة غريبة للتاريخ والجغرافيا بعيدا عن حقائق الواقع الذى يتصف بالقضاء على السكان المحليين، والقوة الامبريالية الناقصة والمعارك على الأراضى والموارد فيما بعد الحقبة

الاستعمارية. ومع ذلك نجد شخصيات بارزة فى السياسة الأرجنتينية ,مثل اتالولودر، الرئيس السابق للجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأرجنتيني، يعتمدون على تحليلات جوجلياميللى ونيكولاس بوسكوفيتش لجذب الاهتمام إلى التوسع الإقليمى البرازيلى فى حوض نهر بليت (Boscovich 1974-5)

وقد احتلت الكتابات الجيوبوليتيكية للجنرال جوجلياميللى مكانة هامة فى الأرجنتين التى كان يسيطر عليها الجيش فى الفترة من ١٩٧٦ إلى ١٩٨٢ . وكما كان الحال مع كتاب آخرين بارزين، مثل الجنرال أوزيريس فيليجاس، وزير الداخلية السابق والمفاوض الرئيس خلال أزمة قناة بيجل مع شيلى ,كان جوجلياميللى قائد قوات الجيش الخامس، ورئيس كلية الحرب، وعضو حكومة أونجانيا العسكرية فيما بين ١٩٦٦ و١٩٧١ . ونظرا لأنه كان ضابطا بالجيش، وكانت عليه مسئوليات عن المناطق الحدودية مثل باتاجونيا والقطب الجنوبى ,فإنه فصل أجندة تركز على أن وضع الأرجنتين الجغرافى عبارة عن شبه جزيرة: فالدولة تتكون من مناطق حدودية بعيدة فى الشمال والجنوب (Dodds 1977: 64-8) وباستخدام تصورات كارتوجرافية متميزة، قال إن الأرجنتين يجب أن تؤمن وتطور هذه المناطق الحدودية لتمنع القوى الأخرى من المساس بالسيادة الوطنية. وبينما كان تحليله نادرا ما يتداخل مع كتابات كيلين وغيره, إلا أن جيوبوليتيكيته كانت خليطا معقدا من الرؤى العضوية للدول والأقوال شبه المنقولة عن المشاكل الاقتصادية للأرجنتين. وكما ذكر فى "جيوبوليتيكا الطرف الجنوبى":

"فإن اعتماد الدولة على الصادرات الزراعية، والذى أدى إلى تعرضنا لما يؤدى إلى التبعية الخارجية ,يقلل القدرة على اتخاذ القرار الوطنى ,ولا يسمح بإشباع الضروريات اللازمة للحياة والازدهار. وفيما يتعلق بتحقيق الأمن القومى، فإن هذا يحد من حرية العمل الاستراتيجى، ويخلق اختلالات كبيرة فى علاقات القوة بين الدول الأعضاء فى "الطرف الجنوبى"، بل إنه يؤدى فى الداخل إلى مواجهة حالة من السخط الدائم والاضطراب الاجتماعى" (Gugliamelli 1979:255)

وهكذا عادت الجيوبوليتيكا الأرجنتينية للظهور فى السبعينيات فى سياق أوسع يربط الدولة العضوية بالأمن والتنمية والمناطق المتنازع عليها والتنمية الإقليمية ومناطق معينة مثل باتاجونيا وفوكلاند/مالفيناس (Hepple 1992) وكان زملاؤه بالمعهد وضباط آخرون مثل الجنرال جويرت على نفس المستوى من الإصرار على أن المخاطر التى تواجه الأرجنتين تتوزع داخل وخارج حدود الدولة. وعلى سبيل المثال أصدر جويرت مجلة بعنوان "الجيوش والجيواستراتيجية" وذلك من أجل ترجمة أفكار جولبرى عن الأمن والتنمية للسياق الأرجنتينى الذى يركز على تنمية المناطق البعيدة والحاجة إلى مواجهة التهديدات من داخل وخارج الدولة (Goyret 1980) وبصفة عامة ,كانت الأنظمة العسكرية الحاكمة فى أواخر الستينات ومنتصف السبعينيات تستخدم هذه الأفكار عن الأمن القومى لتحويل الاهتمام من الأنشطة الإرهابية المحدودة لجماعات مثل المونتونيرو إلى "حرب قذرة" ضد العمال والطلبة والكنيسة، الذين كانوا بمثابة تهديد للأمن الداخلى للدولة. وأدت أنشطة مجموعات شبه عسكرية مثل "التحالف الأرجنتينى ضد الشيوعية" (الذى ظهر فى ١٩٧٤) بالإضافة إلى سياسات الأمن القومى الفاسدة، إلى تحديد من يسمون "المخربون"، الذين كانوا يتعرضون للخطف والتعذيب والقتل والسجن عن طريق الجيش والشرطة السرية (Staub 1992: 217)

وكان الغطاء الجغرافى لمنهج الأمن القومى مهما أيضا:

"لقد كان ذلك شاملا من الناحية الجغرافية حتى وصل إلى أقصى أرجاء الأمة. فمن المقاطعات الاستوائية فى مسيونز، إلى المناطق المأهولة المتناثرة فى باتاجونيا ,لم يترك أى جزء من الدولة بلا اهتمام. حيث حددت القوات المسلحة مجموعة من المناطق الأمنية والمناطق الفرعية والأقسام التى جزأت المناطق إلى وحدات أصغر بصورة متزايدة" (Pion-Berlin 1989 in Scrapezi and Frazier 1993: 7)

وبينما كان الجيش يخوض "حربا قذرة" ضد مواطنيه ,كان المخططون العسكريون والكتاب الجيوبوليتيكيون مثل جوجليا ميللى وكارلوس مونيتا إما ينصحون بإعادة الاستيلاء على فوكلاند والحاجة إلى الدفاع عن جنوب الأطلنطى ضد التوسع الشيوعى

أو حتى البرازيلى. وعلى سبيل المثال، حذر الأستاذ مونيتا فى ١٩٧٥ من أن البرازيل ستحاول أن تحتل القارة القطبية الأرجنتينية بحلول ١٩٩٠، لأن الجيش البرازيلى اعترف بالأهمية الإستراتيجية للقارة القطبية وممر دريك (Moneta 1975: 29-30) وكذلك قدمت جزر المالفيناس وجنوب الأطلنطى للجيش فرصة تفصيل إحساس جديد بالرسالة للدولة، وقال مؤلفون عسكريون مثل فيسنت باليرمو، وفيرناندوميليا ,وبابلوسانتس، إن المناطق المحيطية التى تحيط بالأرجنتين توفر فرصا غير مسبوقة للتنمية الاقتصادية ولإظهار التزام الدولة بالمجتمع الغربى والأمم المسيحية، ودخلت خطابات الخطر والتهديد إلى المناطق البحرية المحيطة بالأرجنتين ,مع محاولة القوات المسلحة إنشاء "منظمة معاهدة جنوب الأطلنطى" (SATO) بمساعدة الولايات المتحدة (Dodds 1997: 64-8) وخلال ذلك قدمت هذه الأفكار فرصة لتحقيق هويات سياسية معينة، حيث وصفت الأرجنتين بأنها دولة مسيحية وغربية، مهددة من القوى التخريبية التى يحرضها الاتحاد السوفيتى. وكما ذكر باتريسيو سيليفا:

"لقد تمت إعادة صياغة مفهوم الطبيعة الغربية والتوجه الغربى للبلاد فى هذه السياسة الخارجية الجديدة. ففى الماضى القريب استغلت الحكومات العسكرية هذا المبدأ لإضفاء الشرعية على مناهضتها للأنشطة للشيوعية على الساحة الدولية" (Siliva 1989: 89)

وعلى عكس التيارات الوطنية الأكثر تطرفا فى الأفكار الجيوبوليتيكية فى مجلة "الاستراتيجية"، كانت مجلة "الجيوبوليتيكا" تتبنى مشروعات التكامل الداخلى وليس الإلحاق. ففى ظل قيادة اندريس برافو واوجستوراتنباخ، نشرت مجلة "الجيوبوليتيكا" من خلال "معهد الدراسات الجيوبوليتيكية"(IDEG) وكانت الطبعات الأولى من المجلات تركز على التكامل الإقليمى، والتنمية الوطنية والتعاون الدولى. ومن بين أعضاء المؤسسين للمجلس الاستشارى للمجلة كان سيريجليانو مصدرا قويا للنماذج البيرونية عن التكامل القارى وعدم الانحياز والحاجة إلى تنمية المناطق الحدودية مثل باتاجونيا.

حيث طرح فى عمله الشهير "المثلث الأرجنتينى: الجيوبوليتيكا والمشروع الوطنى" تصوره للأرجنتين، ذلك التصور الذى تجاوز نقطتى ضعف كبيرتين: انخفاض مستوى استغلال "الفضاءات المفتوحة" فى باتاجونيا والقارة القطبية الجنوبية، والإفراط فى تركز السكان والصناعات فى ولاية بيونس أيريس.

وفى خضم الإرهاب وظهور مراكز الاحتجاز السرية ,كانت كتابات سيريجليانو الجيوبوليتيكية عن التكامل الإقليمى تبدو متناقضة مع الأثر الكاسح "للحرب القذرة" على المجتمع الأرجنتينى. ومع ذلك ,كان هذا الهوس بالتكامل يتوافق مع قلق الجيش من أن الأرجنتين كانت دولة مقسمة ومعرضة للمخاطر. فكما ذكر بالإشارة إلى تكامل حوض نهر بليت: "بالنسبة لدولة ذات مكانة – كما نعتقد بالنسبة للأرجنتين باستمرار– ولها جغرافية مفككة وتاريخ مزيف يتمثل الهدف الأول فى إصلاح جغرافيتها وتاريخها" (Cirigliano 1975:36-7)

وكان التفسير الجيوبوليتيكى الرسمى لجلتى "الإستراتيجية" و"الجيوبوليتيك" يكمله عدد من المؤسسات والمصادر التى ضمنت بحلول أواخر السبعينات توافق المناهج المدرسية فى الجيوبوليتيكا مع التدريب الرسمى الذى يقدم فى الكليات العسكرية و"المعهد الأرجنتينى للخدمة الأجنبية" (Pittman 1981: 858) وكان معظم التعليم الرسمى رجعيا بلا شك وكان مخصصا لمساندة السياسات الأمنية للنظم العسكرية. ولا شك فى أن هذا الوضع كان مثيرا للمشاكل ,لأن الجيش استنتج لاحقا أن التعليم كان موقعا للتخريب. ففى ١٩٨٠ مثلا، أصدر الجيش منشورا عن الإرهاب يقول إن المدرسين سهلوا انتشار الفكر التخريبى:

"إن العمليات التخريبية قام بها مدرسون متحيزون استطاعوا بسبب صغر سن تلاميذهم أن يؤثروا فى حساسية عقولهم، وكان التدريس مباشرا ويستخدم الأحاديث والقراءات غير الرسمية للكتب المتحيزة المنشورة لهذا الغرض، وباستخدام أدبيات الأطفال، حاول الإرهاب نقل نوع الرسالة التى يمكن أن تثير الأطفال، وتوفر مجالا

للتعلم الذاتى بناء على الحرية والبحث عن "البدائل" (in Staub 1992: 216) وكان الجيش يلوم المهنيين المتعلمين مثل المدرسين وأساتذة الجامعات وحتى القساوسة بإفساد الصغار. وكما كان الحال فى الأرجنتين فى تسعينات القرن التاسع عشر ,اعتبرت النخبة العسكرية أن التعليم العام كان آلية هامة لنشر التخريب والفكر غير الأخلاقى والعلمانى (Comblin 1980)

وفى أعقاب نظام الإرهاب ,اهتم عدد من الدارسين الأرجنتينيين بالعلاقة الشائكة بين الجيوبوليتيكا والأمن القومى. ففى التحليل المتأثر بالماركسية لحرب المالفيناس فى ١٩٨٢ . قال دابات ولورنزانو إن القضايا التى أثارها كتاب جيوبوليتيكيون مثل فيلجاس وجوجلياميللى كانت تستخدمها النظم العسكرية لتحويل الاهتمام من الحاجة الماسة إلى إصلاح اجتماعى واقتصادى داخل الأرجنتين إلى طموحات إقليمية خادعة فى جنوب الأطلنطى والقطب الجنوبى. وبينما كان هذان المؤلفان يؤيدان مطالب الأرجنتين فى المالفيناس ,إلا أنهما رفضا قبول المجال الفكرى للتقليد الجيوبوليتيكى الأرجنتينى: "من المؤكد أن جزر المالفيناس مهمة ولكن الأكثر أهمية من ذلك هو استرداد الأراضى الوطنية لمصلحة الشعب" (Dabat and Lorenzano 1984: 223)

وفى مجال مشابه ومتميز ,نشر كارلوس إسكوديه سلسلة من الكتب والمقالات الهامة (بالإنجليزية والإسبانية) فى الثمانينات، حاولت مناقشة التواريخ الإقليمية التقليدية للأرجنتين. إذ يقول بالإضافة إلى أشياء أخرى ,إن كتّاب الجيوبوليتيكا والتاريخ تسببوا فى استمرار تزييف خطير يتعلق بالتطور الإقليمى للجمهورية. فعلى عكس الكتابات التقليدية ,يقدم إسكوديه تقييما مفصلا لتاريخ الأرجنتين بعد الاستقلال, يعترف بحقيقة أن الجمهورية كانت ناجحة جدا فى المطالبة والاستعمار لمناطق فى الشمال (شاكو) وفى الجنوب (باتاجونيا). وبالإضافة إلى ذلك ,ركز إسكوديه على الأهمية السياسية والخطابية للجيوبوليتيكا الأرجنتينية من حيث قدرتها على تعبئة التأييد الشعبى (والتصورات الجغرافية المرتبطة بذلك) للمغامرات الإقليمية مثل غزو

فوكلاند/مالفيناس (التى تسمى الأخوات الصغيرات فى الأساطير الأرجنتينية) بدلا من التركيز على الإصلاح الاجتماعى الاقتصادى الأساسى (Escudé 1984, 1987, 1988, 1992)

ونشر كارلوس ريبوراتى من جامعة بيونس أيريس مقالا نقديا قويا عن الفكر الجيوبوليتيكى الأرجنتينى (Reboratti 1983) فتحت عنوان "سحر الظلام" حدد ريبوراتى عددا من وجوه التفسير الجيوبوليتيكى التى استخدمت خلال فترة الحكم العسكرى فيما بين ١٩٧٦ و١٩٨٢ . وقال إن الكتاب والمسئولين العسكريين استخدموا الجيوبوليتيكا بطريقة فجة لتبرير استراتيجيات أمنية وبرامج تنمية معينة، ولكن هذه الاستراتيجيات والبرامج لم تتعرض للتقييم النقدى المناسب من دارسى العلوم الاجتماعية. حيث يكمن فى قلب الجيوبوليتيكا قدر هائل من الغموض المتعلق بالنظريات والمفاهيم المعرفية التى مكنت الجيش من التفكير جيوبوليتيكيا. وغالبا ما يختزل بعض الكتاب – مثل بريانو، وفراجا ،جوجلياميللى – الجيوبوليتيكا إلى صورة بسيطة للحتم الجغرافى الذى فشل فى استيعاب تعقيدات العالم الحديث المتأخر، وبينما يمكن أن يكون هناك عدد قليل من الدارسين النقديين فى الأرجنتين الذين لم ينجذبوا إلى تراث الفكر الجيوبوليتيكى، يقول ريبوراتى إنه كانت هناك حاجة ملحة لتمحيص هذه الأفكار والمفاهيم، بسبب أهميتها فى تحديد السياسات الوطنية مثل غزو فوكلاند فى ١٩٨٢ والحرب التى كادت تنشب مع شيلى فى ١٩٧٨ على ملكية قناة بيجل.

وقد ربط ريبوراتى فى مفاهيمه النقدية للجيوبوليتيكا بين أشكال التفسير الجغرافى والأشكال العدوانية للوطنية والعسكرية. وكان منهج تفسيره متأثرا بشدة بنقد لاكوست اللاذع لدور المعرفة الجغرافية وعلاقات الجغرافيا الأكاديمية بالتخطيط العسكرى والحرب والوطنية العنيفة (Lacoste 1976) ونظرا لما ساد عقب الحرب القذرة، ليس مدهشا أن انتقاد ريبوراتى للجيوبوليتيكا الأرجنتينية يبدو غير متناسق. حيث خلق عنف النظم العسكرية فى السبعينات وأوائل الثمانينات مرارة شديدة، والكثير من القلق وثقافة الخوف. وكما يذكرنا كارينا بيرللى:

"منذ عام ١٩٧٤، اختفى عن الساحة الكثير من المسالمين الأبرياء، إذ كان الجميع ـ الأغنياء والفقراء ,والرجال والنساء والأطفال، والعمال ورجال الأعمال، والطلاب وربات البيوت ـ معرضون لخطر الزج بهم فى طاحونة التدمير". (Perelli 1992: 418)

وهكذا لعب الإطار العضوى للدولة دوره فى عنف الدولة وساعد على استمرار الثقافة العامة المليئة بالشك وعدم الثقة والتى لم يجرؤ على مقاومتها سوى جماعات قليلة مثل أمهات "ساحة مايو" (Radcliffe 1993)

جيوبوليتيكا أمريكا الجنوبية والرؤية الأنجلو-أمريكية

فى أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينات، كان الأستاذ جاك تشايلد بالجامعة الأمريكية يمثل أعلى مرجعية فى الكتابات الجيوبوليتيكية لأمريكا الجنوبية. ونظرا لكونه مواطنا أمريكيا ولد فى بيونس أيريس كانت لديه معرفة وثيقة بالكتابات الجيوبوليتيكية والوطنية الأرجنتينية. وفى حياته المتأخرة كضابط جيش تخصص فى علاقات الولايات المتحدة بأمريكا اللاتينية قدم مراجعة نقدية للكتابات الجيوبوليتيكية لضباط القوات المسلحة فى الأرجنتين والبرازيل وشيلى. وبالاشتراك مع زملاء آخرين مثل هوارد بتمان ولويس تامبس، قدم تشايلد مبكرا بعض الأوراق ثم ألف لاحقا عددا من الكتب باللغة الإنجليزية عن الفكر الجيوبوليتكيى فى أمريكا اللاتينية (Child 1985, 1988) وكانت ورقته التى قدمها فى ١٩٧٩ عن "التفكير الجيوبوليتيكى فى أمريكا اللاتينية" بمثابة تقييمه الأساسى للفكر الجيوبوليتيكى فيما يسمى بدول ABC الأرجنتين والبرازيل وشيلى) (انظر أيضا Tambs 1979). وبعد ذلك قدم تلميذه وزميله ضابط الجيش الأمريكى الكولونيل هوارد بتمان دراسة دكتوراه عظيمة عن جيوبوليتيكا أمريكا اللاتينية فى ١٩٨١ . والتى شملت مقابلات مع الجنرال بينوشيه الذى كان رئيسا لشيلى فى ذلك الوقت، والعديد من المؤلفين البارزين فى الجيوبوليتيكا (Pittman 1989) ونظرا لكونهما ضباطا بالجيش الأمريكى ,فقد تمتع بتمان وتشايلد بإمكانية الوصول

إلى هؤلاء المؤلفين/الضباط من أمريكا الجنوبية فى وقت دكتاتورية عسكرية عنيفة فى الأرجنتين وغيرها من دول أمريكا اللاتينية الأخرى. وبعد ذلك نشر المؤلفان أعمالهم بالإسبانية فى مجلات مثل "الجيوبوليتيكا" (الأرجنتين) و"جيوسور" (أوراجواى).

وهناك عنصران مهمان فى تحليل أمريكا الشمالية للفكر الجيوبوليتيكى فى أمريكا الجنوبية. حيث يعتمد الأول على الرغبة فى إعادة كتابة التواريخ التقليدية للجيوبوليتيكا التى ظهرت فى تجارب العالم الأنجلو-أمريكى. إذ كانت جيوبوليتيكا أمريكا الجنوبية تمثل تناقضا صارخا مع الانحطاط الفكرى فى المبادلات الجيوبوليتيكية الناطقة بالإنجليزية فى الخمسينيات والستينيات. فالتراث المتنازع عليه للجيوبوليتيكا والنازية لم يكن موجودا فى الأرجنتين والبرازيل وشيلى، بمعنى أن كتابا مثل جورج أتنسيو والجنرال جولبرى من البرازيل قاموا بمسوح هامة للكتاب الأوروبيين والأمريكيين بما فيهم كارل هوسهوفر. وبذلك جذب تشايلد ويتمان انتباه الدارسين الأنجلوفونيين إلى حقيقة أن ما يسمى "انهيار الجيوبوليتيكا" لم يكن يحدث فى أمريكا الجنوبية ،حيث كان مؤلفون عسكريون ومدنيون كثيرون يقدمون تحليلات لوضع أمريكا الجنوبية فى النظام العالمى ،ويتعاملون مع الأدبيات الجيوبوليتيكية الفرنسية والألمانية والأنجلوفونية.

وكان العنصر الثانى فى عملية التقييم هذه يعتمد على تحليل هذه المواد فى ضوء الظروف التاريخية والجغرافية لهذه الدول فى "الطرف الجنوبى". وعل سبيل المثال ,يقول جاك تشايلد إن المجلة الجيوبوليتيكية الأرجنتينية "الإستراتيجية" كانت "أكثر مجلات الجيوبوليتيكا تقدما وانتشارا على مستوى أمريكا اللاتينية (وربما عالميا)"(Child 1979:95) وبصفة عامة، كانت تقييماتهما تميل إلى الأجندة الجيوبوليتكية لكتاب أمريكا الجنوبية (كانت هناك منافسة فكرية طفيفة من المجلات الجيوبوليتيكية الأخرى)، بغض النظر عما كان يسوقه تشايلد والمؤلف المشارك "فيل كيلى" من شكوى من أن "الجيوبوليتيكا غامضة من ناحية المفهوم والنظرية. وليس هناك نموذج جيوبوليتيكى

مناسب" (Kelly and Child 1988: 9) وكانت هذه شكوى عامة من الجيوبوليتيكا فى أمريكا الجنوبية ,لأنه تبين أن هذا النوع من الكتابة لم يكن قادرا على تقديم نماذج قوية للسياسة الخارجية والتنمية الوطنية. وكان معظم مؤلفى أمريكا الجنوبية الذين ساهموا فى مجموعات هامة باللغة الانجليزية مثل "جيوبوليتيكا الطرف الجنوبى والقارة القطبية الجنوبية" أكثر اهتماما بالأولويات التنموية لدول معينة وليس تفصيل تنظير دقيق لما هو "جيوبوليتيكى". وكان هذا انعكاسا لحقيقة أن العديد من الكتاب الجيوبوليتيكيين فى أمريكا الجنوبية كان لديهم التزام قوى بتطوير سياسات وبرامج تطبيقية ,بعيدا عن المفاهيم المؤقتة للتراث الجيوبوليتيكى.

ويعود فيل كيلى إلى الفكر الجيوبوليتيكى لأمريكا الجنوبية بتقديم مراجعة عامة واسعة النطاق ظلت متشائمة بشأن قدرة التبادل الفكرى بين الجغرافيا السياسية الأنجلو -أمريكية والأعمال المختلفة فى أمريكا الجنوبية، وذلك فى تقريره الحديث عن "رقعة الشطرنج وأحزمة الأمان":

"إننى أشك فى أن النظريات الجيوبوليتيكية الجديدة الواردة فى المجلة البريطانية "الجغرافيا السياسية" والمصادر المشابهة ستلقى قبولا كبيرا لدى أكاديميى أمريكا الجنوبية، الذين يمكن أن يستمروا فى إتباع الفكر الجيوبوليتيكى التقليدى" (Kelly 1997: 211)

وهو يعتقد أن الجيوبوليتيكا ستظل جانبا هاما فى صنع السياسة الوطنية فى أمريكا اللاتينية، حتى إذا قام الكثير من المؤلفين بمتابعة الموضوعات التقليدية للتنمية الوطنية والتكامل الإقليمى والتعاون القارى، وقد ترجع أسباب رفض اعتناق الأدبيات الأنجلوفونية فى الجيوبوليتيكا النقدية إلى حقيقة أن الكثير من كتاب الجيوبوليتيكا فى أمريكا الجنوبية عبارة عن ضباط جيش متقاعدين وموظفين مدنيين لهم نظرة عالمية ثقافية وجغرافية ولغوية مختلفة جدا، وبهذا المعنى فإن قضية "القبول" لا تدخل فى المعادلة، لأن الكثير من كتاب الجيوبوليتيكا فى الأرجنتين لن يتقبلوا الحوارات

الجيوبوليتكية النقدية الحديثة حول تناقص أهمية الأراضى وسيادة الدولة(Dodds 1998) ومع ذلك، يتضح أيضا أن تقييم كيلى لمن عملوا على الموضوعات الجيوبوليتيكية فى أمريكا الجنوبية استبعد عددا من الدارسين النقديين مثل كارلوس روبيراتى وكارلوس إسكوديه الذين كانت لديهم نظرة أكثر دقة للثقافة الفكرية التى حملت هذه الأفكار عن الأراضى والوطنية والعلاقات الدولية.

وعلى عكس ذلك حاول مؤلفون بريطانيون وفرنسيون مثل ليسلى هيبل وميشيل فوشر دراسة إشكالية التراث الفكرى للفكر الجيوبوليتيكى الأيبرى والأمريكى الجنوبى. ويعتبر انتقاد هيبل للتشبيه العضوى للدولة تمحيصا هاما للفكر الجيوبوليتيكى ,لأنه يتعلق بالأوضاع السياسية والثقافية غير المستقرة والعنيفة أحيانا فى نظم وحكومات أمريكا اللاتينية (Hepple 1992) ومع ذلك، فإن هذا لا يتضمن كما يقول هيبل أن كل تيارات الفكر الجيوبوليتيكى فى أمريكا الجنوبية ترتبط كثيرا بالعسكرية وسياسة القوة, ولكنها توضح كيف أن الأفكار المتعلقة بالمكان والأرض يمكن مناقشتها من خلال ثقافات وطنية وتقاليد فكرية معينة (أنظر بصفة عامة Livingstone 1992; Driver 1994) وبالإضافة إلى ذلك ,يمكن استخدامها لتوضيح كيف أن الأفكار الألمانية عن الدولة القومية سافرت إلى أمريكا الجنوبية وتعرضت للمناقشة. وكذلك يعد تطور ، وفيما بعد تبنى، منهج الأمن القومى مثالا مدهشا آخر على كيفية استقبال الأفكار الفرنسية والأمريكية فى البرازيل تم تطورها وانتقالها إلى الأرجنتين وشيلى.

الخلاصة

اعتنى المؤرخون المعاصرون للجيوبوليتيكا بالدور الذى لعبته المعرفة الجغرافية فى تشكيل الثقافات العامة والأفكار الجيوبوليتيكية الخاصة مثل التشبيه العضوى للدولة (Livingstone 1992; Escolar et al. 1994) وقد اجتذبت الأدبيات الجيوبوليتيكية فى أمريكا الجنوبية الكثير من التعليقات من حيث استكشاف العلاقات بين النمو الإقليمى والبرامج السياسية والتعليم الجغرافى والحدود الدولية. وكانت بعض هذه العلاقات ضارة وعدوانية لأن الفكر الجيوبوليتيكى الأرجنتينى ارتبط بشكل صريح بأيديولوجيات وسياسات النظم العسكرية فى الستينات والسبعينات. وبينما تم تسجيل رعب تلك السنوات (جزئيا) فى تقارير حكومية رسمية مثل تقرير " لن يتكرر مطلقا مرة أخرى"، فإن العلاقات بين الجيوبوليتيكا الأرجنتينية والجيش لا تزال فى حاجة إلى توثيق دقيق، حتى إذا كان هناك دليل على أن كتاب الجيوبوليتيكا ساهموا فى البرامج العسكرية فى التعليم وتطوير السياسات (Pittman 1981; Child 1985)

لقد توقفت مجلة "الاستراتيجية" عن الصدور مع وفاة الجنرال خوان جوجلياميللى فى ١٩٨٣ . وعانت الكتابة الجيوبوليتيكية الرسمية فى الأرجنتين أزمة ثقة مؤقتة خلال السنوات التى أعقبت مباشرة إدارة الفونسين المنتخبة ديموقراطيا (١٩٨٣-١٩٨٩). ومع ذلك، استمرت مجلة "الجيوبوليتيكا" فى جذب عدد من الكتاب الجيوبوليتيكيين البارزين وأعضاء هيئات التحرير ,مثل نيكولا بوسكوفيتش ,وكارلوس مونيتا، هوج جاستون سارنو، وذلك لمعالجة الحاجات الأمنية والتنموية للأرجنتين (Sarno 1997) وعندما كان اندريس الفونسين برافو محررا للمجلة ,انتجت "الجيوبوليتيكا" مجلة أخرى نصف سنوية كانت تباع فى المكتبات الكبرى فى بيونس أيريس والمدن الكبرى الأخرى.

ونجحت فى جذب مساهمين عالميين، وذلك من خلال قدرة إبنة برافو على ترجمة النصوص الإنجليزية إلى الأسبانية، وبالإضافة إلى ذلك، استمر الناشر "بليمر" فى إصدار طبعات باللغة الأسبانية لمنظرين جيوبوليتيكيين من أمريكا الشمالية وأوروبا مثل كارل هوسهوفر، وهالفورد ماكيندر، وسول كوهين.

وبالنسبة لبعض الأكاديميين فى جامعات ومؤسسات مثل جامعة بيونس ايريس وقرطبة، لا تزال الجيوبوليتيكا الأرجنتينية تعتبر منهجا رجعيا. ولم تتطور أطروحات نقدية بين كتاب المجلة، ربما لأن الكثير من المساهمين ظلوا من المسئولين وضباط الجيش السابقين الذين لم يألفوا الحوارات الحديثة المتعلقة بسياسة المعرفة الجغرافية، فضلا عن الجيوبوليتيكا النقدية (Sarno 1997; ó Tuathail 1996). ومع ذلك، برز بعض الجغرافيين المرتبطين بمعهد الجغرافيا فى جامعة بيونس أيريس (الذى تأسس فى الحقبة البيرونية فى الأرجنتين) مثل مارسيلو اسكولار وكارلوس ريبوراتى ،وقدموا تقييما نقديا للخطابات الجغرافية من خلال تحليلاتهم الدقيقة للتطور المؤسسى للجغرافيا الأرجنتينية والمقترحات المعاصرة لتنمية باتاجونيا ونقل العاصمة إلى فيدما (scolar 1991; Reboratti 1982, 1987) وكما ذكر كارلوس ريبوراتى، فإن الرئيس الفونسين استخدم فى ذلك الوقت مصطلح "الجيوبوليتيكا" لتبرير اقتراحه الأولى بنقل العاصمة إلى الجنوب، مبررا ذلك بـ "قدرتها من الناحية الجيوبوليتيكية على الوصول إلى المحيط الهادئ والدفاع عن السيادة الوطنية، ولرمزيتها باعتبارها أبعد عاصمة فى الجنوب فى العالم، ونموذجها المثالى على أعتاب القرن الحادى والعشرين" (Alfonsin in Roberatti 1987: 76)

ويوضح ريبوراتى فى نقده اللاذع لمثل هذه المقترحات كيف أن بعض الأفكار الجيوبوليتيكية الراسخة فى الأرجنتين أدت إلى استمرار تصورات جغرافية معينة بناء على الاعتقاد بأن المناطق الجنوبية "منخفضة فى عدد سكانها" وتحتاج إلى التنمية والتعمير ،وذلك لحمايتها من الغزو الشيلى. وتعمل كذلك على تذكير المراقبين الشئون

الأرجنتينية بأن بعض التصورات الجغرافية (مثل الاهتمام "بالمناطق الخالية" بالأرجنتين) يمكن أن تظل راسخة بشدة حتى إذا كان هناك ابتعاد عن النطاق الفكرى للجيوبوليتيكا.

ويظل الإيمان "بالمشروع الجنوبى" مثل استرداد المالفيناس صفة مميزة فى الثقافة السياسية الأرجنتينية. إذ كان الرئيس كارلوس منعم (١٩٨٩- ١٩٩٩) مؤيدا قويا لمثل هذه السياسات ,بالرغم من التزام البلاد بالحكم الديموقراطى والدبلوماسية السلمية. فقد أعلن فى مناسبات عديدة ,فى الأرجنتين وخارجها ,التزامه باستعادة جزر فوكلاند/مالفيناس بحلول عام ٢٠٠٠ . واستمر التعليم العام فى الأرجنتين يعلم الأطفال من السنة الأولى فصاعدا أن المالفيناس ستظل أرجنتينية ,ويشجع تدريس أغانى وطنية مثل "لحن المالفيناس". ومع ذلك ,لا يتضمن هذا أن الأرجنتين مصممة على استرداد فوكلاند بالعنف، بل إنه يوضح أن تصورات جغرافية معينة يمكن أن تحتفظ بأهمية رمزية كبيرة. فقد حاول الرئيسان الفونسين ومنعم ,كل بطريقته المختلفة, استغلال الاهتمام الكبير بمناطق خاصة على حساب الإصلاح الاجتماعى والاقتصادى الأكثر أهمية بالنسبة للرفاهية والصحة والتعليم.

وكذلك قام بعض علماء السياسة فى بعض المؤسسات الأرجنتينية فى بيونس أيريس، مثل روبيرتو راسل وكارلوس إسكوديه بالتعمق فى السياسات الأمنية والخارجية فى الأرجنتين فى مرحلة ما بعد الديموقراطية. وبالتحديد، أوضح كارلوس إسكوديه كيف أن الثقافة العامة الأرجنتينية والحكم المؤسسى يميلان إلى التركيز على الحقوق الإقليمية للدولة قبل وفوق حقوق السكان (Escudé 1984, 1992) وفى دراسته النقدية الأولى للسياسة والمجتمع الأرجنتينى والتى تحمل عنوان " الأرجنتين..دولة منبوذة دوليا؟" أصر الناشر "ديل بيلجرانو" على أن يضع إسكوديه علامة استفهام بعد العنوان ليضيف قدرا من عدم اليقين بشأن وضع الأرجنتين فى العالم خلال حكم النظم العسكرية فى السبعينيات، أما فى أوائل الثمانينات، فقد تم استكشاف ونقد

الكتابات الجيوبوليتيكية الأرجنتينية المعاصرة بأسلوب لم يكن ممكنا من قبل فى ظل أوضاع الرقابة الخانقة غالبا التى كان قد شهدها عقد السبعينات.

وبينما تغيرت أشياء كثيرة منذ الأيام الخطيرة والعنيفة للنظم العسكرية ,يظل الخطاب الجيوبوليتيكى قوة هامة فى الثقافة العامة الأرجنتينية الأوسع، حيث أثر المنهج التكاملى لمجلة "الجيوبوليتيكا" على الحوارات الرئيسة فى الأرجنتين خلال ثمانينات وتسعينات القرن العشرين، وذلك خلال مناقشة الأحداث المهمة مثل اتفاقية التكامل الاقتصادى والإقليمى المعروفة باسم "ميركوزر" بين الأرجنتين والبرازيل، والحكم الديموقراطى وعدم الانحياز والعولمة والعلاقات بين أمريكا اللاتينية والولايات المتحدة. واستمرت الجيوبوليتيكا تقدم طريقا لمناقشة قضايا الأراضى والموارد والتنمية، بالإشارة إلى الأرجنتين الديموقراطية، ومع ذلك، ظلت تعالج موضوعات جيوبوليتيكية تقليدية مثل الأمن الإقليمى والتفاوض على الحدود، لأن استرداد المالفيناس كان يسيطر على أولويات الرئيس منعم، ومع ذلك يحتمل أن تتمكن الشرائح المحافظة فى الفكر الجيوبوليتيكى الأرجنتينى من دخول الألفية الجديدة ببعض الثقة. فكما ذكر هانز وايجرت فإن "لكل أمة جيوبوليتيكيتها التى تستحقها" (Weigert 1942: 23)

شكر وتقدير

إننى مدين بالعرفان لديفيد أتكنسون وليسلى هيبل على تعليقاتهما المفيدة جدا على المسودات السابقة من هذه الورقة، والشكر كذلك لألويسوس على نصائحه التحريرية، وأشكر أيضا "مجلس بحوث الآداب والإنسانيات" على المنحة التى قدمها لتمويل هذا البحث وذلك بين عامى ١٩٩٨-٩ ، والتى سمحت بإكمال هذا الفصل. مع التأكيد المعتاد على عدم مسئوليتهم طبعا عما جاء به من آراء.

قائمة المراجع

Alberdi, J. (1879) *Reconstruccion geografico de America del Sur*, Buenos Aires: La Facultad.

Andrews, G. (1979) 'Race versus class association: Afro-Argentines in Buenos Aires 1850–1900', *Journal of Latin American Studies* 11: 19–39.

Andrews, G. (1980) *The Afro-Argentines of Buenos Aires 1800–1900*, Madison: University of Wisconsin Press.

—— (1986[1965]) *Que es la Geopolitica?*, Buenos Aires: Editorial Pleamar.

Barton, J. (1997) *A Political Geography of Latin America*, London: Routledge.

Boscovich, N. (1974–5) 'Analisis comparativo: Argentina y Brasil en el espacio geoeconomico del Cono Sur', *Estrategia* 31–2: 34–60.

Briano, J. (1965) *Geopolitica y Geoestrategia Americana*, Buenos Aires: Circulo Militar.

Calvert, P. (1989) 'The primacy of geopolitics', *The World Today* 45: 33–6.

Calvert, P. and Calvert, S. (1989) *Argentina: Political Culture and Instability*, London: Macmillan.

Campbell, D. (1992) *Writing Security*, Manchester: Manchester University Press.

Campo Wilson, J. (1920) *Geografia Politica de America*, Buenos Aires: Editorial Americale.

Casellas, A. (1974) *El Territorio Olvidado*, Buenos Aires: Centrol Naval, Instituto de Publicaciones Navales.

Celerier, P. (1953) *Geopolitica y Geoestrategia*, Buenos Aires: Editorial Pleamar.

Child, J. (1979) 'Geopolitical thinking in Latin America', *Latin American Research Review* 14: 89–111.

—— (1985) *Geopolitics and Conflict in South America*, New York: Praeger.

—— (1988) *Frozen Lebensraum: South American Geopolitics and Antarctica*, New York: Praeger.

Cirigliano, G. (1975) *Argentina Triangular: Geopolitica y Projecto Nacional*, Buenos Aires: Humanitas.

Comblin, J. (1980) *The Church and the National Security State*, New York: Orbis.

Crawley, E. (1984) *A House Divided 1880–1980*, London: C. Hurst

Dabat, A. and Lorenzano, L. (1984) *Argentina: The Malvinas and the End of Military Rule*, London: Verso. Expanded and revised translation of 'Conflicto Malvinese y Crisis Nacional', Mexico City: Teoria y Politico, 1982.

Daus, F. (1950) *Geografia y Unidad Argentina*, Buenos Aires: Centro Naval, Instituto de Publicaciones Navales.

Dijkink, G. (1996) *National Identity and Geopolitical Visions*, London: Routledge.

Dodds, K. (1993) 'Geography, identity and the nineteenth century Argentine state', *Bulletin of Latin American Research* 12: 361–81.

—— (1997) *Geopolitics in Antarctica: Views from the Southern Oceanic Rim*, Chichester: Wiley.

—— (1998) 'Political geography I: The globalization of world politics', *Progress in Human Geography* 11: 595–606.

Driver, F. (1994) 'New perspectives on the history and philosophy of geography', *Progress in Human Geography* 18: 92–100.

Cuestao Regional e os Movimento Sociais no Terceiro Mundo, Sao Pablo: USP-UNESP.

Escolar, M., Quintero, S. and Reboratti, C. (1994) 'Geographical identity and patriotic representation in Argentina', 346–66 in D. Hooson (ed.) *Geography and National Identity*, Oxford: Blackwell.

Escudé, C. (1984) *Argentina: El Paria Internacionale?*, Buenos Aires: Editorial del Belgrano.

—— (1987) *Patologia del Nacionalismo: el caso Argentino*, Buenos Aires: Instituto de Torcuato Di Tella/Editorial Tesis.

—— (1988) 'Argentine territorial nationalism', *Journal of Latin American Studies*, 20:139–65.

—— (1990) 'El Fracaso del Proyecto Argentino', Buenos Aires: Instituto de Torcuato Di Tella/editorial tesis.

—— (1992) 'Education, public culture and foreign policy: the case of Argentina', *Working Paper Series of Duke-UNC Program of Latin American Studies*.

—— (1997) *Foreign Policy Theory in Menem's Argentina*, Gainsville: University of Florida Press.

Ewell, J. (1982) 'The development of Venezuelan geopolitical analysis since World War II', *Journal of Interamerican and World Affairs* 24: 295–320.

Foucher, M. (1986) *L'invention des Frontières*, Paris: Foundation pour les Etudes de Défense Nationale.

Fraga, J. (1979) *Introduccion a la Geopolitica Antarctica*, Buenos Aires: Direccion Nacional del Antarctica.

Gerassi, M. (1964) 'Argentine Nationalism of the Right', unpublished Ph.D. thesis, Department of History, Columbia University.

Gorman, S. (1982) 'Geopolitics and Peruvian foreign policy', *Inter-American Economic Affairs* 36: 65–88.

Goyret, J. (1980) *Geopolitica y Subversion*, Buenos Aires: Ediciones Depalma.

Guglialmelli, J. (1974) *La Cuenca del Plata*, Buenos Aires: Tierra Nueva.

—— (1979) *Geopolitica del Cono Sur*, Buenos Aires: El Cid Editor.

—— (1983) 'La Crisis Argentina: una perspectiva geopolitica', *Estrategia* 73/74: 9–30.

Hashbrouck, A. (1935) 'The conquest of the desert', *Hispanic American Historical Review* 15: 198–228.

Henrik-Herb, G. (1989) 'Persuasive cartography in Geopolitik and national socialism', *Political Geography Quarterly* 8: 289–303.

Hepple, L. (1986) 'The revival of geopolitics', *Political geography Quarterly* 5: 21–36.

—— (1992) 'Metaphor, discourse and the military in South America', 136–54 in T. Barnes and J. Duncan (eds) *Writing Worlds*, London: Routledge.

Hodge, J. (1984) 'The role of the telegraph in the consolidation and expansion of the Argentine Republic', *The Americas* 41: 59–80.

Isola, E. and Berra, A. (1950) Introduction a la Geopolitica Argentina, Buenos Aires:

Editorial Pleamar.

Kelly, P. (1997) *Checkerboards and Shatterbelts: The Geopolitics of South America*, Austin: University of Texas Press.

Kelly, P. and Child, J. (eds) (1988) *Geopolitics of South America and Antarctica*, Boulder: Lynne Rienner.

Lewis, C. (1983) *British Railways in Argentina 1857–1914*, London: Athlone Press.

Livingstone, D. (1992) *The Geographical Tradition*, Oxford: Blackwell.

McLynn, F. (1980) 'The political thought of Juan Domingo Perón', *Journal of Latin American and Caribbean Studies* 32: 15–23.

Milia, F. (1965) *Estrategia y Poder Militar*, Buenos Aires: Editorial Circular.

Milensky, E. (1978) *Argentina's Foreign Policies*, Boulder: Westview.

Moneta, C. (1975) 'Antartida Argentina: los problemas de 1975–90', *Estrategia* 31–2: 23–36.

Morris, A. (1996) 'Geopolitics in South America', 272–93 in D. Preston (ed.) *Latin American Development: Geographical Perspectives*, Harlow: Longman.

Newton, R. (1992) *The Nazi Menace in Argentina 1931–1947*, Stanford: Stanford University Press.

Norton, A. (1988) *Reflections on Political Identity*, Baltimore: Johns Hopkins University Press.

Ozlak, O. (1983) *La Formacion del Estado Argentino*, Buenos Aires: Editorial del Belgrano.

Ó Tuathail, G. (1996) *Critical Geopolitics*, London: Routledge.

Ó Tuathail, G. and S. Dalby (eds) (1998) *Rethinking Geopolitics*, London: Routledge.

Perelli, C. (1992) 'Settling accounts with blood memory: the case of Argentina', *Social Research* 59: 415–51.

Piccirilli, R., Romay, F. and Gianello, L. (1954) *Diccionario Historico Argentino*, Buenos Aires, Ediciones Historias Argentinas.

Pion-Berlin, D. (1989) *The Ideology of State Terror*, Boulder: Lynne Rienner.

Pittman, H. (1981) 'Geopolitics of the ABC Countries', unpublished Ph.D. thesis, Department of Latin American Studies, The American University.

Potash, R. (1969) *The Army and Politics in Argentina 1928–1945*, Stanford: Stanford University Press.

—— (1980) *The Army and Politics in Argentina*, Stanford: Stanford University Press.

Radcliffe, S. (1993) 'Women's place/Lugar de mujeres: Latin America and the politics of gender identity', 102–16 in M. Keith and S. Pile (eds) *Place and the Politics of Identity*, London: Routledge.

Reboratti, C. (1982) 'Human geography in Latin America', *Progress in Human Geography* 6: 397–407

—— (1983) 'El encanto de la oscuridad: notas acerca de la geopolitica en el Argentina', *Desarollo Economico* 23: 137–44.

—— (1987) *Nueva Capital, Viejos Mitos*, Buenos Aires: Sudamericana Planeta.

Rock, D. (1987) *Argentina 1516–1987*, London: I. B. Taurius.

---- (1993) 'Argentina 1930-1946', 173 242 in L. Bethell (ed.) *Argentina: Since Independence*, Cambridge: Cambridge University Press.

Sanz, P. (1976) *El Espacio Argentino*, Buenos Aires: Editorial Pleamar.

Sarno, H. (1997) 'El pensamiento Geopolitico y sus escuelas', *Geopolitica* 61. 43–52.

Scarpaci, J. and Frazier, L. (1993) 'State terror: ideology, protest and the gendering of landscapes', *Progress in Human Geography* 17: 1–21.

Shumway, N. (1991) *The Invention of Argentina*, Berkeley: University of California Press.

Sibley, D. (1995) *Geographies of Exclusion*, London: Routledge.

Siliva, P. (1989) 'Democratisation and foreign policy: the cases of Argentina and Brazil', 86–10 in B. Galjart and P. Silvia (eds) *Democratisation and the State in the Southern Cone*, Amsterdam: CEDLA2.

Solberg, C. (1970) *Immigration and Nationalism in Argentina and Chile 1890–1914*, Austin; University of Texas Press.

Spalding, H. (1972) 'Education in Argentina 1890–1914', *Journal of Interdisciplinary History* 3: 31–61.

Staub, E. (1992) *The Roots of Evil*, Cambridge: Cambridge University Press.

Storni, S. (1967[1916]) *Intereses Argentinos en el Mar*, Buenos Aires: Instituto de Publicaciones Navales.

Szuchman, M. (1990) 'Childhood education and politics in nineteenth century Argentina: the case of Buenos Aires', *Hispanic American Historical Review* 70: 109–38.

Tambs, L. (1979) 'The changing geopolitical balance of South America', *Journal of Social and Political Studies* 4: 17–35.

Timmerman, J. (1981) *Prisoner Without a Name, Cell Without a Number*, New York: Alfred Knopf.

Vega Valencia, A. (1965) *Geopolitica en Bolivia*, La Paz: Juventud.

Vicens Vives, J. (1950) *Tratado General de Geopolitica*, Barcelona: Editorial Circular.

Vogel, H. (1991) 'New citizens for a new nation: naturalization in early independent Argentina', *Hispanic American Research Review* 71: 107–31.

Waisbord, S. (1991) 'Politics and identity in the Argentine army', *Latin American Research Review* 26: 157–71.

Walther, J. (1976) *La Conquista del Desierto*, Buenos Aires: Circulo Militar.

Weigert, H. (1942) *Generals and Geographers: the Twilight of Geopolitics*. London: Methuen.

المساهمون فى الكتاب

– **ديفيد أتكنسون** : David Atkinson يدرس الجغرافيا بجامعة هول، بالمملكة المتحدة، وتدور اهتماماته البحثية حول تواريخ المعرفة الجغرافية والجغرافيات التاريخية والثقافية والسياسية لإيطاليا الحديثة وإفريقيا الإيطالية.

– **سانجيا تشاتورفيدى**: Sanjay Chaturvedi باحث فى العلوم السياسية بمركز دراسات الجيوبوليتيكا بجامعة البنجاب ,شانديجاره. وهو مؤلف "بزوغ فجر القارة القطبية الجنوبية" لناشره (Segmen Books 1990) وكذلك "المناطق القطبية: دراسة فى الجغرافيا السياسية" لناشره (John Wiley 1996) وكان زميلا باحثا بمعهد بحوث سكوت بولار ,جامعة كامبردج، فيما بين ١٩٩٢ و ١٩٩٥

– **بول كلافال**: Paul Claval عمل أستاذا للجغرافيا بجامعة السوربون، وانشغل بتدريس الجغرافيا طوال السنوات الخمس والعشرين السابقة، وكان متخصصا فى تاريخ الفكر الجغرافى، الذى قاده إلى استكشاف المعالم المختلفة للجغرافيا البشرية: الاجتماعية، والاقتصادية، والحضرية، والإقليمية والثقافية والسياسية. وقامت دار (Nathan 1998) بنشر أحدث كتبه "الجغرافيا الفرنسية منذ ١٨٧٠ ".

– **كلاوس دودز**: Klaus Dodds محاضر فى الجغرافيا، كلية رويال هولواى، جامعة لندن. وهو مؤلف "الجيوبوليتيكا فى القارة القطبية الجنوبية: نظرات من الهامش المحيطى" لناشره (John Wiley 1997) و"الجيوبوليتيكا فى عالم متغير" لناشره (Longman 2000). وتشمل اهتماماته البحثية الجيوبوليتيكا النقدية والسياسة الدولية للقطب الجنوبى وجزر فوكلاند/مالفيناس. وهو منهمك حاليا فى مشروع يموله صندوق ليفرهولم عن "جزر فوكلاند/مالفيناس فى عالم متغير".

– **ميشيل هيفرنان:** Michael Heffernan أستاذ الجغرافيا بجامعة نوتنجهام. وقام بالتدريس بجامعات كامبردج ،لوبورو بالمملكة المتحدة وجامعة كاليفورنيا بمدينة لوس أنجلوس، بالولايات المتحدة. وفى ١٩٩٩–، ٢٠٠٠ كان زميلا باحثا بشعبة "ألكسندر فون همبولت" بمعهد الجغرافيا بجامعة روبريشت–كارلس بهايدلبرج (ألمانيا). وتتناول بحوثه سياسة المعرفة الجغرافية، دور الجغرافيا فى تكوين الهويات السياسية، والعلاقة بين الجغرافيا والذاكرة. وظهر أحدث كتاب له بعنوان" معنى أوروبا: الجغرافيا والجيوبوليتيكا" لناشره (Arnold 1998) ويعمل حاليا فى مجلد بعنوان "سياسات الجغرافيا".

– **ليسلى هيبل:** Leslie W. Hepple محاضر فى الجغرافيا (و مدير برنامج ماجستير "المجتمع ووقت الفراغ") بجامعة بريستول (المملكة المتحدة). وتشمل اهتماماته البحثية الجيوبوليتيكا والتاريخ الثقافى لمشهد الأرض والاقتصاد القياسى المكانى. ومن أهم أوراقه البحثية "إحياء الجيوبوليتيكا" التى ظهرت فى "فصلية الجغرافيا السياسية" فى ١٩٨٦ .

– **أندرو كيربى:** Andrew Kirby أستاذ ورئيس قسم العلوم الاجتماعية والسلوكية بجامعة ولاية أريزونا الغربية بمدينة فوينكس (الولايات المتحدة). وقام بالتدريس فى جامعات أريزونا وكلورادو وريدنج ،وكان باحثا زائرا فى جامعتى ستانفورد وبيركلى (ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية). عمل محررا لمراجعات فصلية الجغرافيا السياسية بين ١٩٨٢ و١٩٩٢ ويعمل حاليا محررا للمجلة الدولية "المدن". وتشمل أحدث كتبه المجموعة المحررة "البنتاجون والمدن Pentagon and the Cities" لناشره (Sage 1992) و"السلطة/المقاومة Power/Resistance" لناشره (Indiana University Press 1993)

– **تيموتى و. لوك:** Timothy W. Luke أستاذ العلوم السياسية فى جامعة فرجينيا للعلوم التقنية ،ومؤلف العديد من الكتب والمقالات. وتتناول أعماله إشكالية المعلوماتية وكيف أنها حولت الهياكل الاجتماعية والمؤسسات السياسية والسياسات البيئية وأفكار

الفن وممارسات التعليم وطبيعة الجيوبوليتيكا. واحدث كتبه "النقد الإيكولوجي" لناشره (University of Minnesota 1997) و"الرأسمالية والديمقراطية والإيكولوجيا: ماركس نقطة الانطلاق" لناشره (University of Illinois Press 1998).

– **ديفيد نيومان**: David Newman أستاذ ورئيس قسم السياسة والسلطة بجامعة بن جوريون بالنقب. وهو محرر مجلة "الجيوبوليتيكا" وعضو "لجنة الخريطة السياسية للعالم التابعة للاتحاد الجغرافي الدولي". ونشر الكثير عن الجوانب الجغرافية والإقليمية للصراع العربي الإسرائيلي. وأحدث كتبه بعنوان "ديناميكيات التغير الإقليمي: الجغرافيا السياسية للصراع العربي الإسرائيلي" لناشره (Westview 1999).

– **جيرويد أو تواتيل (جيرارد توال)**: Tuathail Gerard Toa Gearód ó أستاذ الجغرافيا المشارك بجامعة فرجينيا التقنية، بالولايات المتحدة. وتتراوح اهتماماته البحثية من تاريخ الجيوبوليتيكا إلى الاقتصاد السياسي الدولي، السياسة الخارجية الأمريكية، علاقة الإعلام الجماهيرى بتقنية المعلومات والتعليم. وهو مؤلف "الجيوبوليتيكا النقدية" ،لناشره (University of Minnesota Press 1996)، والمحرر المشارك لكتاب "الجيوبوليتيكا النقدية"، بالإضافة إلى "عالم غير حقيقي؟ العولمة والحكم والجغرافيا " لناشره (Routledge 1998) وكذلك "مختارات جيوبوليتيكية " لناشره (Routledge 1998)

– **جواني شارب**: Joanne Sharp محاضر فى الجغرافيا بجامعة جلاسجو بالمملكة المتحدة، وتشمل اهتماماتها البحثية الجيوبوليتيكا الشعبية والهوية القومية، خاصة فى سياق السياسات الثقافية الأمريكية فى القرن العشرين. وقد شاركت مؤخرا فى تحرير المجموعة الجغرافية النسائية "المكان/ النوع/ المعرفة " مع لندا مكدويل. وستقوم مطبعة جامعة مينيسوتا بنشر كتابها القادم بعنوان "تكثيف الشيوعية: ذا ريدرز دايجست والهوية الأمريكية ١٩٢٢– ١٩٩٤".

– **جيمس ديريك سيداواى**: James Derrick Sidaway محاضر فى الجغرافيا بجامعة برمنجهام. تتمثل اهتماماته البحثية فى العلاقات بين الشرق والغرب والشمال

والجنوب ,وتركز بحوثه الحالية على التحولات فى أفريقيا الجنوبية ,والخطابات الجيوبوليتيكية البرتغالية والإسبانية وعلم اجتماع المعرفة الجغرافية. وقد أكمل مؤخرا مشروعا يموله الاتحاد الأوروبى عن الأراضى الحدودية بين اسبانيا والبرتغال.

– **تاييشى تاكيوشى:** Keiichi Takeuchi أستاذ فخرى بجامعة هيتوتسوباشى، وأستاذ الجغرافيا بجامعة كومازاوا، طوكيو. وكتب عددا من الكتب عن تاريخ ومنهجية الجغرافيا ,وعن المشاكل الإقليمية لدول البحر الأبيض المتوسط ,خاصة إيطاليا. وهو حاليا رئيس "الجمعية اليابانية للجغرافيين الاقتصاديين".

– **بيتر ج. تيلور:** Peter J. Taylor أستاذ الجغرافيا وعميد مشارك للبحث بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانيات بجامعة لوبورو بالملكة المتحدة. وكان محررا لمجلة "الجغرافيا السياسية" فى الفترة ١٩٨٢– ١٩٩٨ومحررا لدورية "الاقتصاد السياسى العالمى" فى الفترة ١٩٩٢– ١٩٩٧ وتشمل كتبه السابقة "طريقة عمل العالم الحديث: من السيطرة العالمية إلى المأزق العالمى" لناشره (John Wiley 1996) و"الأشياء العصرية: منظور جغرافى تاريخى " لناشره (Polity 1999)

– **نيجل تريفت:** Nigel Thrift أستاذ الجغرافيا بجامعة بريستول. وتشمل اهتماماته البحثية النظرية الاجتماعية ,والنظام المالى الدولى، واشتراكية العالم الثالث والزمن. وأهم مؤلفاته "كتابة الريف" ,لناشره (Paul Chapman 1994) و"التكوينات المكانية" Spatial Formations لناشره (Sage 1996) و"النقود/المكان"Money/Space لناشره (Routledge 1996) وهو محرر مشارك لكتاب "رسم خريطة الموضوع "Mapping the Subject الذى يتناول جغرافية التحولات الثقافية، لناشره (Routledge 1995)

المترجمان فى سطور

١ - د. عاطف معتمد عبد الحميد

- ولد فى القاهرة عام ١٩٦٩
- دكتوراه الجغرافيا من جامعة سان بترسبرج، روسيا، عام ٢٠٠١
- أستاذ الجغرافيا المساعد، كلية الآداب جامعة القاهرة .
- حائز على جائزة الدولة التشجيعية فى العلوم الاجتماعية لعام ٢٠٠٩

٢ - د. عزت صالح زيان

- ولد فى القاهرة عام ١٩٥٨

- أستاذ مساعد بمعهد التخطيط القومى.

- باحث ومترجم فى قضاياو السكان والتنمية.

الإشراف اللغوى : حسام عبد العزيز
الإشـــراف الفنـى : حسن كامل



يذهب الكتاب الذى بين أيدينا إلى أن الجيوبوليتيكا يجب أن تتحمل المسئولية عن الماضى، مع إعادة صياغة مفاهيم الجيوبوليتيكا بأسلوب يفسر التغيرات الجوهرية التى حدثت فى أواخر القرن العشرين، فى الوقت نفسه. وينقسم هذا الكتاب إلى ثلاثة أجزاء: أولاً، يركز جزء "إعادة التفكير فى التواريخ الجغرافية" على ما أثمرته الحوارات الجيوبوليتيكية بين الدارسين الأوروبيين والعالم الأوسع. ثانيًا، يتناول جزء "الجيوبوليتيكا، الأمة والروحانية" كيف تأثرت الكتابات الجيوبوليتيكية كثيراً بالتوجهات والرموز الدينية، مع تقديم أمثلة مستمدة من الكاثوليكية واليهودية والهندوسية، وثالثًا، يتأمل الجزء الأخير "إصلاح وتركيز الجيوبوليتيكا" فى كيفية إعادة صياغة الجيوبوليتيكا فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، مع أمثلة من فرنسا والولايات المتحدة.

تصميم الغلاف: عبد الحكيم صالح